

# سفناری

السودان • الصومال • تنزانيا • زنجبار • موريشيوس • زيمبابوي



البراري والبحر



١٠٩/٤٢

# خفاری

السودان - تنزانيا - موزمبيق -  
زيمبابوي - الصومال

تأليف

ابراهيم أشعد محمد

مطبعة الاناس  
٣ شارع جديدة بدران شبراخيت

## بسم الله الرحمن الرحيم

يكاد المرء أن يلقى الصعوبات نفسها كلما أزمع على الارتحال إلى البلاد الأفريقية المسماحة ، وذلك فيما عدا كينيا التي بدأت تظهر على مسرح السياحة في مصر في السنوات الأخيرة . لا أحد تقريبا يعلم شيئا عن أشقائنا في القارة . على المرء عادة إذا ما أراد السياحة ، أن يحدد البلاد التي ينوى زيارتها ، وبالنسبة لأفريقيا عليه أيضا أن يوفق بينها من ناحيتين . الأولى مواسم الأمطار والجو عمومًا ، فعلى السائح أن يعتمد قدر استطاعته عن هذا المواسم . وعليه في هذا أن يوفق بين البلاد وبعضها ، نظرا لأن خط الاستواء ، كما هو معروف ، يقسم القارة إلى نصفين متساويين تقريبا . وبالتالي لحينا يكون الجو في نصفها الشمالي صيفا يكون شتاء في الجنوبي ، والعكس صحيح . ولهذا كان من الهام جدا أن يحدد السائح البلاد التي سيوزورها ، والوقت الذي سيقتضيه في كل منها .

الناحية الثانية أن عليك أن تعتمد على نفسك في كل خطوة . عليك أن تعتمد على نفسك في استقصاء المعلومات ، فإن تجد في كثير من تفصيلات البلاد المعنية معلومات كافية ، أو قريبة من الكافية ، وبعضها سيحاول أن يضللك عن حسن نية ، ورغبة في خدمة بلاده ، فيصور لك أشياء غير حقيقية ، ويهون أمورا عسيرة ، وعن جهل أو عمد ، يصعب أمورا سهلة .

عليك أن تعتمد على نفسك أيضا في مسألة الطيران ، أعني الوصول إلى البلاد التي أزمعت زيارتها ، ولذلك أسباب . إلى عهد قريب جدا ، وبما في أواخر الستينات ، وأوائل السبعينات كنت لا تستطيع أن تصل من القاهرة

إلى أى قطار أفريقى تقريبا إلا عن طريق أوروبا ، فمكان الطيران الاوروبى  
يحتمل تمام المواعيل التى تربط بين الاقطار الأفريقية وبعضها . إذا أردت  
مثلا أن تذهب إلى الكونغو فطريقك هو بروكسل ، أما إذا أردت الذهاب  
إلى إحدى المستعمرات الفرنسية فى أفريقيا فطريقك إلى باريس . ثم بدأ  
استقلال هذه الدول فى الستينات ، بالتالى بدأت أيضا تفكر فى الاستقلال  
بطرق مواصلاتها ، وأنشأت شركات الطيران خاصة ، بعضها ما يزال يحبو ،  
وبعضها أصبح شركات عملاقة ، كشركة مصر للطيران ، والاثيوبية . مع  
هذا فمن الواضح أن الطريق ما يزال طويلا ، ولا تزال هنالك عثرات ، على ذلك  
عليك ان تبدل جهودا حقيقيا للتوفيق بين مواعيد الطيران المختلفة التى لا انسجام  
فيها ، واننى بعد ان قضيت يومين فى البحث عن الطائرات التى تذهب من  
الخرطوم إلى مقديشيو ثم إلى دار السلام ضاعت جهودى هباء ، بعد أن وفقت  
اوكدت ، لأنه كان يلزمى الذهاب من مقديشيو إلى نيروبي ومنها إلى هنتيبى ،  
ومنها إلى دار السلام ، لكن الفارق فى التوقيت بين الطائرة من نيروبي إلى  
هنتيبى ، ومن الأخيرة إلى دار السلام ، كان خمس دقائق فقط ، وهى مدة  
لا يمكن أن تكفى لأن الحق بالطائرة . فإذا علمت أن الطائرة التالية بعد  
اسبوع ، فهمت لماذا تركت الحطة كلها بحثا عن غيرها ، ثم أخيرا تركت الذهاب  
إلى الصومال إلى فرصة أخرى ، وقد قمت بها عملا فى رحلة خاصة من القاهرة .

حاولت إحدى موظفات الشركة السياحية التى أتعامل معها جهدها أن  
توفق بين رغباتى ، والتعقيد الغريب لشركات الطيران ، لكنهما مع ما بذلته ، لم  
أستطع . ربما بمن لاحد القراء أن يقول لعل التعقيد فى رغباتك ، فلماذا  
تسببه إلى شركات الطيران ؟ وأقول إن رغباتى إنما استقيمتا من الخرائط  
الجغرافية ، أعنى من الارضاع الطبيعية للبلاد ، أما شركات الطيران ، فأنما تنظر  
إلى إمكانياتها الشخصية ، وهى ضعيفة كما ذكرت . يزيد الأمر سوءا المواقف



السياسية للبلاد المعنية . فالحبشة مثلاً فى نزاع مع الصومال ، وتنزانيا فى نزاع مع كينيا ؛ وتسكون النتيجة أن تذاكر الطيران التى تصرفها شركة الطيران الاثيوبية غير معتمدة فى الصومال ، وأنه لا توجد خطوط طيران بين يروى ودار السلام ، ولست أدرى لماذا لا توجد خطوط طيران من الخرطوم رأساً إلى مقديشيو ، ثم رأساً إلى دار السلام وبذلك فلهيكى أذهب من مقديشيو مثلاً إلى دار السلام على أن أذهب إلى يروى ، ومنها إلى عنتيبي ، ف أوغندا ، ومن ثم إلى تنزانيا ، أو من يروى جنوباً إلى لوساكا ثم شمالاً بشرق إلى دار السلام .

توليت الأمر بنفسى مضطراً فإن الوقت كان يمر دون أن أتقدم خطوة واحدة . اتصلت بشركة الكرانك بقصر النيل ؛ وهى إحدى مؤسسات شركة مصر للسياحة ، ووجدت من الموظفين معونة صادقة ، سواء فى تتبع خط السير ، أو تحديد المواعيد ، والتوفيق بينهما ، وأخيراً استقر رأى على أن تكون التذكرة إلى موزمبيق ، مع وقفة فى الخرطوم ، وأخرى فى دار السلام ، ثم العودة من موزمبيق إلى دار السلام ، ثم رأساً من دار السلام إلى القاهرة .

أخذت التذكرتين ، لى ولزوجتى ، وحددت يوم الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٨٢ موعداً لسفرنا من القاهرة . والطائرة تنادر المطار فى الساعة الثانية والنصف صباحاً لتصل إلى الخرطوم فى الخامسة . كانت الآلة فتحية من شركة السياحة التى كنت أتعامل معها - قد اتصلت بالمريدبان القاهرة وحجزت لنا فى مرديدبان الخرطوم ، وبذلك ضمنت على الأقل خطوة فى رحلتنا . ذهبت إلى سفارة تنزانيا وكانوا من الرقة بحيث منحوني تأشيرة الدخول فى اليوم نفسه مع أنها عادة لا تعطى إلا فى اليوم التالى . وليس لموزمبيق سفارة لديشسا ، وعلى هذا فأنى قررت أن آخذ التأشيرات أثناء وجودى فى تنزانيا بهذا ، وبعد صرف العملة المسموح لنا بها قانوناً أصبحنا على استعداد للسفر .

## السودان

هل أنا بحاجة إلى تعريف القطر الشقيق ؟ ربما لو مررت مرووا مريرة  
جدا هل جغرافيته ، وتاريخه ، فسوف أنشر ذاكرة البعض .

هو أكبر أقطار القارة الأفريقية مساحة ، ٩٦٧.٠٠٠ ميلا مربعا ، أو  
أكثر من مليوني كيلو مترا مربعا . تحده من الشمال مصر ، ومن الشرق البحر  
الاحمر ، وإريتريا ، والحبيشة ، ومن الجنوب كينيا ، وأوغندا ، والكونغو  
أما الغرب فهناك ليبيا ، وتشاد وجمهورية وسط أفريقيا . عاصمته الخرطوم ،  
وأهم مدنه الأبيض ، وواد مدني ، وكسلا ، وبورت سودان . أما جوه فهو  
مطير صيفا ، وجاف شتاء وهو جو استوائي عموما ، ولأن كانت الصحراء  
تغطي مساحة كبيرة في الشمال ، ثم تليها المراعي ، ثم الغابات الاستوائية في  
الجنوب . واللغة السائدة فيه هي العربية ، مع وجود بعض اللغات المحلية في  
القبائل الجنوبية وكذلك النوبة ، بين دنقلة ووادي حلفا . أما عملته فهو  
الجنيه السوداني ، والدولار يقابل حوالي ١٠٠ قرشا بالسعر الرسمي ،  
وحوالي ١٨٠ قرشا في السوق السوداء .

قد يظن البعض أن مثل هذه المساحة تضم جماعات غير متجانسة مما يؤثر  
على الوحدة الوطنية ، وهذا صحيح إلى حد ما فهناك خليط كبير من الأجناس  
البلوتين ، والبانو ، والعرب ، لكن الواقع أيضا أن هنالك اتحادا في ثلاث  
نواحي هامة ، فبين كل عشرة من السودانيين عموما يوجد أربعة أشخاص على  
الأقل ترى فيهم الدماء العربية ، وخمسة يتكلمون العربية في منازلهم ، وسبعة  
مسلمون . هذه الخصائص قوت إلى حد بعيد بين الأجناس المختلفة ، بل  
وأدنت السودان عامة من الدول العربية ، والإسلامية ، وإن تكلم قسما  
أبعتها تسميا عن سائر أقطار القارة الأفريقية .





إلى جانب هذا توجد الجذور التاريخية ، مرتبطة بالتاريخ المصري منذ  
ومن بعيد وإلى حد بعيد جدا .

كان الفراعنة يرسلون إلى القطر الشقيق ، البعثات ، سواء الحربية ،  
أو الاستكشافية ، أو التجارية منذ عهد بيبي الثاني من الأسرة الرابعة على  
الأقل ، ودليانا على ذلك رحلتا نفي ، وحرخوف ، إستقي السودان من  
الحضارة المصرية القديمة ، حتى أنه عندما قامت إمبراطورية كوش ، وعاصمتها ناباتا  
فيما بين سنتي ٧٥٠ ، ٢٥٠ قبل الميلاد ، وأعتبنتها حضارة مروة ، نجد أنهما  
تتماهيا في الحضارة إلى حد بعيد مصر الفرعونية . وصلتا من القوة إلى حد  
غزو مصر ، والاستيلاء عليها ، وتأسيس الأسرة الخامسة والعشرين التي  
استمرت حتى طردها الآشوريون من مصر . بعد الميلاد تكوّنات الدول  
المسيحية ، خاصة في الشمال السوداني ، وذلك فيما بين السنين ٥٤٠ ، ١٥٠٤  
ميلادية فتأسست ممالك النوبة ، وعاصمتها دنقلة ، وعلوه ، وعاصمتها صوبة  
على بعد بضعة أميال شرق الخرطوم .

فتح العرب مصر ، وعقدوا معاهدة البقط الشهيرة مع النوبة ، وتغلغل  
العرب سلبيا في البلاد ، ومعهم دخل الإسلام ، حتى تكوّنات في السنة ١٥٠٤ مملكة  
الفونج الإسلامية من خليط من السودانيين المسلمين والعرب ، واستمرت  
هذه المملكة حتى سنة ١٨٢١ حينما غزا محمد علي السودان . في سنة ١٨٢٢  
قامت ثورة ضد جيوش محمد علي ، أو الأتراك كما كانوا يسمون ، وأخذت  
بشدّة ، واستمر الحكم المصري حتى سنة ١٨٨٥ حينما قامت ثورة المهدي التي  
استمرت حتى سنة ١٨٩٩ . وبانتهائها بدأ الحكم الثنائي ، البريطاني المصري ،  
لينتهي كل هذا ، وتستولي بريطانيا على السودان بمفردها حتى سنة ١٩٥٥ حين  
قامت السودان استقلالها التام .



١٤ - ١٠/١٢/١٩٨٢

كنت قد اشتريت كاميرا فيديو لاستعمالها في رحلتى ، ومن حسن الحظ  
أننى سألت أحد الاصحاب الذين يعملون في الجرك عما إذا كانت هنالك  
إجراءات خاصة بها فسأل بدوره ، وأجاب بأن هنالك تأميناً يدفع قدومه  
ستمائة وستون جنيها . فى يوم السفر أخذت معى الف جنيه وجاء اتوديعنا  
ابتنتنا وزوجها على أساس أن يأخذ أيضاً باقى النقود المصرية لأنه كما هو معلوم  
من الممنوع قانوناً أخذ نقود مصرية إلى الخارج .

حسناً فعلت ، إذ أن السيد مأمور الجرك أصر على أن يأخذ مبالغ الف  
جنيه كإمانة رسوم حتى عودتنا من الخارج ، ولست أدري لماذا يقرم الموظفون  
الحكوميون عموماً بوضع الصواب ؟ ، ولماذا لا يكتفون بعملية الفيديو على  
جواز السفر مع فرض غرامات كبيرة فى حالة عدم استيراده ثانية ؟ هل  
المفروض أن كل مصرى غير شريف إلى أن يثبت العكس ؟

فى الساعة الثالثة إلا ربعا أفلعت بنا طائرة شركة مصر للطيران ، وهى بوينج  
٧٠٧ وسرعتها تسعمائة كليرمترا فى الساعة وتحلق على ارتفاع ثلاثة وخمسين ألف  
قدم ، وتقطع المسافة فى حوالى الساعتين والنصف . كانت رحلة جيدة خالية  
من المطبات الهوائية مما أمكننا من النوم قليلا . وربما يكون من المستحسن  
أن أقول إن خطى كانت هى أن أمضى ثلاثة أسابيع فى السودان لأزور شملها ،  
وجنوبها حتى جوبا ، ثم أسبوعين فى تنزانيا ، وأسبوع واحد فى موزمبيق لأنهم  
بذلك خمسة وأربعين يوما تقريبا .

فى الساعة الخامسة والربع صباحا ، وصلنا إلى الخرطوم ، ومطارها صغير  
جدا بالنسبة لأهميتها كعاصمة لأضخم دولة حجما فى إفريقيا . مررنا بالجرك  
دون أية عقبات ، إلا أننى فقط أعلنت مامعى من نقود حتى لا تنشأ انماشاكل .  
أكرينا سيارة أجرة من المطار إلى فندق المريديان ، ولما لم أكن قد أبدلت

قودا فإنني دفعت للسائق خمسة دولارات ، وهذه في حقيقة الواقع مخالفة القدية .

كانت أول ملاحظة أن حركة البناء قد نشطت كثيرا عما كانت عليه منذ سنتين حينما زرت الخرطوم لأول مرة ، وقد علمت بعد ذلك أن ثمن الألف طوبة ، وهم يصنعون الطوب الأحمر من الطمي كما عندنا في مصر ، بلغ خمسين جنبا غير المشال الذي يتراوح بين العشرة جنبا ، وخمسة عشر جنبا الألف .

دخلنا حجرنا في الساعة السادسة تقريبا ، ودون أن نقوم بأي عمل استلقينا على الفراش ، واستيقظت في التاسعة صباحا ، وكانت زوجتي ما تزال نائمة . كان أول ما يجب أن أهتم به هو ترتيب رحلتنا القادمة حتى لا نستقر في الفندق دون عمل ففي ذلك سأم ، ومضيعة للمال والوقت . كان بعض الآخرة في مصر قد أعطاني خطابا إلى قريب له في الخرطوم كما أرسل إليه خطابا آخر بالبريد ، وهذا القريب هو مدير فندق أكسليور ، وهو فندق ثلاثة نجوم ، ويقع في شارع الجمهورية في منتصف البلد ، ولا يبعد كثيرا عن المريدان .

انصت به عاتقا فرحب الرجل ، وإن ذكر أنه لم يهله خطاب من مصر حتى الآن ، إلا أنه رجاني أن أزوره حيث أن عمله يجتم عليه التواجد المستمر في الفندق . وقد كان ، فبعد حير إلى النصف ساعة كنت أجلس معه في حجرة مكتبه . شرحت له مطلبي وهو ببساطة أن يعرفني على مكتب سياحة محترم أستطيع أن أعتد عليه ، ولا شيء أكثر من ذلك . تفضل الرجل مشكورا واصطحبني إلى شركة وكالة الشرق الأوسط للسياحة ، ومديرها السيد محمد محمد حسن ، وهو قريب جدا من الفندق ، ومن هنا بدأت سلسلة من المشاكل .

في أواخر سنة ١٩٨٠ أى منذ سنتين ذرت الخرطوم زيارة سرية استغرقت ثلاثة أيام ، وفي أثناءها لاحظت أن هناك أزمة في البنزين . لكن البنزين كان موجودا فقد استأجرت سيارة وذهبت إلى أم درمان ثم إلى جبل الأولياء ، وطفقت بها في المدينة نفسها . ربما كانت هناك بعض المتاعب في الحصول على الوقود إذ اضطررنا فعلا أن نقف في صف طويل من السيارات تسبقنا عشرة ، أو أكثر كما كان التوزيع بالبطاقات ، ومع هذا فلم يزد الأمر على أن تشمل بعض المضايقات التي لا تذكر . أما أن ينمدر البنزين بحيث يخف ، أو يسكد . وأن يرتفع سعره من ١٧٥ قرشا إلى عشرة جنيهات ، وأن لا نستطيع صرف مقابل البومات المخصصة لسيارتك ، وأن نقف في أصف متوازية ربما يتعدى مجموع السيارات فيه المائتين ، وأن يضطر سائق السيارة الأحرة إلى المبيت إلى جانب محطة الوقود حتى يسكون من أوائل من يصرفه في الصباح ، ثم بعد ذلك قد لا يصرف للمحطة أصلا وقود ، هذه الأشياء جميعها لم تكن موجودة في زيارتي الأولى في سنة ١٩٨٠ وشاهدتها هذه المرة ، وكان من الجمل أن الأزمة قد بلغت ذروتها .

حيثما بدأت شرح ما أريد للسيد حسن واجهني هذه الصعاب . قال إن السير بالسيارات يكاد أن يسكون مستحيلا ، وأن هناك بعض اشركات لطائرة خاصة تقبل أحيانا ركابا من غير موظفيها ، وأنه سيحاول أن يلحقنا بإحداها وإن يسكن قد ذكر أننا حتى إن وصلنا إلى جوبا فلن نجد سيارة لتقلنا إلى الأحراش وقرر أن دندر ، وهي الحدائق الحكومية المفتوحة ، لم يستطيعوا تشغيل المندق بها حتى الآن نظرا لعدم وجود وقود ينقل إليها المواد التوتيرية ، هذا مع العلم بأنها في ذروة الموسم السياحي .

هناك كلمة : لست أدري ما مر قف مصر بالنسبة للبترول في السودان ؟



ليكن المؤكد أن شركة مصر للطيران تستطيع أن تساعد إلى حد بعيد في حل أزمة المواصلات، واستعيد هي أيضا من ذلك نهائيا ذلك أنى لاحظت وجود عدة شركات أجنبية تستعمل طائراتها الخاصة كما ذكرت، بل وقيل لي إن بعضها يقرر هذه الطائرات بالتكامل للمجموعات السياحية، وإن كان نادرا لماسادا لا تبحث شركة مصر للطيران موضوع تسيير خطوط طيران داخلية في السودان ؟

إن الحكومة الإسمائية انتزعت فرصة الصالح مع مصر لتتشر لمناقشتها في العالم لسياحي مرغية السواح أن يرووا آثار إسرائيل ، مصر معها ، وهذا لا تقوم الحكومة المصرية ، رمى أدلى ، بوضع رابع لزيارة الآثار في شمدى ، ودقته المعجز ، وأسوان ، والاقصر ، على أن تعمل رحلات موسمية إلى القاهرة من ناحية ، والخرطوم وجوبا من ناحية أخرى ، لزيارة الأحرش في دندره وفي جوبا ؟ أليس هذا نزعاً من التكامل الذي يعود بالهامة على البلدين ؟ إن الحضارتين في الادصر ، وأسوان ، ودقته المعجز ومرو ، وهي الآن شمدى ، مكثتان لبعضهما فلماذا لا تخصص رحلات منظمة معاً ؟ أو لماذا لا تقوم الطائرة من القاهرة لتتبط في مطار أسوان ، ثم الخرطوم ، ثم جوبا مثلاً ؟

أخشى أن أكون قد أطلت ، وإن كنت لا أعتقد ، أن في هذا خروجاً من موضوع الكتاب فالسودان وضع خاص في قاي لا يقل عن مصر ، كأعتقد مما رأيت ، وسمعت ، أن لمصر وضعها الصحيح في قلوب إخواننا السودانيين ، لهذا لم تكن هذه سياحة ، بقدر ما هي زيارة ، وليس ما أكبه نقدا بقدر ما هو صرخة مرارة . إذا أريد التكامل حق فليكن بأعمال مثمرة يشمر بها الشعبان ، وأولها وسائل الاتصال . أما الطرق الأرضية فاصلاحها يستغرق

وقتنا ، كما أنها طويلة جدا . وأما المواصلات المالية فقد سمعت أن هناك  
هزانات بدأت عملها فعلا بين السويس والسودان . وهذه خطوة ، إن تكن  
محدودة ، إلا أن أثرها محدود . وبذلك لم يبق سوى الطرق الجوية .

ترك السيد حسن على وعد بأن يبذل قصارى جهده ليعمد برنامجا للسياحة  
فى الجنوب إلى جوبا ، وشندى ، وفى الشمال إلى دنقلة ، والشلال السادس ،  
وربما أيضا إلى الأبيض ، وجبل مارا فى الجنوب الغربى . وطلبت منه وقتها  
أن يرسل لنا سيارة فى المساء لتقلنا فى رحلة داخل الخرطوم ، ولم  
ديما .

توجهت بعد ذلك إلى الفندق ، وكان الجو حارا ، والشمس قوية أثناء  
الطريق . مضى اليوم ونحن زوجتى وأنا ، فى الفندق ولم أت السيارة التى  
وعدها السيد حسن .

١٩٨٢/١٢/١٦

توجهت صباحا مع زوجتى إلى المدينة وكان الجو أيضا حارا ، والشمس  
قوية حتى اضطررت إلى ارتداء قبعة . مرت على السيد حسن مستفسرا منه  
عن سبب عدم إرسال السيارة ، وعما فعله لنا فى موضوع ترتيب الرحلة ولم  
ألق سوى الاعتذارات والوعود . تركناه ونهولنا قليلا فى البلد ثم عدنا  
إلى الفندق . كنت قد لاحظت وجود شركة للسياحة فى الفندق نفسه ، ولم  
أعت بأن أسألها المعونة لتدبير الرحلة نظراً لوعود السيد حسن لكننى حينما  
عشت إلى الفندق رأيت أن أرى هذا التوكيل السياحى ، أيضا وهو باسم  
خرطوم توريزم سنتر ، ومديره الدكتور محمد النور بلال ، وبهذه المناسبة  
الرجل حائر فعلا على إجازة الصيدنة من جامعة القاهرة ، ولأنه رأى أن  
يعمل فى السياحة .

حينما خاطبت الرجل ذكر لي أيضا صعوبات الحصول على البنزين ثم قال  
إنه مؤقتا يستطيع أن يأخذنا في الساعة الثالثة في نزهة ييلية على أحد زوارقه  
البحرية ، ليرى بعد ذلك إن كان يستطيع تدبير الرحلات ، رفضت شاكرا  
لأن كنت على موعد مع السائق الذي سيرسله السيد حسن للذهاب إلى أم درمان  
لشراء بعض الأشياء من سوقها ، فقال إن هنالك رحلة أخرى في اليوم التالي  
في الموعد نفسه ، وأن السعر بالنسبة لكل شخص هو عشرون جنهماسودانيا ،  
وقبلت على أن يبحث لي عن وسيلة للذهاب أولا إلى شندي ، وثانيا إلى  
الشلال السادس ، وثالثا إلى جوبا ، ولا بأس إن أمكن عمل رحلة إلى جبال  
مارا غرب السودان .

لم يأت السائق في الساعة الثالثة - كما وعد السيد / حسن وحينما اتصلت  
بفندق أكسليسيور تأسف السيد عني ، وهو المدير ، وقال إنه سيرسل أحد السائقين  
هورا . ولم يأت السائق إلا في الساعة الخامسة ، وقد أوشكت الشمس على  
المغيب على أي الأحوال ركما ، زوجتي وأنا ، ولما كنت قد ذهبت هي رحلتني  
السابقة إلى أم درمان لم يكن فيها جديد بالنسبة لي ، ولكنني أردت أن  
تري زوجتي كل العاصمة الثالثة ؛ أعني الخرطوم بحري ، وأم درمان ، حتى  
تأخذ فكرة صحيحة ، أو قريبة من الصحة ، عن البلدة وملا ذهبنا إلى بوابة  
القيوم ، وهي التي يقال إن المهدي بدأ هجومه على القوات الإنجليزبة البحرية  
بقيادة غوردن منها ، ووزراء قبر المهدي ، وقد سبق لي أروصفته في كتابي السابق ،  
وكذلك منزلة ، ثم اتجهنا إلى السوق الضخم ، وهو من أصخم أسواق أفريقيا  
ويؤكد أن يضارع سوق أديس أبابا ؛ ومررنا كذلك بمنزل السيد الأزهرى  
رحمه الله ويقطن به الآن أولاده وبصل المدن الثلاثة المتجاورة أربعة كبارى ،  
كوبرى بحري ، وشببات أى الزراعة ، وأم درمان ، وكوبرى كوبرا ، أى  
مصلحة السجون لعل أجهل ما فى السوق جلود الحيوانات ، والزواحف



خاصة جلد الثعالبان الذى قد يصل إلى ثمانية أمتار . وجلد النمساح وم  
يصيدون القاصيح الصغيرة التى طولها حوالى المتر ، ويحشون جلوده بعد قتله .  
وبعد دباغته ثم يعرضونه للبيع ، وهم أغلى كثيراً من جلد الثعالبان .

بعد أن مررنا بهذه أماكن فوق البلدة عدنا عن طريق خرطوم بحرى ولم  
يسر السائق طبعاً أن يأخذ عمولته من التاجر الذى اشترينا منه . ولكنه على  
الأقل اعتذر حينما لاحظ أنى رأيت ما فعل ، وقال إن التاجر أرغمه ؟  
بعد أن وصلنا إلى الفندق تناوينا العشاء ، وأوينا إلى حجرتنا .

١٩٨٢/١٢/١٧

اليوم هو الجمعة ، وكل المحلات التجارية ، والمؤسسات مغلقة ، فأنت إذا  
سرت فى الخرطوم فستجدها مدينة قائمة تماماً . لكن السيد محمد النور ، كان  
موجوداً فى مكتبه بالمندق ، وقال إنه مستعد لأن يأخذنا فى الساعة الثامنة  
فى الجولة السياحية ، فى المسير إلى جزيرة النمساح ، ثم يعود منها ، وأن الرحلة  
تستغرق حوالى الساعتين والنصف . قرر كذلك أنه أرخص على سائق سيارته  
فى المساء ليذهب بالليل ، وهم يسمونه بالسيلوجة ، وأما حينما يعود من  
رحلتنا الليلة . فقامت فى الساعة السابعة لتتفق معى على الرحلة الثانية . ذكر لنا  
أيضاً أنه سوف يحجز لنا للسحاب إلى شندى ، حيث تستطيع رؤية آثار مروة  
كما أنه سيحاول حجز تذاكر عن الطائرة إلى جوبا . ومنها نستطيع أن نكثري  
سيارته للدخول فى الأحراش . أما دندره فكما ذكرت ، ومع أننا فى أحسن  
أوقات موسم السياحة بالنسبة لنا ، ومع أنها أحسن حدائق الحيوان المفتوحة  
فى السودان ، فإن الفندق الموجود بها لم تتمكن وزارة السياحة من فتحه  
حيث لا يتوفر الوقود لقل المأون إليه . وعلى هذا ، ولاستحالة الوصول إلى  
الحمايق ، وانجول فيها دون وقود فلا فائدة من التفكير فيها .

فى الساعة الثامنة والخامسة والأربعين دقيقة التقينا بالسيد محمد النور  
فى هو الفندق وهذا التقى بنا ثلاثة أشخاص . امرأة انجليزية انضج أنها تقطن

بيرون منذ سبع سنوات ، وشاب أمريكي في أوائل العقد الرابع وزوجته الأمريكية إلى تذاورهم . ركنا سيارتين نحن والسيدة الإنجليزية في واحدة ، والأمريكيان في سيارة السيد محمد النور . واتجهنا إلى كورائش . لاسل الأزرق أمام الفندق الكبير ، وهو فندق ظريف المظهر له شرفة ضخمة تطل على النيل .

زلنا إلى المرسى ، ورأينا المراكب . وهو في الواقع لا يزيد على نش هتيق ربما يكفي لمشرة أشخاص ، ويعمل به قائد وميكانيكي . واسم النش د حياكم ، وهي تعني مرحباً بكم وبالرغم من أننا كنا على النيل مباشرة إلا أن الجو كان شديد الحرارة ، والشمس ترسل أشعة حارقة . لاحظت أن النيل الأزرق في هذه المنطقة ضيق . وحينما سألت عن السبب عرفت أن الضفة الأخرى ليست هي صفة النيل . وإنما هي ضفة الجزيرة ضخمة جداً وأن طول الجزيرة واسمها تروجي ، يقارب الخمسة وعشرين كيلو متراً ، ويقطعها ما بين ثلاثة آلاف ، وأربعة آلاف شخص تقام عبر النيل معديات . ولعله من سقط القول أن أذكر أن تربة الجزيرة خصبة جداً ، وأن بها كثيراً من الفاكهة كالمانجو ، والموز ، والبرتقال ، واليوسفي ، وتزرع كذلك أنواع من الخضر المختلفة .

كانت سرعة الانش ، ما بين عشرين وثلاثين كيلو متراً في الساعة ، واتجهنا إلى الجنوب الغربي ، ومررنا بجامع النيلين ، وهو مبنى جميل يلتصق في ضوء الشمس ، ومبنى عند النقاء النيلين الأبيض والأزرق . عدنا شمالاً على النيل الأبيض ، وشاهدت ورشة ضخمة لإصلاح الموانئ ، والمراكب البخارية ، والنشات ، وعلمت أن صاحبها رجل يدعى الشيخ مصطفي أمين ، وهو يمتلك أسطولاً نهرياً كبيراً يتفرع به الأشخاص ، والمضائق على النيل إلى جوبا . وملكال ، وسائر المدن التي تقع على النيل ، ومررنا كذلك بقصر رئاسة الجمهورية وهو مبنى فخيم يطل مباشرة على النيل ، أي أن الكورائش يستمر داخله كطريق

حس ، كما نطل على النيل في الجهة المقابلة أيضاً بعض القصور الضخمة التي علينا  
أنها مساكن الدبلوماسيين رجال السلك السياسي الأجانب ؛ ولكل منها مرمى  
حس على النيل مباشرة ، كما أن أمام الكثير من المراسي اشبات خاصة ،  
صغيرة ، ومتوسطة الحجم وكان البعض يستغلها ، ويساق لنشنا ، ويلوح  
من فيها إلينا .

مررت أيضاً بمجموعة ضخمة من قبان الطوب الأحمر ، وهي شديدة  
نعم بالقبات الموجودة هنا بمصر .

وصلنا أخيراً إلى جزيرة التماسح إذ كانت الساعة الرابعة والنصف ، وهي  
حريرة صغيرة جرداء تقريباً ، يستعملها أهالي الخرطوم للزراعة ، وقيل إنها  
كانت مأوى للتاسيح حتى بنى خزان سنار ، فهربت من المنطقة . بعد ذلك  
وصلنا إلى جزيرة أخرى صغيرة اسمها أم دوم ، ثم بدأنا رحلة العودة في الساعة  
لرعة وأربعين دقيقة لنصل إلى المرسى في حدود الساعة السادسة . وقد  
هني أن أقول : إننا تناولنا الكركديه البارد على الالش ، وأن الاجاب  
ثلاثة أعجبوا به جداً حتى أنهم أعادوا طلبه ، كما فعلنا نحن .

عدنا إلى الفندق في حدود الساعة السادسة ، وبعد أن أبدلت ملابسي  
مطت إلى الردهة حيث مكتب السيد محمد النور ، وهناك رأيته ومعه سائق  
السيارة التي ستنقلنا في اليوم التالي إلى الشمال السادس ، أو السيلوجة كما  
يسمونه ، وانفق معنا السائق على أن يقلنا ، ويعود بنا لقاء مبلغ مائة وخمسة  
وعشرين جنياً سودانياً ، وهي أن نبدأ رحلتنا في الساعة الحادية عشر صباحاً .  
حس ما ذهبنا ، زوجتي وأنا ، لتناول طعام الشام ، وقد فاتني أن أذكر  
تكريتيان يقدم في الغداء ولعشاء نظام المائدة المقنونة لقاء اثني عشر  
جني ونصف ، كما يقدم بداهة سائر أصناف الطعام حسب الطلب .



١٩٨٢/١٢/١٨

تناولنا طعام إفطارنا ، ومكثنا في ردة الفندق ننظر السائق الذي طلبنا أن اسمه أبو بكر الطاهر ، بينما نحن جالسين حضر إلينا السيد محمد النور ، وسألنا إذا كنا نقبل أن نقبل معنا زوجين أم سكينين على أن نقاسم المصروفات ويرتفع الاجر بالنسبة للسائق إلى ١٥٠ جنهما سودانيا ، ادلا من ١٢٥ ، وأجبتته بأن لا أعارض من حيث المبدأ. لكن حينما أشار إلى الزوجين وجدت معهما طمعتين ، إحداهما في الرابعة ، والثانية في السابعة ، فعدلت في قولي وأجبتته بأن لا مانع لدى أن يأتي الزوجان دون الطمعتين ، وفي الفندق مريبات ، مدربات لمراعاة الأطفال يستطيعان إستئجار واحدة وتركهما في رعايتهما . لكن يبدو أن الأم رفضت ، وقررت المسكوث في الفندق هل أن يصحبنا الزوج فقط .

اتضح أن السيد الطاهر السائق لم يكن قد ذود السيارة بالبنزين ، وأول ما فعل أن أحضارنا إلى محطة البنزين حيث رأينا لا أقل من مائة سيارة أجرة في الانتظار . كان الممرض أن يأخذ دوره ، لكنه استغل وجودنا وطلب من ناظر المحطة ، ومعه جنديين ، أن يتجاوزوا عن الدور لإكراما لنا ، بل وطلب من أن أخاطبهم في الأمر ، واضطرت أن أفعل وإلا كان علينا أن نبقى طوال النهار ، خاصة وأن الجو كان شديد الحرارة . وبالمناسبة أن الحرطوم هو ما شديدة الحرارة مثل هذا الوقت من السنة صمحا وجوها معتدل وقد يميل إلى بعض البرودة مساء .

خاطبت رئيس المحطة ، والجديين ووافقوا مشكورين على أن تنمدي دورنا ، وأدخلوا السيارة من جانب المحطة ، وقد قال رئيس المحطة لي مؤكدا أنه ما كان يعمل ذلك إلا إكراما لنا كصريين في الساعة الحادية عشر بدأنا رحلتنا فاتجهما شمالا ، وعبرنا كوري أم دومان ، واجتازنا المدينة نفسها. ومن

ثم انطلقنا إلى الريف وريف السودان قريب الشبه بريف مصر ، والواقع أن المرء لا يشعر مطلقاً أنه ترك بلده ، لما يلحاه من ترحيب من كل شخص يقابله أو يحتمك به .

بدأ الطريق جيد الرصف ، واستمر كذلك حوالى الساعة مررنا أثناءها بقرية كبيرة اسمها حلماية الملوك ، قال لنا السائق أيضاً أن هذه هي منطقة قبائل الكبابيش ، والسمات عموماً في الخرطوم وشمالها سمات عربية ، بل إن ألوان الوجوه ليست داكنه ، وإن كانت السمات الزنجية تبدو في بعض الأشخاص .

في الساعة الثانية عشرة ظهراً تركنا الطريق المرصوف ، وبدأنا طريقاً ممتداً ، وإن يكن لا بأس به نظراً لوضوح أن كثيراً من السيارات تمر عليه ، انتهت بعد قليل الزراعة ، وبدأ الضياع . ويجب هنا أن أوضح أن الرحلة جميعها لا تبعد عن النيل كثيراً بمعنى أنه لو مدت ترعة منه لاضحت جميع الأرض خصراء .

أيضاً اوضح أن السائق لم يكن يعرف الطريق ، ولا طريقه قبل ذلك خلافاً لما ادعى ونحن لدى السيد محمد النور .

بعد فترة قصيرة من القيادة اختفى الطريق ، وتمددت آثار عجلات السيارة في شق الاتجاهات كما تدرت السيارات نفسها ، وأضحى من التيسير على المرء أن يضل في تلك الصحراء أو الأرض الجرداء ، وكان السائق يسأل كلما صادفنا شخصاً عن الاتجاه الصحيح ثم يسلكه .

نمرت في تلك الأثناء على رفيقنا الأمريكي ، وهو مهندس زنجي الأصل اسمه كورنيل يعمل في شركة أرامكو في السعودية . وهو شخص لطيف مدنى المعشر ، لقي الصعاب التي صادفناها فيما بعد بروح مرحية . كان السائق متهوراً في قيادته خاصة وأنه يفود في منطقة لا يعرفها ، وطريق غير معبد ،

لم يكن الطريق في الواقع سيئاً جداً ، وإن وجدت بعض الحفر التي كان  
يمكن تفاديها لو كانت القيادة هادئة ، كنا نمر بقربة صغيرة اسمها جرى ،  
وهي في منطقة الجميلين ، حينما وقعت حادثة نتيجة القيادة المتهوررة ، ظاهرها  
العذاب ، وباطنها الرحمة . سمعنا صوت آلة للسيارة يعلو بشكل واضح إثر  
مرورنا على حفرة عميقة

كنا في ساحة وسط البلدة ، وكانت الساعة الواحدة والربع ، أي أن  
الشمس كانت على أشدها ، ولا طل قريباً حولنا إذ أن المبنى جميعاً واطئة  
لا تعطى أي نوع من الحماية . أوقف السائق السيارة وهبط منها ليرى  
السبب في الخلل .

اتهمنا المرصعة ، سيمور وأنا ، لنحرك أقدامنا ، بعد ساعتين ونصف  
الساعة من الجحوس ، سألت السائق إن كان يريد منا أية معونة إلا أنه قرر  
بعد أن قام بالتحقق أننا لا نستطيع حمل أي شيء حيث أن إحدى الحالتين  
التي ترفعان السيارة قد كسرت ، وبذلك مالت الآلة على أحد الجانبين ،  
وأننى شخصياً أشك جداً في أن هذه الحالة قد كسرت منه قبل ذلك ، وأصلحها  
ثم عادت وانكسرت الآن نتيجة لهوائته في القيادة .

كلامه تجمّع بعض العصبية حراً لنا ليرى ما نحن فاعلون ، واقترحت على  
السائق أن نضع راحة السيارة ، وهي من الصلب ، مكان الحالة المكسورة ،  
فرفض ، وتوقفنا لا ندري ماذا نعمل . هنا ظهر رجل طويل القامة في الحلقة  
الخامسة من عمره ، كان من الجلي أنه ذو حيشة في البلدة ، وهرقنا بنفسه قائلاً  
إنه الشيخ فضل الله الجميل .

قال إن منزله قريب ، واقترح أن نذهب زوجتي إليه لتتظفر بعيداً عن

الحرقى نرى ماذا سوف تصنع ، وحديث الاقتراح ، وملا ذهبت حتى  
وبقينا نحن إلى جوار السيارة لرى ما يمكن عمله .

جيبها عاد بعد أن أرسل زوجتى قال إن هنالك ميكانيكيا قريبا نستطيع أن  
نستعين به ، ثم سحب السائق ، وغابا عنا بين المنازل

انتهزنا الفرصة ، سيمور وأنا ، ووقفنا نلتقط بعض الصور ، خاصة  
لضريح جميل قريب من الساحة قيل لنا إنه مزار الشيخ عجيب ( أنظر  
الغلاف ) . لاحظت أن بعض الأطفال يحمل خبزا مما نطلق عليه القيو ،  
ومعنى هذا أن هنالك خبزا قريبا ومعناه أيضا أن القرية ليست صغيرة بالقدر  
الذى تصورته فى بادئ الامر .

ما لبث الشيخ فضل الله أن عاد معه السائق يصحبهما رجلا نوضح أنهما  
ميكانيكيان ، قام الجميع بعملية مربعة من التكنولوجيا الراقية ، فانبطح أحد  
الميكانيكيين على الأرض تحت السيارة ، ومعهم حجر كبير ، وأظهر الجميع لرفع  
الآلة تحت توجيه اب الاخ المنبطح على الأرض ، حتى تمكن من ضبط وضع  
الحجر ، ثم تركوا الموتور ليستقر عليه . دار السائق بعد ذلك الآلة فدارت  
كأحسن ما يمكن أن يكون دون أدنى صوت كأنها بالكاد خارجة من  
المصنع .

اقترح علينا الشيخ فضل الله أن نمتلك فى منزله قليلا لنشرب الشاي حتى  
يزيد الميكانيكيين من إحكام وضع الحجر ، وقبلنا .

دخنا إلى منزل قريب يحوطه سياج من اللبن يرتفع حوالى المترين والمزول  
يحتل قطعة من أرض هائلة المساحة ، ربما تقرب نصف فدان ، أو تزيد ،  
يشغل البناء فيها جزءا صغيرا لا يتجاوز المائة وحسين مبرا ، ومظيمة لطيف

إذ أن الحجر المواجه للباب مباشرة أمام مساحة كبيرة من الأرض الفضا.  
ومن الجنى أنه محصن لاستعمال رب البيت وأنه ربما يكون أيضاً لاجتماعه  
مع أصحابه وتسامرهم في المساء ، وراء ذلك يوجد باقي المنزل ، وإلى الجهة الشرقية  
باقي المساحة حديقها خضابة ليس فيها نبات أو شجر مجرد صياح فيها عددًا جزء  
يسير بالقرب من السور الخارجى قريباً من المنزل حيث أحيط السور من  
الداخل بجدار ليكرر مكاناً يستعمل لقضاء الحاجة .

لاحظت أيضاً وجود حنفية يصل إليها الماء من مواسير عميقة تحت الأرض  
وحيثما سألت صاحب الدار عما يعمده من الانتفاع بتلك المساحة الضخمة  
من الأرض في الزراعة ، أو غرس الأشجار سواء للأماكسة ، أو حتى الانتفاع  
بها لمجرد الجمال ، والظل وتخفيف حدة الحرارة ، أجاب بأن ما يعمده هو عدم  
وجود مياه ؟

شربنا بعد ذلك ليموناً بارداً شلتاً ، ثم قسم إلينا الشاي لمكن ما جعلنى  
أشعر بأننى ابن أهل حقاً هو تصرف الشيخ بمصر الله ذلك التصرف السهل  
اليسيط ، وكلامه عن مصر محب شديد ، وأخوة ، فهو مثلاً قل إنه عرف  
أننى مصرى بمجرد أن رآنى ، وقرر أنه يعرف المصريين لو كانوا بين عشرات  
من أبناء الأمم الأخرى . وحيثما طلبت أن يتحدث بمصر الصور لم يتعرض  
وإنما رحب بالفكرة .

كانت الساعة قد قاربت الثانية بالنصف ، وأسأدا من الشيخ فضل الله  
عدكر لنا أن الطريق إلى السبلوحة وكما قد فردينا المجاورة والاستمرار  
الرحلة دعر طريق ، ويمر وسط العراوى وأمسوف برس معنا واحداً من  
الأشبال ليدلنا عليه . ولما كان من الجنى أنه السائق لم يكن يعرف الطريق  
وقد رحبنا بذلك ، فأرسل معنا شاباً ربما يكون من الحلقة الثالثة ، أو أوائل



لرابعة عرفنا أن اسمه عمر محمد أحمد . ماكدنا نسر قليلا حتى عرفنا أنه من  
المتحجّل على من لا يعرف المنطقة ألا يضل ، فلا يوجد طريق ، والأرض  
جميعها منبسطة ، وتناثر بها أكوام من الحجارة والصخور السوداء الصخمة التي  
ست كأنما قد جمعها مردة يلمون ويتقاذفون بها .

استمر الطريق على هذا المنوال زهاء الساعة والسائق يسير تبعا لإرشادات  
الشيخ عمر حتى وصلنا إلى بلدة هلمنا أنها تدعى مسيكئاب في حدود الساعة  
ثلاثة والنصف .

قال لنا السيد عمر إن النهر والسيلوجة بالتالي لا تبعدان بأكثر من  
خمسة دقائق ظهرت البلدة ، وبها بعض المزارعات القليلة ، والأشجار ، ثم صعد  
- السيد عمر فلا صحرا قال إنه آخر ما يمكن للسيارة أن تصل . وبالفعل  
كان النهر يندر تحتنا .

شهر الليل الجليل أمامنا ، وفي وسطه جزيرة صغيرة تسمى مسكيت ، ومرنا  
صدامع الجبل ، أو التل ، فأبلنا بمجموعة كبيرة من الأشجار ومحروقة أخرى من  
البحر .

هنا أن هناك فرحا فأخذنا بعض الصور للمربس وأزواجه في حين  
تحت النساء في السير . وأصلنا تقدمنا ، وصحبنا صبي لطيف اسمه شفيق ثم  
- بنت إفتاة صغيرة ربما في التاسعة من عمرها . اسمها مدينة ، أن تركت المرح  
يربح الاثنان يطراننا يواهل من الأسئلة عن مصر . ولست اعتقد أنني في  
حاجة إلى أن أصف مدى سروري حينما رأيت قوة حب اطفال مصر ، بل  
ومدى ما يملئنا به عنها ، وما كنت أتصور أن هذه المناطق النائية يمكن أن  
تصل من العلم إلى هذا الحد .

عمر صعدونا الجبل . لى حتى شارفتا قمه تقريبا ، استطعنا أن نرى

سبحوة وهي ليست شلالا بالمعنى المعروف وإنما مجرد دوامات مائية قوية عند  
أس الخربة يصدر عنها عسر قوى عند قمة التل أذا را رجل في الحلقة السادسة  
من عمره وكما تشهد بعض المذروعات المسيطة ، إن تسكن فاجحة جدا من  
الحص ، والمجور ، والحرج ، وكأن ربيع الماء من الهر بواسطة آلة رفع  
تضخه في المواجه .

وحينما علم الرجل أن ما من ضرر يأتى من الله قائلا إنه أى الإبن زارهم  
ثلاث مرات ، وذهب إلى القاهرة وبور سعيد ، والإسماعيلية .

سألني الرجل عن سبب قتل المرحوم السادات ، وعن أنحنا وعن الرئيس  
الجديد حتى مبارك وأدى انهما ملاح طاب كل ما تحدثنا عنه كما وقف إلى  
جواره الطعان ، وحضر نجله ونظم آخر بعد أن انقطعا بعض الصور ونحذنا  
قليلا مع أشقائنا أحياء الزيارة ، وانحمننا إلى السيرة ومحبنا الجمع حيث كانت  
تقف ودعونا بعد أن ألح علينا السيد عمر أن نقتل الضيافة ، واعتذرنا ولن  
أنسى وجه الأعمال الثلاثة وأنا أذكرهم بأن حلنا بعد كل ما استطاع طبقا  
لظروفه وإمكاناته ، وأن ، جعلهم أن يتم الوجه الخيرية لجعل من الفطرين  
قطرا واحدا لا انفصال له ودعهم قائلا / تنسوا ، هنوا رؤوسهم إجماعا ...  
ولا أحسنهم سوف ينسون .

بدأنا رحلة العودة في الساعة الرابعة مساء . أمضى علينا الليل فلم نصل إلى  
المنطق إلا بعد الساعة السادسة ونصف

لم يكن في الطريق شيئا طرأ إلنا ، وكانت رحلة متعبة بجميع المعابر ،  
ولم ير شيئا يستحق الذكر فم يكن التلوجه بالقطار الذى به حق هذه المار  
كامل ، والى كنى مع هذا لا أعدل اليوم به شره أيام ، أنه قد أحسست إلى أى

مدى ارتباط الشعبين ، وفيه قد تذوقت بساطة الحياة ، وبساطة القلوب ،  
وبساطة الحب ، وعمقه .

أحبست بأبى ازددت معرفة بالسودان مما لو كنت تجوات في رده ،  
شمالا وجنوبا لقد بخل على القطر الشقيق ببعض الوفود ، ولكنه فتح قلبه لي  
أرواقه واحدة .

١٩٨٢/١٢/١٩

لم أرفائدة في الاستمرار في عارلاتي الذهاب إلى جوبا وقررت أن  
أترك هذا لفرصة أخرى .

أما شدي فقد قرر السيد محمد النور أنه لم يجد سيارة لنقلنا إلى هناك ،  
واقترح بديلا عن ذلك أن نستقل سيارات الركاب العامة . وقال إنه أصدقاء  
سوف يستقبلونا لدى وصولنا ، وأن لديهم سيارة يمكن أن نكثريها للذهاب  
إلى آثار مروة ، وحينما استفسرت منه على الفنادق الموجودة في البلدة قرر عدم  
وحددها ، وإن كان قد ذكر أن أصدقاءه على استعداد لأن يستضيفونا الليلة  
وعدت استفسر عن إمكانية العودة في أي م نفسه ، فقرر أن سيارات الركاب  
تستغرق أربع ساعات ونصف دها ، ومثلها في العودة مما يجعل الوقت صيقا  
حدا للذهاب إلى مروة فضلا عن الإرهاق ، ورفضت عرضه شاكرًا فلو أنني  
كنت بمفردي لفعلت ذلك ، لكن وجود زوجتي معي منعي ، وبالرغم من أنها  
اقترحت أن أتركها في الخرطوم إلا أبى رفضت

طلعت من السيد النور أن بعد لنا سيارة نقلنا إلى خزان جبل الاريام ،  
هناي وإن كنت رأيت قبل ذلك إلا أن زوجتي لم تشاهده فأجر لنا سيارته  
مقررًا أنها ستكون تحت أمرنا في الساعة الثالثة بعد الظهر . كان على بعد

ذلك أن أذهب إلى شركة طيران لوفتهازا الحجز التذاكر لباكر فإن الطيران من الخرطوم إلى دار السلام لا يمكن إلا أن يكون بواسطتها ، ولا تفلح طائرتهما إلا في يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع .

بعد أن انتهت الحجز ذهبت إلى فندق أكسليسيور لاشكر السيد على على محاولاته مساعدتها ، ثم حاولت أن اشترى بعض الافلام لالة التصوير فلم أجد في المدينة محلا واحدا سوى حانوت يدعى مصوراى النيل . ولما كافى فيما يبدو صاحبه مسيحيا فقد كان مغلقا إذ ليوم الاحد .

وعلى هذا عشت إلى الفندق لتناول طعام الغذاء استعدادا للرحلة وتفضل السيد النور بأن دعانا إلى تناول الشاي في منزله بعد أن نتهى من زيارتنا لحزان جبل الاولياء ، وقبلنا شاكرين .

تناولنا طعام الغذاء ثم ركبنا السيارة متجهين إلى جبل الاولياء ، وانطلقت السيارة عارة كبرى أم درمان ثم انطلقنا جنوبا .

كذلك قد ذكرت عن زيارتي في سنة ١٩٨٠ أن الضياع كان هو السمة الرئيسية في السودان ، وقتلت لعل الحال قد تغير ونحس في آخر ١٩٨٢ ، ولكن الوضع ظل كما هو ، فالأراضي الجرداء تمتد إلى ما لا نهاية محاذية للنيل . ومستوية ولا تحتاج إلا إلى بعض العمل الطفيف ومع ذلك فليس بها زرع ، أو شجر ، أو حبة مما يؤسف له أنه لم يجر شيء من إن مصبح السورج والمطبخ ما يزال على حاء . ولست احسب أن ميرا حدث فيه . أو أن إسهاء تمت حتى اللافتة التي تعمل بالخط العريض على إتش نه ما تزال موجودة كما هي .

في الطريق شاهدنا البطيخ الكونجو ، والبرتقال يبيعهما على القارعة رجل مسن وشاب ، ولم تكن لهما كمية الموزودة كبيرة الحجم أو العدد استمر سيرنا

حق. صلت إلى الخزان والساعة الثانية والخمسين دقيقة ، والقطنا بمصر المور ،  
كما اشترت سمكا طازجا لاعطيه هدية إلى السيد الأنور ، وقد دعت مدام  
أربعة جنيهات سودانية مقابل ما يزيد على خمسة كيلو جرامات من السمك ،  
أى أن الكيلو لا يزيد على سنتين قرشاً ، ولأول مرة أيضاً رأيت نرجساً من  
السمك لم أكن قد شاهدته إلا في الصور إذ أنه أتدلى تحت رأسه كرة منتفخة  
تضئ كذلك في انفاخها التام طالما كانت في السمكة حياة وحينما ماتت انكشفت  
الكرة لتألق بالرأس ، ولا يبدو لها أى أثر .

أثناء رحلة العودة اشترت بطيختين من الكونجوو سعر الكيلو ثلاثين  
قرشاً سودانياً كما اشترت ثلاث دسكات من البرقال ، وهو يباع هنا بالذسة  
سعر ثلاثة جنيهات سودانية ، وطلبت من السائق أن يحتفظ بها حتى وصلنا  
إلى منزل السيد أنور فقدمت الجميع ، السمك والبطيخ والبرقال كهدية ، قال  
لستق إن علينا أن نذهب أولاً إلى الفندق حيث أن السيد أنور موجود في الفندق  
وعب أن نمر عليه ثم نعود به إلى المنزل فلم نر بأساً من ذلك إذ أننا أيضاً  
كنا نريد أن نبدل ملابسنا

حينما ذهبنا إلى الفندق رأيت السيد محمد الأنور ، وقرر أنه استضاف  
يوسف صديقنا الأمريكى وزوجته وطفليهما وأنا سنذهب فوراً ، استأذنا  
في سبيل ملابسنا ، ومعلمنا تم ذلك ، وحينما هبطنا رأينا السيد محمد مستعداً  
ومعه ابنتين قال إن الزوجين ذهبا لشراء بعض الهدايا ، وقد تركا له البنتين  
مكافأة بذلك استغنيا عن جليسه الطاعناتيهما وعلقا أمانتهما في عنق السيد محمد .  
كان عرجاً متضرراً ، لكن لم يكن هناك مفر ،

وصلنا ، ومعنا الطاعناتين إلى منزل السيد محمد ، وهو فيلا أنيقة يبدو أنها  
كانت في وقت ما ملكاً لأحد الرعايايين وقد أحدث فيها السيد أنور بعض  
التبيلات حتى أتتاهم مع الطابق الشرقى ، وتعرفنا على السيدة زوجة وهى  
سيدة لطيفة محترمة ، أخبرتنا أن أحد والديها ، ولا أذكر أيهما مصري .



رأينا أيضا ابنته وهي طفلة ظريفة حاولت جدها أن تلعب مع الطولتين الأمريكيتين ولو أنها لا تعرف الانجليزية تناولنا القهوة على الطريقة السودانية ، وتربنا صير أبارداً ، ومكثنا نتحدث كأهل زهاء الساعة ، ولم نرد أن ننقل عليهم أكثر من ذلك فاستأذنا في العودة . وصحبنا السيد الأنور إلى الفندق ، ومعه البنتين الأمريكيتين .

أردت أن أدفع حسابي في المساء لأن الطائرة كانت سرف تقوم في السادسة والأربعين دقيقة ، ومعنى هذا أن نتواجد في المطار في حدود الخامسة والنصف ، أو قبل ذلك أردت أن أقوم أيضاً بتجربة فطلبت من السيد الأنور أن يصحبني إلى مدير الحسابات في الفندق فنفضل وفعل ، وحينما قابلت الرجل سأته يا إلهي إني مصري ، وأريد أن أسدد حسابي بالجنهيات المصرية ، فأجاب بما ترجمت بأن الجنيه المصري ليس له حساب في السودان ؟

طلبت منه أن أدفع حسابي بالجنيه السوداني ، فأجاب بأنني يمكنني أن أفعل ذلك إذا أثبت أنني قد أبدلت دولارات عن الطريق الرسمي بقيمة تسمح بسداد الفاتورة . وحينما أجبتته بأنني كمصري يجب أن أعامل كالسودانيين ، قال إنه ليست لديه تعليمات بهذا ، ولما كنت في الواقع لأحل جنهيات مصرية ، وكنت قد استبدلت فعلاً ما يمكنني من الدولارات بالطريق الرسمي ، لكي أدفع قيمة الحساب ، يا إلهي لم أعترض إنما أردت فقط أن أثبت هذه الواقعة حتى يعنى المسئولون عن التكامل هذه النقطة .

شكرت السيد الأنور ، ودفعت حسابي ، وطلبت أن نعد لي سيارة أجرة في الصباح المبكر . انفقنا مع السائق على أن يكون أمام المدق في الساعة الخامسة صباحاً وأن أجره لتوصيلنا إلى المطار وهو عشرة جنهيات سودانية ...

ركت السودان وفي قلبي حسرة . وفي حلقى غصة ، فقد كنت أود من كل جوارح أن أضاع أمام كل مصري حقيقة إخوانه في الجنوب ، وأعلمه بكيمى ما ذكرت من كرم السيد محمد الأور ، والسيد على السيد والشيخ فصل الله الجملى ، وحب وبساطة الأبطال الثلاثة عند السبلوحة ، شفيق ومهر ومدينة ، ولعلى رجحت من هؤلاء أكثر مما يتصور البعض على أى الأحوال لنا هود وهذا وعد ، إن كان فى العمر بقية .

فى المطار تقابلنا مع صاحبنا الأمريكى سيمور وعائلته ، وكان قد أخبرنى أنه سوف يستقل الطائرة نفسها معنا إلى أديس أبابا فقط حيث سيمضون باقى الأجارة فى الحبشة وسألنى نصيحتى عن الأماكن التى يمكن أن يزورها فأخبرته أن أهمها ما يسمى بالرحلة التاربخية وهى تشمل بحر دار ، وجندور ، ولاليللا واكسوم وإن كنت لا أدري إن كان سيسمح لهم بزيارة الأخيرة نظراً لوجود اضطرابات بها ، أو على الأقل هذا ما حدث بالنسبة لنا عند ما زرنا الحبشة فى السنة الماضية .

# جمهورية تنزانيا الاتحادية

تتكون الجمهورية من اتحاد دولتين : جزيرة زنجبار ، وجمهورية تنجانيقا  
وربما يسكون من المستحسن أن تتكلم من كل على حده

## ( ١ ) تنجانيقا

مساحتها ٢٦٣٦٨٨ ميلا مربعا ، أو ٩٢٧٠ كيلومترا مربعا أى أنها أكبر  
أربع مرات من بريطانيا .

وعدد سكانها يزيد على أربعة عشر مليونا ، معظمهم من البانتو ، وبها  
أكثر من مائة وعشرين قبيلة ، ليس بينها من له الأغلبية الساحقة كالكميكويو  
في كينيا مثلا وإن تسكن قبيلة السوكومو تمثل ١٣ / من مجموع السكان .

وليس معنى هذا أن الدولة منقسمة على نفسها فليها رابطة قوية ربما  
أكثر من معظم الدول الأفريقية ألا وهو أن معظم الساحق من الأمالى  
يتكلمون لغة واحدة هي السواحلية .

أما الأديان فهي الإسلام ، والمسيحية ، والوثنية بنفس غير معروفة تماما  
وإن كنت اعتقد شخصيا أن الأغلبية وثنية ؛ ثم يتفوق الإسلام خاصة على  
السواحلي .

العملة المستعملة هي الشان الترناني ، والدولار يساوي تسعة شلنات ونصف  
تقريبا بالسعر الرسمي ، وأكثر من خمسة وخمسين بسعر السوق السوداء ، أى  
ما يقارب السنة أضعاف . والهنود والآسيويون كثيرون ، وهم الذين بأيديهم  
كل التجارة تقريبا ولعل ذلك كان من ضمن أسباب ارتفاع سعر الدولار في  
السوق الحرة نظرا لشدة إقبال الهنود على شرائه .

# شمالی ایشیا



وتاريخ تنجانيقا مرتبط إلى حد كبير بتاريخ العرب ، وخاصة عرب عمان  
أولاً ، ثم زنجبار ثانياً ، فقد سكن العرب بفدوى للتجارة تحملهم الرياح الموسمية  
الشمالية ، واستقر كثيرون على السواحل ، وأنشأوا محطات تجارية ثم  
تراوخوا من الأهالي ، وما لبثت تلك المحطات أن أصبحت مدناً ، شأن جميع  
الساحل الشرقي الإفريقي تقريباً ، وفي أواخر القرن السادس عشر اكتشف  
البرتغاليون الطريق إلى الهند من رأس الرجاء الصالح ، ثم مالبتوا في أوائل  
القرن السابع عشر أن طردوا العرب واستعمروا كل الساحل الشرقي لإفريقيا  
وإن لم يتوغلوا في الساحل . استمر الحال هكذا حتى قرىبت شوكة العمانيين  
في القرن الثامن عشر ، فاستردوا المدن الساحلية وطردوا منها البرتغاليين  
إلى رأس الجادو ، جنوبي نهر روفوما ، وكأسماء باتفاق مسبق أصبح للعرب  
الساحل حتى تلك النقطة وللبرتغاليين ما وراء ذلك ، أو ما هو معروف الآن  
باسم موزمبيق .

استمرت المنطقة معتبرة من ممتلكات عمان ثم من أملاك زنجبار بعد ذلك  
حينما نقل السلطان سعيد مركز عرشه إليها في سنة ١٨٣٢ إلى أن أتى الألمان  
واستولوا عليها ، ووافدة انجلترا سنة ١٨٨٥

حينما قامت الحرب العالمية الأولى كانت تنجانيقا مدمراً بالحرب بين  
الألمان والبريطانيين ، ولما هزمت ألمانيا سلم القائد الألماني بقايا جيشه إلى  
انجلترا ، ووضعت الأمم المتحدة تنجانيقا تحت الوصاية ، وعينت انجلترا  
وصية عليها . وفي التاسع من ديسمبر سنة ١٩٦١ دالت استقلالها تحت قيادة  
حزب تانزانيا ، أو اتحاد تنجانيقا الأفريقي الوطني برئاسة جوليس نيريري  
الذي أصبح أول رئيس للجمهورية في أول نوفمبر سنة ١٩٦٢ .

وفي يناير سنة ١٩٦٤ قامت ثورة زنجبار ، وانتهى نظام الحكم الملكي  
بها ، وفي أبريل من السنة نفسها تم الاتفاق على الاتحاد بين الدولتين



تحت اسم تنزانيا تحت رئاسة نيريري ، وعيد كارو كنانث أول رئيس ،  
ورشيدى كاواو نالبا نالبا .

٢٠ / ١٢ / ١٩٨٢ فابع -

توقفت الطائرة في مطار الحبيشة ، ولم يسمح للركاب الذين سافروا  
يستمررون في رحلتهم بالنزول . وودعنا صديقنا الأمريكى ونائمه ، ثم  
أضمتنا إلى دار السلام لنصلها في الساعة الواحدة والنصف . ثم أكرهنا  
في أى فندق ، وحينما سألت عن الفنادق قيل لى إن أحسن نزل هما نيو  
أفريقيا ، وكلما نزلوا . ومطار دار السلام صغير ، الفناء ضخمها إذ يزيد  
عدد سكانها على ثلاثمائة ألف نسمة ، وهو أيضا مطار غير نظيف ، وغير  
منظم . والحفائب فيه تسل من الخارج إلى الركاب باليد ، أى أنه يوجد  
سعر متحرك توضع عليه . وكان تفشيش الجرك سهلا غير معقد ، واتقينا بعد  
ساعة من وصول الطائرة .

أكثرىت سيارة أجرة ، وهى قديمة ، يرجع طرازها إلى أكثر من عشرة  
سنوات ، شأن جميع سيارات الاجرة تقريبا في البلد ، والقيادة ، على الجهة  
اليسرى شأن جميع البلاد التى كانت تحتها بريطانيا . أقلتنا إلى فندق نيو أفريقيا  
وهو يقع وسط البلدة ، لقاء مائتى شل تنزاني . ومن النظرة الأولى تبدو البلدة  
واسعة ، والطرق جيدة الرصف ، كثيرة المباني الحديثة ، وتشتد بها حركة  
البناء ، إلا أننا بعد أن مكثنا بها قليلا انضغ مدى الأعمال والصيانة .

أعلمونا بحجرة في الجهة الغربية في الطابق الثالث ، تقبل على الشارع ، وكان  
تشكييف معطلا في حين أن الجو كان شديد الحرارة ، والرطوبة . تركت  
فوجئى بالحجرة لتعد الحفائب ، وذهبت إلى شركة سياحية ، تقع أمام الفندق  
مباشرة لأرتب زيارتنا القادمة ، وأكثرى سيارة ، لكن صاحب الشركة  
( ٢ - سفارى )

أقبأى بأه غير مستعد للاجابة على أسئلتى ، وأنه سوف يرتب لنا برنامجا للسياحة ، ويعرضه على فى الغد صباحا . تركته وذهبت إلى شركة مصر للطيران لتأكيد رحلتنا الدولية ، وهناك استقبلنى السيد مصطفى عيب الرحمن أمين ، مدير فرع الشركة وكان دقيقا إلى أقصى حد حتى أنه كلف أحد الموظفين بالتوجه معى فى صباح اليوم التالى إلى شركة طيران موزمبيق بتأكيد حجزنا التالى .

عدت بعد ذلك إلى الفندق ، وأشار على موظف الاستقبال بأن أذهب إلى الطابق السادس ، لأقابل السيد ملايو إن كنت أرغب فى السياحة داخل البلاد . فشكرته ذاكرًا أنى قد كلمت فعلا شركة سياحية أخرى . وبهذه المناسبة أود أن أقرر أنى لاحظت أن كل أصحاب المتاجر ، وشركات السياحة ، بلا استثناء ، من الخنود ، وذلك فيما عدا المنشآت الحكومية . تناولنا عشاءنا فى الفندق ، واستبدلت بعض الدولارات بالعملة المحلية من خزانة الفندق .

١٢ / ٢١

ذهبت فى الصباح إلى شركة السياحة ، وهناك قابلنى أحد أصحابها وقال إنهم لم يستكملوا بياناتهم بعد ، ورجانى أن أعود فى الساعة الثانية عشرة . ولما كنت قد تركت نذاكر سفرنا لدى شركة مصر للطيران لتأكيد الحجز إلى موزمبيق ، فقد ذهبت إلى الشركة لأرى ماذا فعلوا . لم يكن الحجز قد تم ، وحاول الموظف المختص الإتصال هاتفيا بشركة طيران موزمبيق لكنه لم يوفق ، فعرض على أن أرافقه إلى مقر الشركة ، الذى لم يكن بعيدا ، لإتمام تأكيد الحجز ، فوافقته وذهبنا إلى هناك واتممت التأكيد .

كان ما يزال لدى متسع من الوقت قبل موعدى مع شركة السياحة ، فرأيت أن أسأل شركة أخرى ، وفعلنا ذهبت إلى شركة كيمسلا ، وهى شركة جادة ، وطلبت منهم أن أكرى سيارة لمكن الموظفة المختصة قالت إن الطريق إلى

أرشد ، حيث كنت أزمع الذهاب أولا ، غير مرصوف ، ومتعب ، وطويل  
وأخبرتني باستخدام الطائرة إلى مطار كليما نجارو ، وهو أيضا مطار اروشا ،  
ثم سيستخدم السيارة من اروشا ، وبهذا أوفر الكثير من الوقت ، والجهد ، والمال .  
صحت أن نعد لي برنامج الزيارة الحدايق المعتوسحة في تلك الجهات ، وذلك في  
بحر ريجورو ، وسيراندا ، ولوبو ، وبحيرة مانيارا ، ووعدتها أن أعود  
لأجمع على ما فعلت في اليوم التالي وإن وافقتي السعر ، والبرنامج ، فلا مانع  
عسى . هذا إذا لم أكن قد تماعدت مع الشركة السياحية الأخرى .

تركت شركة كيسلر وعدت إلى شركة السياحة الهندية ، لأنهم لم يكونوا  
قد فعلوا شيئا ، فصرفت النظر عنهم ، وحينما عدت إلى الفندق أشار على كاتب  
الاستقبال للمرة الثانية ، بأن أقابل السيد ملايو في الدور السادس مقررا أنه  
يستطيع أن يخدمني ، ووعدته أن أفكر في الأمر ، والواقع أنني لم أرمانعا  
من أن أسأله أن يقدم لي عرضا ، فإن كان أحسن من كيسلر قبلته . تناولنا  
صباح نقاء ، واسترحنا قليلا ثم أخذت سبيل إلى الطابق السادس فإذا به تحتله  
شركة سياحة الترانزية ، وهي شركة حكومية . طلبت مقابلة السيد ميلايو  
فدخلني سكرتيره ، وإذا هو أحد مدبري الشركة ، وحينما أخبرته بما أريد  
وعسى أن يمد لي برنامجا في الفندق فشكرته ، وعدت إلى حجراتنا . خرجنا  
من قنصل قليلا نتجول في المدينة لكننا لم نتمكن طويلا إذ أن المحلات  
تغلق مساءه الرابعة والنصف ، وتكاد الطرقات وشوارع أن تكون خالية  
من حركة بعد هذا الوقت .

١٢ ٢٥

في صباح ذهبت ، زوجي وأنا ، إلى شركة كيسلر ، وأعطينا الموطوعة  
عنده تعرضت لدى وعدتنا به ، ولم يكن به بأس ، إلا أنه كان مرتفع السعر

قليلا ، وينحصر فقط في زيارة المناطق الشمالية من البلاد ، كما أن السفر كان يبدأ في يوم ٢٤ صباحا بالطائرة إلى مطار كليما هارو . وهو نفسه كما ذكرت مطار أروشا المدينة التي سوف تبدأ منها رحلتنا بالسيارة ، وعدتها أن أراجع الكشف ، وأفارنه بالكشف . لدى سيقدمه لنا السيد ماريو طهرا . (تجهزنا بعد هذا إلى سفارة موزمبيق لأحد التأشيراتين هن جوازي سفرنا حيث أنه لا يوجد لها سفارة في مصر .

أعطينا الجرازين إلى الموظف المختص في السفارة ووعدنا أن يكونا منتهين في صباح اليوم التالي أمام سفارة موزمبيق تماما ، رأيت مبي سفارتنا قد دخلت ، وقد معنا أنفسنا للموظف الاستقبال ، وقدنا لنا لا ريد شيئا ، وإنما هي مجرد زيارة بمحاملة قادتنا الموظف إلى حجرة الاستقبال ، ثم بعد فترة حضر إلينا السيد مستشار السفارة ، ورحب بنا ثم قادتنا بدوره إلى الطابق الأول حيث قابلنا السيد السفير الصغير محمود حلمي سعيد ، وكان رقيقا معنا إلى أقصى الحدود وبجملات . احتسبنا معه قهوة مصنوعة على الطريقة المصرية ثم سألنا إن كنا في احتياج إلى أية معونة . فأجبنا بالنفي شاكرين .

مكثنا حوالي نصف ساعة ، ثم تركنا السفارة إلى الفندق حيث صعدت زوجتي إلى حجرتنا ، وصعدت أنا إلى الطابق السادس . أدخلتني السكرتيرة إلى السيد ماريو الذي قد أعد لنا نظاما للرحلة ، وحينما اطلعت عليه ، وجدت أنه وافق رغباتنا مع تعديل طفيف ، فثلا لم تكن تستطيع الارتحال في اليوم التالي إلى أروشا نظرا لأن علينا أن نتوجه إلى سفارة موزمبيق لاسترداد جوازي سفرنا ، وبالتالي نعدل البرنامج على أن يكون السفر في يوم ٢٤ / ٢٢ بدلا من ٢٣ / ٢٢ . واستدعى ذلك إجراء تعديلات أخرى بسيطة .

عدت بعد ذلك إلى كيسلر ، واعتذرت له موظفة بأني وجدت أن عرض السيد / ماريو أوفق بالنسبة لنا ، فقالت إنها كانت قد حجرت لنا على الطائرة التي ستقوم إلى مطار كليا نهارو بعد باكر ، وإما متافى الحجز ، ولا أدري ما الذي دفعني أن أطلب منها عدم إلغائه حتى نقاكد من تنفيذ ماريو التزامه ، وكانت لطيفة حينما أجابتنى إلى طلبي . ذهبت إلى الفندق بعد ذلك ، وتناولنا طعام العشاء ، وعدنا إلى حجرتنا فاذا بالسيد ماريو يطلب مقابلي وفعلنا حضر إلى الغرفة ، وأفاد بأن كل شيء معد إن أردت تنفيذ البرنامج ، وأنا يمكننا الحضور إلى مكتبه في صباح اليوم التالي لنُدفع مصاريف الرحلة ونمن التذاكر بالطائرة ، وتواعدنا على الساعة العاشرة صباحا .

١٢ / ٢٣

صعدت إلى الطابق السادس في المرحل المحدد ليكن السكرتيرة أخبرتنى أن السيد ماريو يعتذر لأن عملا صارنا استدعى تخلفه ، وأنه سيأتي في الساعة الثانية عشرة ، ولما كان على أن أذهب إلى سفارة موزمبيق لاستلام جوازي السفر ، فقد وافقت .

في سفارة موزمبيق وجدت أن الموظف المختص قد نسي جوازي سفرنا في مكتبه ، ولم يرسلها إلى القنصل لإعطائنا التأشيرة ، ولما كانوا جميعهم يتكلمون البرتغالية التي لا أعرف منها سوى بضعة كلمات ، وكانوا هم لا يعرفون من اللغات الأخرى شيئا تقريبا سوى كلمات قلائل ، فإني طلبت أن أحاطب القنصل لأشرح له ضرورة سرعة منحنا التأشيرة نظرا لاعتزامنا السفر إلى أروشا في اليوم التالي ، وفعلنا تخاطبت مع القنصل الذي وعد أن تكون التأشيرتان معدتان في الساعة الثانية من اليوم نفسه .

كانت ما تزال هناك ساعة تقريبا على موعدى مع السيد ماريو فقضينا ،



زوجتي وأنا ، الوقت بحسب طرقات المدينة ، وتناولنا القهوة في أحد المقاهي .  
في الموعد المحدد ذهبنا إلى الفندق ، وقابلت السيد ماريو ، وأعطيتة القود  
وأعطاهما بالتالي إلى أحد موظفيه ليقوم بإسدادهما ، وإحضار الإيصال ،  
وتذاكر السفر على الطائرة .

بعد حوالي الساعة عاد الموظف مقررأ أن الدفع في أروشا ، وأنه لم يجد  
لنا أماكن في الطائرة التي ستطلع غدا بعد الظهر .

هنا ذكرت للسيد ماريو أنني كنت قد حجزت مكانين لدى شركة كيسلر  
وأنني طلبت من الموظفة عدم إلغاء الحجز حتى اتصل بها فطلب مني الذهاب  
واستلام التذاكر ، خاصة وأن حجز لفنادق في أروشا وسائر الأماكن قد  
تم فعلا .

على ذلك ذهبت مع الموظف إلى كيسلر ، وهناك وجدت أن الموظفة لم تلغ  
حجز التذكريتين ، فدفعنا ثمنهما وشكرتهما ثم طلبت من الموظف الذي أرسله  
ماريو أن يعتذر له ، مقررأ أن على أن أذهب إلى سفارة موزمبيق لإحضار  
جوازى السفر ، وأننى سأمر عليه في وقت لاحق ، وفى اليوم التالى صباحا  
حيث أن موعد سفر الطائرة إلى أروشا بعد الظهر .

تناولنا طعام الغداء ، زوجتي وأنا ، ثم تركتهما لأذهب إلى سفارة  
موزمبيق ، وذكرت أنها سوف تتجول في المدينة لتقوم ببعض المشتريات  
ثم تعود إلى الفندق ، في الساعة الرابعة والنصف أى حين غلق المحلات ، ذهبت  
إلى سفارة موزمبيق وهناك اتضح لى أن جوازى السفر لم يسكونا معدين ،  
فتضررت جدا ، وسمكت في الاستعانة بسفارتنا ، إلا أن القنصل أكد لى  
أنهما سيكونان جاهزين في أقل من ساعة ، ولما لم يكن لدى همل آخر سوى

مفحة السيد ماليايو في الفندق لإتمام آخر إجراءات رحلتنا فقد مكثت في  
السفرة ونظرا حتى استلمت الجوازين في حدود الساعة الثالثة .

ذهبت بعد ذلك إلى الفندق ، وصعدت لتوى إلى الدور السادس ، دون  
أمر على حجرتنا في الطابق الثالث ، لمعرفتي أن زوجتي لن تكون  
موجودة . تقابلت مع السيد ماليايو الذي أعاد لي باقي المفقود ، قائلا إنه يجب  
أن دفعها في أروشا ، وذكر أنه تخاطب هاتفيا مع مدير فرع الشركة هناك  
وسمه السيد ريرا ، وأنه سوف ينتظرنا في مطار كليمانجارو ليصبحنا إلى فندق  
مونت ميرو . تركته في حدود الساعة الرابعة وهبطت إلى حجرتنا في الدور  
ثالث على أمل أن تكون زوجتي قد وصلت لكنني بعد أن طرقت الباب  
صدمت بفتح ردا فزات إلى الاستقبال ، وانصلت بالحجرة هاتفيا عسى أن  
تكون موجودة ، ولم تسمع طرفاتي لسبب أو آخر ، لكن لم يرد على أحد ،  
وعنه ذهبت إلى القهوة الملاحقة بالفندق ، وطلبت الشاي .

و الساعة الرابعة والنصف أعدت الكرة بأن اتصلت هاتفيا بالحجرة ولم ألق  
ردا ، فالتفتني يداخلي حيث أن المحلات التجارية تطلق كما ذكرت في الساعة  
الرابعة والنصف ، وتحوي الطرقات عادة من المارة ، مد ذلك ، لذا صالت  
كاتب الاستقبال إن كانت هنالك مذكرة لي إلا أنه أجاب بالنفي . استبدني  
الحق ، وأنا أنظر إلى عقارب الساعة تتحرك مشيرة إلى الرابعة ، وأربعين  
دقيقة كان هناك احتمال أن تكون زوجتي قد ابتعدت عن الفندق في نحوها  
في سيرة ، وأما بذلك سوف تستغرق وقتا في العودة بعد إغلاق المحلات ،  
سكني و فرارة نفسي كنت أعلم أنها عادة لا تبعد كثيرا عن الفنادق القريبة ،  
ولا حبا يكون معها مراق ، لهذا لم أستطع الجلوس ، وداخلتني الحواس  
صرحت من الفندق أجوس قليلا في الطرقات المحيطة عسى أن  
تجدها .

أضحت الساعة الخامسة ، ولا أثر لزوجتي ولم أستطع الانتظار أكثر من هذا ففكرت أن أعود إلى الفندق فإن لم تسكن قدامات فعلى أن أنصل بأقسام الشرطة ، والساعة وأبدأ في البحث الجدي . دارت في مخيلتي احتمالات لأحد لها لما يمكن أن تلاقبه سيده وحيدة في بلد أجنبي . هل صلت الطريق ؟ هل سرقت حقبتها ؟ هل أصابها ميكروه ؟ هذا ، وحشرات الاسئلة والاحتمالات تمر بمخيلة امرء ، وليس بينهما احتمال واحد جيد .

حينما عدت إلى الفندق انسلت هاتفا بمحجرتنا ، ولا تسلم عن مدى سروري وراحتي حينما ردت على زوجتي . في لحظات تحول قلقي إلى راحة يمازجها غضب عن زوجتي التي تسببت دون داع ، في اعتقادي ، فيما لاقيته .

من الاستقبال إلى المصعد ، ومن المصعد إلى حجرةتنا ، وطرقت الباب ففتح . كنت عن وشك أن أقذفها بمصر كلات حادة حينما انعقد لساني دمهشة لم تسكن بمفردها وإنما كان معها سيدتان تنزائيتان . تماهكت نفسي ، ودخلت وابتدرتني كبرى الاثنين قائلة بالإنجليزية إنه لا داعي للانزعاج ، وأن الأمور على ما يرام .

وكان علي بعد ذلك أن أستمع إلى قصة زوجتي . قالت إنها أخطأت إذ أرادت عبور الطريق وأم ، وهي معتادة على القيادة في الجهة اليمنى ، قد نسيت ذلك ، ولم تنبيهني إلى أن القيادة في تنزانيا إلى الجهة اليسرى ، وبالتالي التفتت في الناحية الخطأ ، وكانت النتيجة أن صدمتها سيارة ألقت بها على الأرض ، ثم لم تتوقف ، وانطلقت .

شاهدتها السيدتان وهي ملقاة والدماء تنزف من رأسها فأخذنا إلى إحدى المستشفيات العامة ، وانصح أن نؤخرة رأسها جرحا مستطيلا احتاج إلى خياطة ، وأما هذا فلم يتعد مجرد الكدمات ، والسجحات في الذراع ، والساق . سألتها إن كانت تشعر بالألم في رأسها بالذات ، فأجابت بأنها آلام عادية ليس

حيما به يخيف . ولما استغمرت منها عما إذا كانت قد رأت السيارة التي صدمتها  
أحدث بالنسي ، وقالت إنها تظن أن سيارة السيدتين هي التي صدمتها ، وإن لم تكن  
مؤكدة . على أي الأحوال شكرت السيدتين على ما قامتا به ، وحتى إن كانت  
سيروته هي التي تسببت في الحادث فعلى الأقل لم تتركها زوجتي جريحة  
وتهران ، وإن لم تكونا هما المتسببتان فإن منيهما مضاعف .

تركنا السيدتان ، وهبطت معهما إلى كاتب الاستقبال ، وسألته عما إذا  
كان هناك أطباء يستطيع الانحلال هم ، إذ أنني كنت غير مطمئن إلى أعمال  
المستشفى العام . أجاب الكاتب بأنه لا يوجد أطباء بعد الساعة الواحدة  
والنصف إلا في الإسعاف ، والمستشفى العام ، ون للفندق طبيبا لكنه لن  
يكون موجودا قبل الساعة التاسعة من صباح الغد . عدت إلى حجرتنا  
موجدة أن زوجتي قد تناوأت مضادا حيويا كانت المستشفى قد صرفته  
هـ . كما أحدث من صيدلية صغيرة حبوب الأسيرين ، واستأققت على  
تعرش نسيج حدث الله على لهائمه ، من الجلى أن الإصابة كانت بفضل  
نعملي غير خطيرة ، كما أنه لم يسرق منها شيء ، مع أنه كانت معها أغلب  
خزودنا .

١٢ ٢٤

لم تكن زوجتي قد استراحت تماما في نومها نظرا لأن السلك الذي خيط  
هـ الحرج كان يضايقها .

وواقع أنه استمر كذلك لبضعة أيام ، تناولنا أفطارنا ، وصحبنا معي  
في غيب الفندق الذي كشف عليها ، وطماننا على أن الحياطة جيدة ، وأن  
الحرج نظيف ، وأعاد الفيار على الحرج ، ثم كتب دواين لم يزيدا على  
حدد حيوي ، ومسكن للآلام ، اشتريتهما من الصيدلية المقابلة للفندق .

سألت زوجتي إن كانت تريد أن تغير برنامج الرحلة لكي تستريح بضعة أيام في دار السلام حتى يلتئم الجرح ، وبفك السلك ، فأجابت بالنفي مقررّة أن ما تشعر به لا يزيد على ألم خفيف إن يعوقها عن الحركة ، أو يتطلب راحة خاصة ، ولما كنت قد سألت الطبيب عن إمكان تحركها أكّد أن لا خطورة في ذلك مطلقاً ، وإني صممتها إلى الحجرة ، وطلبت منها عدم الحركة طوال اليوم حتى يحين موعد الطائرة .

لم تتحرك تقريباً بعد ذلك من الحجرة . أعددتنا حقائبنا ، ووضعت إحدى الحقائب في أمانات الفندق حين عودتنا ، وفي موعد الغداء، هبطنا إلى قاعة الطعام، ثم عدنا إلى الحجرة لتستريح زوجتي . في حدود الساعة الثالثة حضر إلينا سائق من طرف السيد ماريو ، ودفعنا حسابنا في الفندق ، واتجهنا إلى المطار . أفلتت الطائرة في الساعة الرابعة وأربعين دقيقة وهي يومئذ ١٩٧٧ . ووصلنا إلى مطار كليمانجارو قبل السادسة بقليل . ومطار كليمانجارو صميم ، سكنه نظيف ، وأكثر نظاماً من مطار دار السلام ، وهو أيضاً مطار دولي يستقبل الطائرات الدولية .

أثناء وقوفنا في انتظار الحقائب اقترب منا شخص وذكر اسمي ، ولما أحبه قال إن السيد ريزا ينتظرنا في الخارج ليقائنا إلى الفندق . بعد أن استلمنا الحقائب استقبلنا السيد ريزا مدير فرع لشركة السياحة في أروشا وهو شاب في الحلقة الرابعة من عمره ، وأخذنا إلى سيارة فو لكس واجن ميكروواس . وادعانا في الطريق إلى أروشا . بعد حوالي خمس دقائق تفرع الطريق إلى فرعين أحدهما اتجه إلى جبل كليمانجارو ، وكنا نراه على بعد ، والآخر إلى جبل ميرو حيث توجد مدينة أروشا ، وحيث فندق مونت ميرو الذي سنزل فيه .

والمدينة على بعد حوالي خمسة وعشرين كيلو متراً من المطار ، والطريق



جدة . صنعت ، ومعظمه يمر في وادي لا زرع فيه ، ولم تبدأ المزروعات إلا في المدينة بحوالى خمسة كيلو مترات ، أو ستة ، ومعظمها للموز . وصلنا بعد نصف بعد السادسة والنصف . وهو فندق جميل ضخم يقع خارج المدينة ، ويبعد عنها بحوالى كيلومتر واحد ، وبالفندق حمام للسباحة ، وملحق به مساحة واسعة للجراجات ، وركوب الخيل ، كما أنه من الناحية الأخرى على جبل مير والمناشىء ، وكانت حجرتنا جميلة هادئة تطل على حمام السباحة ، ومصب الجراف من ورائه وبها شرفة كبيرة .

ترك السيد ريزا بعد أن رفض أن يأخذ النقود مقابل الرحلة مقرراً أنه سيحضر إلينا في الصباح التالي ، بعد أن يكون قد أعد السيارة التى سوف نستخدمها في رحلتنا إلى الحدائق المفتوحة ، كما ذكر أن فى ذلك مشكلة إذا لم نجمع سيارات الشركة مشغولة نظراً لأننا فى موسم الأعياد ، لكنه سيحاول أن يرتب لنا بشكل ما سيارة . لم تنعب الرحلة زوجتى والله الحمد ، وتناولنا عصياً مبكرين ، وآويتنا إلى الفراش .

١٢ / ٢٥

م يحضر السيد ريزا فى الصباح المبكر كما وعد ، وإنما حضر فى حدود الساعة عشرة ، وذكر أنه لم يستطع أن يعد لنا سيارة ، ثم قال إنه اتفق مع شركة سياحية ، اسمها : « بوبى تورز » ، وصاحبها هندي يدعى مستقلى يوسف . أخبرنى على أن يقوم هو بالرحلة بدلاً من الشركة الحكومية ناشيو نال تورز . بكر أسمى أى خيار بعد أن قطعت هذه المسافة ، وأسفت إذ لم أستفد من عرض شركة كيسلر فى دار السلام . اضطررت أن أذهب مع السيد ريزا إلى اروشا ، وهى بلدة صغيرة وإن كانت طرقها واسعة ، وحديثة ، وهناك قابلت السيد مستقلى الذى طالب مبلغاً كبيراً ، وبعد بعض المناقشة قرر تخفيضاً خفيفاً ، ولم يكن لدى مندوحة من القبول .

تركته على أنه سوف يعد لنا السيارة لنقلنا في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي لنبدأ رحلتنا . وقضينا بقية اليوم في الفندق . والواقع أنني ، وإن كنت قد تضررت من التأخير ، والتلاعب ، إلا أنني من ناحية أخرى رأيت أن في ذلك فائدة إذ أنه يعطى زوجتي فرصة أكبر للراحة ، وفعلنا قضينا الوقت بين عرفتنا ورددة الفندق ، والمطعم ، ولم تشك زوجتي من أي تعب .

١٢ / ٢٦

استيقظنا مبكرين ، وأعددتنا الحفائب ، ومكثنا في حجرتنا إلى الساعة العاشرة ، وانتظرنا مكلمة من السيد / مستقلى يوسف خاطرى . وفي الساعة العاشرة وعشر دقائق ، دق جرس الهاتف وأخبرنا السيد خاطرى ، أنه يضع اللباسات الأخيرة ، وأنه سوف يتأخر حرا إلى أربعين دقيقة . نزلنا إلى قاعة الاستقبال في الفندق وجلسنا ننتظر حضور السيارة كما قمت بدفع حساب الفندق ، حيث أن شركة الناشيونال تورز قد رفعت يدها عن الموضوع ، وإن كنت قد استفدت من نسبة الخصم الممنوحة لها ، وقد أكرعني السيد عبد الرحمن الصراف بتطبيقها .

جلسنا ننتظر حتى تمتد الساعة الحادية عشرة والنصف ، ولما لم يحضر السيارة اتصلت بشركة السياحة فرد على السيد خاطرى قائلا إنه بعد الوقود للسيارة وطلب مهلة نصف ساعة أخرى . رسالت موظف استقبال الفندق عما إذا كانت هنالك أزمة في الوقود إذ أنني لم ألتزم أثناء وجودي في تنزانيا ، فأجاب بالإيجاب مقرر أن الازمة تشتد خاصة في أيام العطلات .

تناولنا الغداء وكان على نظام الطعام المفتوح ، ومن ضمن المعروف لحم الحمار ، الوحشي ، والتوتى ، وهو نوع من الغزال . وقررنا مذكر شركة بوج تورز أنه لن يحضر إلا بعد الغداء ، وفي الساعة الثانية حضر السيد ريزا وقرر

في سيارة جامزة وأخبرت أنها تابعة لشركة ناشيونال توردز وهي شركة ذات  
شركة T. T. C. في الساعة الثانية والثلاث تركنا الفندق ليلاً السائق السيارة  
من فرد مع أن السيد حاطري قال إن سبب التأخير هو البنزين . لكن انصح  
أنه لم تكن لديه سيارة ، وأنه استأجرها من ناشيونال توردز . دخلنا جراج  
سيارة توردز ووجدت به أكثر من خمسين سيارة معظمها ، خمسة وثلاثين  
مما عى الأول ، جامزة للرحيل . ملأ السائق الخزان بالوقود ، وفي الساعة  
ثانية ونصف قادنا إلى خارج أروشا . كانت الشمس ساطعة وإن كان هنالك  
بعض السحاب في السماء . والطريق مسطحة ولا بأس به ، والخضرة في كل  
مكان ، حتى التلال الخضراء ، لكن الزراعة قليلة نادرة من تسكد أن نعلمهم ،  
فم نر في الطريق سوى ضيعتين لكنيستين بجوار أروشا ، أما سائر الارض  
فأعشاب ، ومروج ، وأشجار ، كما رأينا بعض الخراف ، والابقار رعى .

في الساعة الثالثة ابتدا الطريق يتكسر وكثرت به الحفر . مع هذه  
المساحات الشاسعة من الحشائش ، ومع ندرة قطعان الماشية ، وانعدام السكن  
تقريبا ، فإننا لم نر حيوانات متوحشة ، حتى ولا العزلاء . وفي الساعة  
والربع شاهدنا بعض النعام ، والكثير من تجمعات الطيور ، ثم مرة  
أخرى بعض النعام ، ثم عاد اختفاء الحيوانات . وفي الساعة الرابعة وصلنا  
إلى قرية صغيرة عندها ملق وعلامة تدل على أن نجور ونجورو هدفتنا تقع  
على بعد ٩٦ كم .

أضحي الطريق بعد البلدة غير مسطحة ، وإن كان ممدا ، إلا أنه يبدو أن  
الامطار قد هطلت عليه بشدة على بعد رأينا جبال ، نجور ونجورو وهي مقصدنا  
حيث يوجد بها نجور ونجور وكريتر ، أبوابية نجور ونجورو . ابتداء الطريق في  
الارتفاع المستمر ، ولم نر أية حيوانات حتى مررنا ببلدة كبيرة اسميت  
أسمها . وبعد ذلك رأينا بعض البابون في الطريق ولم تأبه بالسيارة .

ولا راكبيها ، بل أنها لم تلق بالآلى بعض الآهالى الجالسى فى جانب الطريق على بعد يسير منها ، حدث الشىء نفسه بالنسبة لنعامت ثلاث كانت ترى على بعد يسير من الطريق حينما مرت بها سيارتنا ، فلم تهر هاربة كمادة النعام ، وإنما استدارت ، وأعطتنا ظهورها ، وسارت متمله ، ولا يفوتنى أن أذكر أنها كانت بالغة الضخامة ، وأن ألوانها جيلة ، إحداها سوداء ، واثنان بنية ، وقد قال السائق إن السوداء ذكر ، والبنيان اثنتان .

واصلنا السير ، واستمر الطريق فى الارتفاع إلى حوالى ثلاثة آلاف قدم ، وابتدأنا نشعر بالبرودة ، ويحب أن أذكر القارىء أننا فى نصف الكرة الجنوبي ، أى أننا فى منتصف الصيف ، وديسمبر هنا يقابل يوليو عندنا بحثا لامتدت مساحات شاسعة من الأراضى حق الغابات ، وشاهدنا كذلك بحيرة مائى دو . توقفنا قليلا لالتقاط بعض الصور ، ثم واصلنا السير صاعدين الجبل . كما فى حوالى الخامسة مساء ونحن على ارتفاع خمسة آلاف قدم تقريبا ، وشاهدنا زوجان من الجاموس الوحشى ، وهو حيوان حق الأسد يتردد فى ما يجتسه . بعد قليل وصلنا إلى مدخل الحديقة المفتوحة ، ودفعنا أرمين شلنا عن كل شخص كرسم دخول عدا ، مائة وعشر شلنات للسيارة ، وسائقها ، وقد تحقق الموظف المختص من أننا كاجانب قد استبدلنا بعض الدولارات بالعملة المحلية . كانت الساعة قد بلغت السادسة تقريبا ، ونحن على ارتفاع ستة آلاف قدم ، واشتدت البرودة ، ولما كنا مرر بدين ملابس صيفية ، فقد ترأىد إحساننا بالبرد .

فى الطريق شاهدنا بعض أفراد من قبائل الميساي ومعهم قطعانهم ، وهم منتشرون فى كينيا ، وتغانيا الشمالية . دهشنا ونحن على هذا الارتفاع إذ رأينا قطيعا من الأفيال لا تبعد عن الطريق بأكثر من عشرين مترا ، إلا أنها حينما رأتنا لم تعرنا أية أهمية ، والنقطت لها بعض الصور .

في الساعة وصلنا إلى نزل نجورونجورو على ارتفاع سبعة آلاف وخمسمائة قدم ، وأعطينا الحجرة رقم ٤٧ وهي تطل مباشرة على الوادي وبه بحيرة صفراء مغطاة الغابات ، والمراعى كانت الحجرة تقع على الحافة عند رأس الجبل تماما ، وتطل على الوادي كما ذكرت ، وكنا نرى من النافذة المريحة الوادي وهو محصور بين سلسلة من الجبال ، ولا ممد له مطلقا ، إلا من خلالها ، وبالوادي بحيرات صفراء ، ومراعى شاسعة وغابات متراصة . وربما كان ما يضاف على المنظر جمالا أحيانا هي تلك السحب المنثارة التي تقع تحت النافذة بأكثر من ألفي قدم ، وكنا نراها وهي تسبح مع الهواء ، وتلقى ظلالها على الوادي بخضراته البديعة .

والفندق مبنى جميل كان الإنجليز قد بنوه وقت أن كانت تنزانيا تحت وصايتهم ، ثم استولت عليه الحكومة بعد استقلال البلاد في سنة ١٩٦٤ ، ولا بأس بإدارته إذا لم يفقد نظافته ، كما أن الطعام به جيد . تناولنا العشاء في الساعة التاسعة إلا ربعا ، واتجهنا إلى حجرتنا في الثامنة والنصف لأنه كان علينا أن نستيقظ في الصباح في الساعة السادسة والنصف حتى نبدأ جولتنا في الغابة ، والأحراش ، في الثامنة والرابع حينما نتظرنا سيارة لاندروفر .

١٢ / ٢٧

استيقظنا في الساعة السادسة ، وفي الثامنة كنا قد حزمنا أمتعتنا ، وتناولنا أفطارنا ، وجلسنا نتظر السائق الذي حضر في الثامنة والرابع . أخذ أمتعتنا معه ، حتى لا اضطر إلى العودة إل الفندق وقرر أنه أيضا سوف يأخذ غذاءنا لتناوله في الطريق إلى حديقة سيرنجي بعد أن نقوم بجولتنا في نجورونجورو .

رحب بنا سائق اللاندروفر التي كانت في انتظارنا لتأخذنا في جولتنا والسائق اسمه مورانيا ألفا ، وجلس زوجتي إلا جانب السائق في حين جلست أنا وراءهما لسهولة استئجار الكاميرات ، والفيديو كاميرا ، وأيضا لأن

إصابة زوجتي في رأسها من أثر الحادث كانت تؤلمها مع إهتزازات السيارة،  
بدأنا نسير، وكان الطريق وعرا في مبدأ الأمر ولا يسكاد بسمح إلا بمرور  
سيارة واحدة، وأحس جاني الطريق المرتفع الجملي في حين أن الآخر موة  
تسقط آلاف الأقدام، ولا أعتقد أنني، على كثرة ما مر بي من طرق وعرة  
قد شاهدت طريقاً أوعر من هذا الطريق، ولا أكثر انحناءات منه، وقد  
امتلا بالحمر، وانصخور إلى لا بد أنها تسقط بصمة مستمرة أثر الأمطار  
الشديدة في بعض الأحيان. في كثير من الأحيان كان الهبوط يسكاد أن  
يكون رأسياً فتمبط السيارة عشرين قدماً عيلاً يزيد على أربعين متراً وخمسين  
من الطريق إذا أضفت إلى هذا ما سبق أن ذكرته من وعورة الطريق،  
وعدم تعبيده، وضيقه، وكثرة انحناءاته، وإن أي خطأ، أو حادث  
لمجلات السيارة يمكن أن يؤدي إلى أن تهوى بركابها آلاف الأمتار، لعمرك  
أية مخاطرة، وأي تعب في الرحلة.

بعد أكثر من نصف ساعة من هذا النصب، وصلنا إلى حافة الوادي،  
وكان أول ما صادفنا وعول ذات شعر طويل تحت الذقن، ومرتععة البنية تقارب  
الافراس شكلاً، وهي المسماة جنو. أقينا بعد ذلك على بعد أمتار روجان  
من الثيران الوحشية، وهي حيوانات ضخمة بادية الشراسة، والغباء، على  
بعد أشار إلينا المائق/الدليل إلى سيارات لاندرور أخرى وذكر أنها لا بد  
متجمعة حول الأسود.

انجهمنا إلى هناك لنرى أسداً ضخمًا يرقد في الشمس بمفرده وهو ينظر، ربما  
باحترار، إلى الذين جاءوا يزعمونه في عرينه. قريباً منه انجهمت السيارة لنرى  
بجموعة من زوجاته، والأشبالي ربما يتجاوز عددها العشرة. إننا قلنا ماشئنا  
من الصور، واملنا في بعضها لم نكن نعتقد بأكثر من عشرة أمتار من الأسود.

وأمل أحسن ما تتميز به اللاندروف أن سطحها يمكن أن يفتح ليكشف الإنسان  
ونقطة ما يشاء من الصور . بعد أن أخذنا كمايتنا انجمننا إلى منطقة أخرى  
حيث توجد قطعان كبيرة من الوعول ، والثيران الوحشية ، وغزلان  
طومسون ، وجرائس ، والحر الوحشية في الطريق اليها رأينا فيلير صخمين ،  
وعلى بعد كمأرى بحيرة صغيرة صحلة قرر السائى أنها تتلى . باديء فى موسم  
الأمطار ، وقد غطى سطحها عشرات الآلاف من طيور الغلامنجر . شاهدنا  
أيضا ابن آوى يأكل من بقايا أحد الوعول ، الجنو .

التقطنا ما شئنا من الصور ، وانتقلنا إلى منطقة أخرى حيث شاهدنا  
هائلة أخرى من الأسود ، وأخذنا نراقبها تلعب مع بعضها ، فى حين تجلس  
الأمهات بعيدا ، ربما تلتق إحداهن جروا صغيرا ، أما رب الأسرة ، وأحدى  
الأمهات ، ويبدو أنها الأم الرئيسية . فقد تمددا تحت أشعة الشمس بهرهما  
وإن كانت الأشبال سرعان ما انتقلت اليهما . من يرى هذا المظهر الهادى .  
لا يتصور مطلقا مدى القوة ، والوحشية التى تكمن فى هذه الحيوانات . ولكن  
يزداد المظهر سكينى وألفة ترى على بعد لا يزيد على مائة متر بعض الغزلان  
تلهو ، وتقفز فى أمان ، ولا عجب فى ذلك إذ أن الأسود لا تفرس  
إلا وهى جوعى ، على عكس الإنسان .

انجمننا بعد ذلك إلى البحيرة الضحلة ، وشاهدنا طيور الغلامنجر ، النعام ، وهى  
التي نعرفها . سم البشاروش ، والتقطنا بعض الصور ، ثم انجمننا إلى بحيرة أخرى  
عند سفح الجبل ، ورأينا فى الطريق قطعا كبيرا من الثيران الوحشية ، وبعض  
الافئال تستظل بالأشجار . كانت المساحة جميعها حتى الآن مجرد حشائش ،  
ومرأى لا توجد ها شجرة واحدة ، لكننا رأينا أننا نقرب من الغابة وكانت  
الافئال أول ما شاهدنا من الحيوانات فيها ، كما رأينا كثير من الأور المصرى  
فى المستنقعات حول الغابة .

جأة أشار السائق إلى جهة عشبيه عند الخافة أيضا قائلا : يرى وحيد  
القرن ، وفعل رأينا ، واجه بالسيارة نحوه وكانت أنى هائلة الحجم تزن  
( ٤ - سفارى )



فرابة صين شبيهة اللون ، أو ربما كان لونها حائلا نظرا للون الوحل الذي تحب أن تتمرغ فيه .

كان ثلاثى قرنان طويلان ، ولعلها المرة الاولى التى رأيت فيها قرنين طويلين لهذا الحيوان ، إذ عادة لا يوجد سوى قرن واحد طويل ، وربما قرن آخر قصير جدا . مع الاثنى شاهدنا ابيه ، ولا يعنى هذا أنه ضئيل الحجم وإنما كان يزيد وزنه على نصف طن ، كما أنه كان ذا قرن واحد ، وعلى ظهر الحيوانين كان يقف الطائر كيتو أو اجرت ، ويقفز من مكان إلى آخر من الجسم ، وهو طائفة يلتقط الحشرات من جسد الحيوان ، وله فائدة أخرى هو أنه ينبهه إلى الخطر إذ أن نظر وحيد القرن قصير جدا ، لهذا كان يحمله هجيبا لحركات الطائر ، الذى ربما وقف على وجهه ، وأنهه .

تحولت بنا السيارة إلى مكان صخري ، وبين الصخر لاحظنا كمفا قامدخل صغير وقد رقا أمامه ضبع ضخم الجسم لم يتحرك من مكانه حين رأنا وإن طل براقبنا بحذر . رأينا ضبعنا آخرأ وقد أنطلق يجرى مبتعدا نحو الغابة والأشجار .

إنجمننا إلى البحيرة تحت سفح الجبل ، ورأيت أحد الافيال يتسل وهو منظر لطيف ، كما رأينا الكثير من الأوز المصرى ، لكن فرض النهر ، سيد قشقة ، وهو الهدف من مجيئنا إلى البحيرة ، لم يظهر ، وكل مارأناه منه هى الرؤس فوق سطح المياه اذ كان الجوز حارا . دخلنا الغابة بعد هذا وكان أول ما صادفنا هى مجموعة اليايون التى هرولت مختفية بين الاشجار واليايون ، خلافا للنسائيس ، لا تستعمل الاشجار إلا نادرا وحينما تكون مضطرة ، أما عادة فهى تسير على الأرض .

بعد أن قضينا فترة فى الغابة شاهدنا مجموعة من النسائيس تقفز على الاشجار بحركاتها المتناهية الرشاقة ، كما رأينا مجموعة فريدة من الطيور ذات الوان

زاهية، اذكر أن أحدها جمع الازرق الزاهى، والابيض، والاصفر، والاحمر،  
والاسود بتنسيق بديع .

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة وكان علينا أن نعود من طريق  
آخر لنصعد الجبل حيث تلتقى مع سائفتنا الاصلى والسيارة . لقد ذكرت  
سابقا اننى لم أر فى حياتى طريقا أو عرولا أخطر من الطريق الذى سلكناه  
عند الهبوط من الجبل ، ويبدو اننى كنت متفائلا اذ أن طريق الصعود كان  
مثله ، ويزيد عليه قليلا . فالاول كان جميعه صغريا تتخلله الاحجار غير  
المنظمة، اما هذا فقد كان فى بعض أجزائه طينيا، والحد لله أنما لم تكن كثيرة  
إذ يمكن تصور انزلاق العجلات فى هذا الارتفاع ، وهذا الطريق الضيق  
المتعرج ، خاصة وأن السماء يبدو أنها كانت قد أمطرت فى الليلة السابقة  
والطين ما يزال موحلا .

أخيرا وصلنا إلى قمة الجبل حيث كان ينظر السائق، وكانت الساعة الثانية عشر  
ومن ثم بدأنا رحلتنا إلى فندق سيرونيرا Seronera فى الحدائق المفتوحة  
المسماة سيرنجى Serengeti . اتخذنا طريقا آخر غير الذى أتينا منه من اروشا  
متجهين إلى الشمال الغربى . كانت السماء صافية حينما ابتدأنا الرحلة ، وفى  
الواقع انها ظلت كذلك كل الطريق فيما عدا بعض الرذاذ الخفيف ، لكنها  
من الواضح كانت قد أمطرت بشدة فى الجزء قبل الاخير من الرحلة لأن  
الطريق كان طينيا زلقا إلى حد بعيد .

لم نصادفنا حيوانات فى مبدأ الامر سوى ابقار ، وماعز ، وخراف ،  
وحير الماسى، كما صادفنا الكثيرين من أهل القبيلة، نساء، ورجالا، وأطفالا ،  
أذكر منهم ثلاث فتيات كن يرقصن على قارعة الطريق استجلابا للبهات ،  
ورقصن لطيف ، فهن يرتدين حرملة زاهية الالوان ، ويرفعن رؤوسهن ،  
ويخفضنهن فى حركة رتيبة تهتز معها صدورهن التى تبدو عارية حينما يرفعن

رؤسهن ، وترتفع معها الحرمة أو الكولة ، وتختفى حينما تنخفض رؤسهن وتنخفض الكولة لتغطياها .

كان أول مصادف في الطريق بعد أن خرجنا من حدائق نهورو نهورو ، الزراف ، طريل ، وضخم يبدو مائرا في حدائق الحيوان قصيرا هزلا بالنسبة له . وفجأة ابتدأت الحيوانات المتناثرة تظهر ، الوعل gnu والحر الوحشية ، والدرلان . ان يصدقني أحده حينما أقول إن قطعاها وصلت إلى عشرات الآلاف ، وأن هذه الأعداد هي ما كنا نشاهدها فقط على الطريق . وفي بعض الأحوال كنا نراها تغطي الاديق تماما . اننى أقول عشرات الآلاف خشية أن أنهم بالمبالغة ، لكننى لو أنصفت لقلت مئات الآلاف ، لم تكن في هذه المنطقة لحسب ، وإنما كانت على طول الطريق .

لقد رأيت أعدادا كبيرة من هذه الحيوانات ، خاصة في كينيا ، لكنها بالنسبة لما رأيته حتى الآن لا يريد على قطرة في بحر . قطعا تتألى وراء بعضها ، ما يكاد أحدها ينتهى حتى يبدأ فطيع آخر . في الساعة الواحدة والنصف أوقفنا السيارة بعيدا عن الطريق إلى جوار أحد هذه القطعان ، وتناولنا عذاما من الصندوقين اللذين اتى بهما السائق معه من النزل في نهورو نهورو ، وحينما انتهينا استأنفنا سيرنا في الساعة الثانية تقريبا بخترقين سهول خائق أولدفاي .

لم تنقطع قطعان الحيوانات ، وإن أمكن ربما نكون أعدادها ازدادت . والطريق غير مسفلت إلا أنه لا بأس به ، وبالمقارنة لما شاهدناه ، كان سهلا معبدا ، عريضا ، وأعلى الأدل كانت تحيط بنا السهول . في الطريق أيضا رأينا الكثير من الطيور الضخمة ، أخص بالذكر منها طائر السكرتير ، الذي يندر وجوده عامة ، والآلاف أخرى من الطيور الضخمة لا أذكر أودعها الأسف ولا أعرفها . ، أربع طريل القائمة رفيع كتلك التي رأيته في فندق ماونت

ميرو أى جبل ميرو ، ويسمى الميرون الرمادى ، وطعامه الاسماك ،  
والثعابين .

فجأة ابتدا الطريق بوحل حتى أننا اضطررنا أكثر من مرة إلى الخروج  
منه والدخول فى الأحراش . أخذت ، الحيوانات ، وكذلك الطيور ، وفى  
الطريق شاهدنا عربتين لا تستطيعان التقدم وقد غرزنا فى الوحل ، وطلبت  
من السائق التوقف ، ومساعدة السائقين ، وفعل ذلك حتى أخرجهما من  
ورطتهما وسارا بعد ذلك أمامنا فترة ثم أوحلا ثانية .

وهنا تقدم سائقنا بسيارته حتى تعدى السيارتين ومر من المنطقة الموحلة  
ثم توقف وعاد إليهما ليخرجهما من مأزقهما وبعد ذلك سارا خلفنا .

فى الساعة الرابعة وصلنا إلى بوابة الحدائق المفتوحة سرنجيتى ، وبذلك  
انتهينا من حدائق نهجور ونهورو . عند البوابة دفعنا مائتين وأربعين شلنا  
عن ثلاث ليال ، أنا وزوجتى ، وواقع الفرد أربعين شلنا عن كل ليلة إذ أننا  
كننا نعتزم الإقامة ليلتين فى سيرونيرا ، ولاية الثالثة فى فندق لوبو ، على بعد  
حوالى ستين كيلو مترا . إنحلنا فى الطريق إلى بغيتنا ، والقيادة تزداد صعوبة  
من كثرة الطين حتى وصلنا إلى الفندق فى الساعة الرابعة والنصف تقريبا .  
والفندق نفسه مقام على تكوين صخرى ضخمة أبدع المهندس فى استعمال  
الصخور كديكور للزينة ، وأنت وسط حجرة الاستقبال مثلا ترى الصخور  
للزينة ، وفى الصعود إلى الحجرات درجات صخرية ، وحيث لا تلتصم الصخور  
مع بعضها ، أو تناسق يسكلها ، بالأخشاب ، وأحيانا بالزجاج .

حينما وصلنا حجرةتنا للأسف لم نجد مياهها ، واضطررنا أن نتنظر مع  
مانحن عليه من تعب حتى الساعة الثامنة حتى جاءت . من حسن الحظ كان معنا  
الترموس وهو مليء بالمياه ، فاستعملناه لنفس وجهيننا ، واستلقينا على  
الفرش ونمنا .

استيقظنا في الساعة ، ولم نجد أن المياه قد وصلت فاضطررنا إلى الانتظار دون الاغتسال حتى الثامنة ، ومن ثم ذهبنا إلى قاعة الطعام ، وهناك التقينا بالجماعة الذين كانوا في السيارات المعطلتين ، وهم سويسريون .

لم يكن الطعام جيدا ، ولا كانت الخدمة ترقى إلى مستوى ، إلا أننا كنا جائعين ومرهقين ، فتناولنا العشاء ، ثم ذهبنا من فورنا إلى حجرتنا .

١٢ / ٢٨

أمطرت السماء طوال الليل لكنها ، حينما استيقظنا في الصباح المبكر ، كانت صافية ، ولم تلبث الشمس أن برغت حارة قوية . كانت حجرتنا في الدور الأول فوق الأرض ، ولها نافذة كبيرة ذات إفريز خشبي ضخم يطل على المروج والأشجار ، وفرت زوجتي ، وهي تنظر إلى النافذة ، وحينما انفتحت رأيت أحد القروء الضخم من نوع البابون يقف على الإفريز ويطل علينا .

لأنني أعلم أن هذه الحيوانات هادئة ، لكنني أعلم أيضا أنها غادرة ، وإذا أثرت تكون شديدة الخطر ، خاصة من أبيابا ، وأظافرها الطويلة وحينما سرت إلى النافذة سار القرد على الإفريز إلى الحجرات الأخرى . فتحت النافذة ، ثم تناولت قطعة من الجبن النسله ، وأثمرت إلى القرد الذي يبدو أنه أفزع القاطنون في الحجرة التي كان يقف أمامها ، فقفز برشاقة عجيبة إلى الأرض . لكنه لم يهرب ، وإنما وقف ينظر إلى كأمما يتعجب . وقفت ماذا إليه ذراعى بقطعة الجبن ، وبقى في مكانه لا يتحرك فتحكها له على إفريز الشباك . لم يتحرك إلا حينما خرجت ، ومددت إليه يدي بالجبن مرة ثانية ثم وضعتها على الإفريز ، ودخلت وأغلقت النافذة ، عندهذا فقط قفز من الأرض ليجلس أمامنا يفتح الجبن ، ويقطع الورد عليه ثم يأكل في هدوء ، ونحن نرقبه ، حينما انتهى نظر إلى ، وقفز إلى الأرض ، أخرجت قطعة ثانية ، وفعلت كما فعلت سابقا ثم دخلت ، وأغلقت النافذة ، وقفز من

الأرض : له استحسن الجبن إلى درجة أنه لم يكن له صبر على تمزيق  
الورقة المفضض حولها ، ودفعها إلى فيه ، مرة واحدة ، وأخذ يلوكها ثم قفز  
إلى الأرض مبتعدا .

تناولنا إفطارنا في حدود الساعة الثامنة ، ثم ذكرت للسائق أننا سوف  
نستريح في الصباح ، وإن يخرج لزيارة الحدائق المفتوحة إلا بعد تناول طعام  
الغداء في الواحدة والنصف وأنه حرقى هذه الأثناء . قضينا الصباح في قاعة  
إستقبال الفندق وكتبنا بعض ما فاتني من المذكرات ، ورأيت الكثير من  
حيوان القندس ، وهو حيوان في حجم الأرنب بني اللون ويقارب الفأر إلى  
حد كبير ، ولكنه لا يخاف الناس ، ولا يهرب إذا اقتربوا . تعرفت أيضا  
على اللند وكان مسلما اسمه حسن ، وأخذ يستفسر مني عن مصر وأحوالها  
فأجبت .

في الساعة الواحدة والنصف تناولنا طعام الغداء ، وكان من اللحم التوبي ،  
وهو كما ذكرت نوع كبير من الغزال ، وانتهينا في الثانية ، ثم تناولنا القهوة  
في قاعة الاستقبال ، حيث التقينا السائق ، وكان يشرب البيرة ، وهي الأسف  
شراب عامة الشعب يشربونها بكثرة وفي جميع الأوقات ، حتى أنه حينما نكلم  
عن الغلاء لم يذكر سمر الخبز ، واللحم ، وإنما أشار إلى أن ثمن البيرة عشرين  
شلنا ، وأن الحكومة لا تفعل شيئا — لتخفيض سمره .

في الثانية والنصف تحركنا من الفندق ، وكان أول ما صادفنا هو حيوان  
التوبي ، لكن على قدر ما كانت المروج في اليوم العات مليئة بالحيوانات ،  
على قدر ندرتها هذا اليوم . رأينا أيضا لأول مرة غزال الأجه ، وهو غزال  
يشابه إلى حد بعيد التوبي ، ضخمة الجثة يبتعد عن الطارق أداهولة ، ويتوارى  
في الأجمات فلا تسكاد العين أن تراه .

رأينا كذلك عائلة من غزال المساء ، وهو غزال صغير الحجم يقارب

غزال أومسون ، ويقضى كل وقته حول البرك ، والمستنقعات والبحيرات .

سارت السيارة داخل الأحراش دون أن تصادف سوى بعض ألفا كوشيري ، وهى الخنازير البرية رأينا صدقرا أبيضاً ضخماً به بعض النقاط الرمادية ، ودجاج غنيا ، والكثير من الطيور كان أحدها أزرق اللون جميلاً حتى أننا توقفنا بالسيارة على بعد أمتار منه ، والتقطت له بعض الصور ، رسالت السائق ، عرّبتنا ألفا عن اسمه قال ليلا جاروس كليلا ، ولا أدري مقدار صحة هذا .

شاهدنا كذلك بعض النسائيس ، وإثر ذلك سارت بنا السيارة بين الأحراش دون أن تصادف حيواناً آخر سوى فرس النهر إذ رأينا واحداً منه فى بركة صغيرة .

بعد حوالى الساعة رأينا مجموعات من الصخور متفرقة وهى تشابه إلى حد كبير مدينة كاملة لهذا أسمتها زوجتى مدينة الصخور ، ومن الظريف أننى فى نهايتها رأيت مجموعة صغيرة نسبياً منها تفرد بعيداً عن سائر المدينة ، وكأنها هى مقبرة الصخور . درنا بمدينة الصخور ، ولم نشاهد من الحيوانات سوى زوج من الديبى ديبى ، وهو أصغر أنواع الغزال إذ لا يزيد ارتفاعه عن الأرض على ثلاثين سنتيمتراً .

أثناء عودتنا إلى الفندق رأينا ثلاث إمامات ، ذكراً أسوداً ، واثنين بنيتين ، ثم رأينا مجموعة من الثعالب الحمراء اللون ، مشربة بالبنى ، وكذلك مجموعة من الثيران الوحشية على بعد ، فى الساعة الخامسة والنصف وصلنا الفندق .

استيقظنا فى الساعة السادسة على صوت ضبع . وصوت الضبع أقرب إلى



هو بل السماء ، وبذلك لا يكون محببا إلى النفس أن تسيقظ عليه . لم نرصد دفنا  
البايون ، وإنما رددت الأصدا ، أصوات ضباع أخرى تتجاوب . كان لهذا  
معنى واحدا . لقد قتل أسد فريسته في مكان قريب . لأنهم من وجهة الصباح  
وبدأنا رحلتنا إلى نزل لوبو في الساعة التاسعة .

كان النزل يقع على بعد لا يزيد عن سبعين كيلو مترا من سيروليرا ،  
والمسافة كلها داخل الحدائق المفتوحة ، وعلى ذلك هزمنا على أن نقضيها  
كنزهة ، خاصة وأن الشمس كانت ساطعة ، والحو بديع .

لم تكن الرحلة تبشر بالكثير خاصة لما سبق أن صادفنا من تجربة  
البارحة ، فقد قطعنا مسافة طويلة حوالى الثلث ساعة ، ولم ير أئامها شيئا  
تقريبا ، ثم بدأ الحزينهال ، قطرات في مبدأ الامر ، توبى ، وأمبالا ، وفاكوشيرى  
أفراد شبيهة العدد في بدء الامر ، ثم بعض قطمان بعيدة متفرقة ، ثم شاهدنا  
أحد الضباع ، وتذكرت الصباح لم تكن بعيدين عن الفندق ، الذى تركناه  
منذ نصف ساعة تقريبا ، إذ كان الطريق دائريا ، وتذكرت ما سمعناه في الصباح  
فاخذنا الطر في الحشائش . فجأة رايت رأس أسد تبدو من الحشائش ،  
وكان من الممكن جدا أن نستمر في سيرنا دون أن نلاحظه مع أنه لم يكن  
يبعد أكثر من عشرين مترا من الطريق . وأشار السائق إلى ناحية أخرى ،  
أسد ثان ، وثالث ولبؤه ، وأخرى ، ومن وسط الحشائش ظهرت أشبال في  
من الفتوة ، وإن لم تكن قد اكتمل نموها . إلى جانب الأسد ظهر رأس  
لبؤه ، ثم أخرى ، واكتملت العائلة .

كان الجميع مستريحون بعد أن امتلات بطونهم دون شك من وجهة المساء  
للى تصايح عليها الضباع .

تحرك أحد الأشبال وعاد الآخرون إلى الاختفاء تابتنا الشيل في  
حركاته ، فبدأ كقط يطارد فأرأى يجرى تارة بين الحشائش ، ويتصلب في  
وقفته أخرى . ومرة ثالثة يزحف حتى لا يكاد أن يبين .

أخرجت النظارة المسكبة ، ورحلت أنماح حركاته ، وساءلني السائق مويتا بأن تراجع بالسيارة إلى الخلف. كان جالسا أن الشبل يقصد فريسة ، وإن كنا لم نرها . درت بالمنظار في أرجاء الأحراش والغابة ، وأخيرا رأيت الفريسة أحد حيوانات التوى ، منفردا برعى . تنقل نظرى بين الفريسة اللاهية في الطعام ، والصائد الصغير .

لكن يبدو أن الفريسة لم تكن لاهية ، وإنما كانت تعلم أن صائدها ما يزال صغيرا ، ولعل هذه تجربته الأولى في الصيد بمفرده . فجأة حينما اقترب الصائد أطلقت الفريسة لسيقانها العنان ، وراحت ترتقى مرتفعاء هذا الشبل قليلا ، ثم أدرك عقم المحاولة فتوقف خائب الأمل في حين اختفى التوى وراء المرتفع . هدانا بالسيارة إلى حيث كانت باقى الأسود ولم تكن قد تحركت ، وظهرت لنا القصة .

لقد اصطادت الأسود فريستها ، ربما في المساء ، وطعمت منها ونادت الضباع على بعضها لتتم ما تركته الأسود . ورفدت الأسود في الحشائش مسترخية في الشمس ، ورأى الشبل فريسة أخرى فتركته الأم ليبدأ في التعلم ، وإن لم تكن الجاعة في حاجة حقيقية إلى طعام . لم يستطع الشبل المتعجم أن يجارى التوى فعاد يخفى حنين .

تركنا الأسود لرفادها ، وانجمننا وجهتنا لم نكده نقطع ضعة كيلومترات حتى رأينا أربعة ضباع تقمع في ظل شجرتين . تلكت ذلك مسافة لم نر فيها أثرا لحيوان ، ثم شاهدنا على البعد ستة من النعام ، ذكرين أسودين ، وأربعة أنثى بنية اللون ، ثم ذرافة منفردة كان لونها بنيا خالصا وهى أول ذرافة أراها بهذا اللون ، لذلك اعتنيت أن التقط لها بعض الصور .

مررا مسافة أخرى لا نرى سوى بعض الغزلان ، أو التوى المتفرقة ، أفرادا لم امتلأ الوادى بقطعان من الأنثى ، ومن الإبل والأمبالا ، مئات . في إحدى البرك المكنية رأينا زوجا من أفراس النهر .

ما أود أن أؤكد عليه هنا أننا قطعنا مئات الأميال ، وشاهدنا مئات غيرها على جانبي الطرق ، وكلمها ، سواء داخل الحدائق المفتوحة أو خارجها ملأى بالحيوانات ، كما لا توجد قطعة أرض واحدة سواء في السهول ، أو الوديان ، أو الجبال لا تنكسوها الخضرة ، أما المروج ، والحشائش والسماء أو الغابات ، والأشجار ، وحتى أكوام الحجارة والصخور المتناثرة ، وهي صخور صماء تجدد الحشائش ، بل والأشجار تنبت بينهما ، بحيث لا يوجد شيء إلا وكسته الخضرة ، ومع ذلك فالزراعة قليلة نادرة .

تابعنا سيرنا لنرى هقباما هائلة الحجم ، لم أرا أكبر منها ربما تصل المسافة بين منتهى الجناحين إلى ثلاثة ، أو أربعة أمتار ، يبدو أنها كانت تنمش في رمة مخفية بين الأعشاب إذ لم نرها ، ما أن اقتربنا حتى نفرقت العقبان ، وطارتا تخلق في السماء ، تحوم حول المكان ، ومنها ما حطت على شجر قريب . بعد قليل جاء دور الأفيال ، عذرات منها على كلا جانبي الطريق ، ولأول مرة - هز الخوف على السائق حينما راها على بعد : قلت له إن الأفيال لا تتهاجم أحراً إلا إذا آداها . أو كانت خائفة ، وقرر أننا قريبون من الحدود الكينية ، وأن نلصق العاج بخرقون الحدود ويهاجمون الأفيال ، ويقتلونهم لهذا فلما في هذه المنطقة شرسة ، وخطرة تخاف السيارات . ودهشت حينما رأيت فعلاً أنها ما كدنا تقترب حتى ساد المرح بين الأفيال ، وهربت في اتجاهات مختلطة ، لست أدري إذا كان يمكن لمن لم يراها أن يتصور عشرات الأفيال ، وتقديرى لها أنها في كلا الجانبين تتعدى المائة ، وهي تهرى في دعر . مئات الاطنان من اللحم تتحرك على غير هدى ، مذعورة خائفة ، وسياوتك تسير وسطها . لقد كان السائق على حق في خوفه ، بل إننى داخلنى الخوف ، وأما أنفقت بمئة وبسرة ، خشية أن يجرى أحدها ، أو بعضها يريد أن يعبر الطريق . ولم تتوقف رأس السائق عن الالتفات في كل اتجاه ، ولانوقفت حينما عن الدوران . أطلق لسيارته

العنان ، ولم ينظر حتى لالتقاط بعض الصور فنظر مثل هذا العدد من  
الافئال الهائلة الحجم لا يراه المرء كثيراً . بعد أن تعدى منطقة الخطر  
انظرت وراءنا ورأيت أن الافئال قد توقفت عن العدر ، وإن كانت عيوننا  
ما زال متجهة نحوها خشية أن تعود .

إن الخوف مرض شديد العدى ، وكأنا أريد القدر أن يتلاعب بنا  
فلم تسكد تمضي عشرة دقائق حتى شاهدنا على البعد قطعاً آخر من الافئال ،  
وإن بدا أقل عدداً من سابقه ، ربما لا يتجاوز الثلاثين . لكن ثلاثين فيلا  
مرتباً تسكني جداً لأن تحطم عدة سيارات أكبر من سيارتنا الفولكس  
موتور باس . وابتدأ السائق يمدى السرعة كلها اقترابنا ، وابتدت يمتد ويساره ،  
وكان القطيع كله تقريباً على الجانب الايمن للطريق ونحن اسير ، كما هي قواعد  
المرور في توابيا ، على الجانب الايسر . من جهة شاهدنا فيلا واحداً هائل  
الحجم يقف بين الاشجار ، وداخل السائق الخوف خشية أن يكون هذا  
الفيل هو قائد القطيع ، وأن القطيع سوف يعبر الطريق إليه في أية لحظة ،  
أو العكس ، أعني أن يعبر القائد الطريق إلى القطيع . رأيت وحركات رأسه ،  
وعينه الخوف يرسم ، ولذرة الثانية انتقلت العدوى إلى تسكني رأيت  
أن أهوى من روعه حتى إذا صادفتنا متاعب تكون أكثر استعداداً  
للتصرف فيها

قلت له إنه فائنا أن لننقط. صوراً للقطيع الاول ، وأرجو ألا تفوتنا  
الفرصة مرة ثانية ، وانظرا إلى كس لا يصدق ، بدأ يمد أفواه الاول ،  
إلا أنني فاعلمته بأن ذكرت أننا اقتربنا جداً من القطيع وأنه يبدو غير مذعور  
كالاول . وكان هذا حقاً . مع هذا لم يتوقف السائق عندما طلبت منه ، أعني  
جوار القطيع ، وإنما توقف بعد أن تعدى القطيع بفترة قصيرة ، مكنتني  
من الالتقاط بعض الصور ، انتهيت من التقاط الصور ، واعتدلت في جاسني  
لأرى السائق يشير إلى جانب الطريق الذي وقفنا عنده ، أعني الايسر . من

بين الأشجار رزت ثلاثة أميال لم يكن قد لاحظنا وجودها ، لم نعمل شيئا وإنما رقت رقبنا ، وأطلق السائق لسيارته المنان حتى أنهى النقطة صورة لا أدري إن كانت سوف تفلح أم لا .

لم يحدث شيء بعد هذا ، ولا نحن صادفنا حيوانات تذكر ، وبما بعض الثيران الوحشية ، والغزلان ، والنساييس ولا شيء آخر كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والربع حينها ، بدأنا نصد صد مرتعنا من الصخور الضخمة ، وسرما في طريق صيق متعرج . على إحدى الصخور شاهدنا ماوعا من الغزلان لم أره من قبل ذلك ، رحبنا سألت عنه قال لي السائق إنهم يطلقون عليه اسم كريب سهر نهر ، كما رأينا قطيعاً صغيراً من الأيائل أحياناً وصلنا إلى نزل لوبو ، أد لوبو لودج .

لو أعطيت هذا النزل حقه لما كتبت أقل من أربع صفحات من الوصف ، لكنني أخشى أن يمل القارئ ، وسوف أذكر فقط سماته الرئيسية . إن له مطارا صغيرا قريبا ، والنزل نفسه مبنى كما ذكرت على مجموعة من الصخور يصل ارتفاعها إلى حوالي المائتي متر ، ولم يترك المهندس جزءاً إلا واستعمله دون أن يغيره ، حتى أن تنوء إلى الصخور جعل منه مكاناً للفوز إلى حمام السباحة ، والحمام نفسه عبارة عن تهوييف أصلا في الصخور أجرى به بعض تعديلات حتى يمكن مائه وتفريغه عند الحاجة . داخل قاعة الاستقبال ، والطعام تجده قد استغل تهوييف للصخور ليجعل منها جلسات خاصة ، وارتفاعات الصخور ليكون منها طبقة أعلى من أخرى . حتى الأشجار لم ينزعها من مكانها ، وإنما أحاطها بصندوق ضخم من الزجاج ، والخشب ، وركبها بعد ذلك تخترق السقف ، وإذا ما أمطرت هبطت الأمطار على الأحجار الأصلية ونسربت من الشقوق دون أن تمس قاعة الطعام بضرر . ولأن المهندس ترك الطبيعة على ما هي عليه ، واستغل ما شاء منها لمصلحته ، إليك ترى عشرات القنادس تفوز بين الأحجار ، وتخرج من الشقوق ، وتنسلق الأشجار ،

وتأكل كل من الحشائش ، كانت هنالك حوة صحيحة بين مجموعات الصخور بنى عليها المهندس قناطر من الأخشاب ، والأحجار . كانت من نتيجة هذا الارتفاع أن الجو جميل حقاً ، مع أننا في فصل الصيف ، فلا هو بالغ حرارة دار السلام ، ولا برودة نهمور ونجورو . بالإضافة إلى هذا فإن الهدوء يحيم عليه حتى لا تسمع لاغية ، ومع هذا فما يؤسف له أننا لم نجد به زائراً واحداً حينما وصلنا ، وفي المساء حضرت جماعة من الألمان في أربعة سيارات ولا يزيد عددهم على العشرين شخصاً . هذه جنسية ، ليست مفقودة ، وإنما مهجورة مجهولة .

لم نكن زوجتي قد نزهت الفرز التي في رأسها من أثر الحادث حتى الآن ، وكانت تتضرر منها جداً ، كما أن موعد حملها كان من يومين ، أي يوم ١٢/٢٧ لهذا سألت القناه في الاستقبال إن كان يوجد في النزل طبيب ، فذكرت أنه توجد ممرضة ، وذهبت معها زوجتي لتري إن كانت مؤهلة لنوع السلك ، وفعلاً قامت بنزعه بمهارة بفضل الله .

١٢/٢٠

كانت الممرضة قد وعدت أن تأتي مبكرة لتغيير ضمادة الجرح التي في رأس زوجتي ، ولم أتوقع أن تأتي بوعدها رغم أني وعدتها بعشرين ساعة ، ولما كنا حينما انتهينا من ترتيب حوائجنا ، واتخذنا طريقنا إلى حانة الطعام قابلنا أحد الأنزال ، وقال إن الممرضة حضرت ، وإنما تنتظر في الميادة ، وفعلاً ذهبنا ، وعبرت زوجتي الضمادات ووجدت أن الجرح نظيف بفضل الله ، وقالت لزوجتي أنها يمكنها أن تنزع الضمادات بعد يومين ، وبالتالي أن تغسل رأسها وكان هذا خبراً سعيداً .

انتهينا من الإفطار في الساعة السابعة والأربعين دقيقة ، وأمرنا بإنزال الحفائب ، ورأينا الكثير من البايون في النزل ، كذلك القنادس ، وابتدأنا رحلتنا إلى نهمور ونجورو في الساعة الثامنة ، وقد أخذنا معنا ثلاثة علب

كرتوية للفداء . أردت اليوم أن أغير من طريقة كتابتي ، بأن أنقل صورة  
حرفية لما نراه وأثبت أثناء سير السيارة كل ما شاهدته لحظة مشاهدته ، إلا  
أنني وجدت أن هذه الطريقة متعبة جداً لرداءة الطريق ، وأهم از السيارة ،  
فضلاً عن أن القارئ قد يمل التكرار ، سأعطيك صورة بما كنت ، وإني  
أعتقد أنها من جهة أخرى قد تغطي انطباعاتي عما يصادفك أثناء الطريق  
غزلان طومسون ، فاكوشيري ؛ (خزير بري) ثيران وحشية ؛ جنو ، توبي  
غزلان ، ثيران ، ثلاث ضباع كل هذا في عشرة دقائق ، والسيارة تسير ،  
نعم ، وابن أوى ، الأرض معظمها جبلية .

توبي ، وجو ، قطيع ضخم من الثيران الجبلية ، توبي غزال جرانتس .  
خمسة وعشرين دقيقة ، غزال طومسون ، ثم مجموعة من الجنو ، والتوبي ،  
طومسون . نصف ساعة ، رأيت طائراً لم أر مثله قبل ذلك ، قال السائق إن  
اسمه كوري باستارد وهو قريب الشبه بالديك العادي ، وأكبر حجماً من  
الفرنقوك يكاد ارتفاعه أن يصل إلى متر ونصف ، رأينا ابن أوى ؛ الساعة  
الثامنة وأربعين دقيقة ، رأيت غزلاناً وتوبي . ثم غزلاناً ثم ذرافات ثلاثة ،  
الجو جميل ولا أثر للسحب ، إنه ليس حاراً ، توبي ، وذراف بني اللون ؛  
وجاموس وحشي ، وإيلا ، وغزال طومسون ، ثم ابن أوى ، اثنتان جريا  
أمام السيارة جاموس وحشي ؛ الساعة التاسعة وعشر دقائق ، وأخذ الطريق  
يرتفع بصفة مستمرة ، وقد وصلنا إلى فندق سنيوريرا ثم محطة بنزين في  
الساعة التاسعة من لوبو إلى محطة البنزين خمسة وسبعون كيلو متراً ومن  
المحطة إلى أجورونجور مائة وخمسون واثنتان كيلو متراً ، ومنها إلى بحيرة  
مانيارا مائة وتسعة وسبعون ( دائماً من المحطة ) إلى أروشا تسعة وعشرة  
وثلثمائة كيلو متراً .

تركنا محطة الوقود الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة . في الساعة العاشرة  
والثلث رأينا آلافاً من الحر الوحشية تغطي الأرض تماماً ؛ واستمرت  
كذلك ، والسيارة تسير أكثر من ربع ساعة ولا شك عندي أنها تعدت



المليون حيواناً ، ثم بدأت أعدادها تنقص ، وظهر الجنو في الساعة الحادية عشرة وثلاث وتمدت بدورها مئات الآلاف .

رأيت نسرأ بنفسجي اللون ؛ وقبل ذلك عشرات العقيان نهش في جيفة .  
أنت ترى أن هذه طريقة لاتصلح مطلقاً لكتابة الرحلة لهذا لماذا  
تتجمع هذه الأعداد الضخمة من الحيوانات ، خاصة الحر الوحشية ، و هذه  
الاما كن دون غيرها ؛ هل هي هجرة جماعية ، وما سببها ؟ ومن أين ؟ وإلى  
أين ؟ لعلك لاحظت أى أثناء ذكرى للحيوانات التى رأيتها فى رحلتنا لم  
أذكر الحر الوحشية مطلقاً ، ولم أرها ؛ ثم فجأة ؛ أصبحت الأرض مغطاة  
تماماً بها إلى الافى ... لماذا ؟ كيف لم نر حيواناً مفترساً واحداً ، الأسود ،  
والفهود ، مع وجود هذه الكمية الهائلة من اللحم الحى ؟ لماذا أيضاً تجمع  
الجنو مع أننا رأينا الكثير منها قبل ذلك ؛ أثناء سيرنا بل وبعد ذلك ؟ ماهو  
الطائر الذى يقول السائى إن اسمه كورى باستارد ؟ هل حقيقة أنى رأيت  
نسرأ بنفسجي اللون ؟ لقد شككت فيما رأيت ، والألف لم ألتقط له صورة ،  
لمكن زوجتى أكدت أن ما رأيته كان حقاً ، وبذلك على أن أعود إلى السكتب  
لعله نوع نادر ؛ أو لعل له اسماً آخر .

يعيب مثل هذا النوع من التفسير الساق أنه خلا من الشخصية ، فهو  
مجرد مرد للوقائع دون الاهتمام بالشعور الشخصى للمشاهد ، وإحساسه ؛  
هل كانت الرحلة متعبة أم مريحة ؟ كيف حال الطريق هل هو معبد ، ماذا  
كان إحساسنا امام هذا العدد الهائل من الحيوانات ؟ هل اعترض طريقنا  
بعضها أم أمّا نجبت الطريق ؟ أم هذا كله مالم نره ؛ فنحن مثلاً طوال  
الطريق لم نر أية أرض جرداء ، فهى إما مرعى ، أو غابات وحتى الصخور  
تبت الأشجار والنباتات حلاها كما ذكرت ؛ ومع ذلك فلم نر أيضاً أية  
زراعة عسارقمه صديق خارج أورشا نفسها ، ولا تمتد لأكثر من كيلومترات  
قليل لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة ، أما طوال الطريق ، وقد قطعنا أكثر

من ألف وأربعمائة كيلو متراً فلم يصادف زراعة ؛ إلا بعض القطع الصغيرة المتناثرة التي لا تتجاوز فيها الواحدة الفدان ؛ وأكبر رقعة رأينا ربما يصل إلى عشرة أفدنة محروثة ؛ وهي الوحيدة التي بهذا الحجم .

لم نر أيضاً مدناً سوى أروشا ، ولم نر إشارة في الطريق إلى مدن فيما هذا واحدة ، ولم نر سوى ثلاثة قرى ... لا يتجاوز ما في أكبرها قشرين أو ثلاثين كوخاً ، أسقفها بالصفيع ، ولا أتصور أن تعداد أهلها يتجاوز بضعة مئات ، بل إن أحداها لا تزيد على مجرد محطة صغيرة . نعم رأينا بعض أكواح الماساي متناثرة لكها ، إلى ندرتها ، لا يبدو عليها أنها أماكن استيطان دائم لأننا رأينا أمثالها ، وقد هجر إذ أن الماساي يقطنون الأماكن المرتفعة في كينيا ، وتنزانيا وهم قوم رجل ينتهجون الأرض حينما يوجد المكان ولا يخضعون لقانون ؛ أو يعرفون حدوداً دولية ، طوال القامة نحاف الأبدان يرتدون القروط الكبيرة يعلقونها ، ليس في شحات أذانهم ، وإنما في أعلاها وترى القروط يتدلى حتى يصل إلى ما بعد الشحمة ، ويمسكون حراباً طويلة يتكئون عليها في سيرهم ، وفي وقتهم والثرى فيهم يرتدي ثياباً زاهية متعددة الألوان ، أما سوادهم فيرتدي أسما لا ، ويكاد أظلمهم أن يكونوا عراة لا تستر أبدانهم سوى خرق لا تغطي عورتهم ، أما فتيتهم ونساقهم فيحلقن رؤوسهن شأن الرجال ، ويرتدين الأقراط ، تماماً كالرجال ، ويأترن بقطعة واحدة من القماش تلف بإحكام حول أجسادهم .

لنعد الآن إلى رحلتنا مرة ثانية . دخل بنا السائق المروج ، وسط آلاف ومئات أنواع المران ، وكان هدونا هو خائق أولغاى وهو مشهور جداً يعرفه كل من له أى اهتمام بعلم السلالات . اكتشفه عالم ألماني أثناء بحثه عن أنواع الفراشات في سنة ١٩١٢ ، ولكنه لم يتعرف على أهميته وحينما عاد إلى ألمانيا تقابل مع العالم الألماني هارج الذى ذهب إليه ، واكتشف بضعة عظام لحيوانات ما قبل التاريخ ، وإن كان قد أخفق بدوره على التعرف على الأدوات الحجرية الأولى التي كان يستعملها الإنسان الأول ، فأشرك معه

دكتور ليكي وزوجته التي لا تزال تعمل حتى الآن ، ولما كان زوجها قد  
توفي في سنة ١٩٧٨ .

إن أولدفاي يأخذ اسمه من اسم نبات عشبي ، أطلق عليه الناسى هذه  
الاسم . وفيه ترى كما قد استعرضت الطبيعة التطور البشري في معرض ،  
من خمس طبقات . الأولى يصل سمكها من خمس وثلاثين قدما إلى خمسين  
قدما ، والثانية من ستين إلى سبعين قدما ، والثالثة من خمسة وثلاثين إلى  
أربعين قدما ، والرابعة من خمسين إلى ستين قدما ، والخامسة من خمسة  
وثلاثين إلى ستين قدما وبالكشف بالكربون ١٤ المشع اتضح أن الأولى  
تعود إلى خمسة ملايين سنة مضت ، والثانية إلى حوالي ١٦ مليون سنة ،  
والثالثة إلى ٧٠٠٠٠٠ سنة .

والخاتمة طوله خمسة وعشرون ميلا ثم يتصل بآخر إلى جانبه بطول  
اثنى عشر ميلا ليكون حرف L . وعمقه ثلاثمائة قدم ، وكانت به بحيرة  
طولها ١٢ ميلا تكونت بين الطبقتين الأولى والثانية لكنها اختفت الآن  
وتكون الخنادق منذ مليون عام بظهور جبال نيجورونجورو ولما جرت ،  
وجبال أولموني وكذلك أولد لانجاي ، والآخرى حتى بالمساي جبال الرب ،  
وهو جبل ما يزال حتى الآن في طور التكوين ، أي أنه يرتفع بصفة مستمرة .  
كما يوجد بالخنادق آثار لافا ، وهي حمم بركانية يبدو أنها تعود إلى حوالي  
١٩ مليون سنة . هنا يقول علماء السلاطات كان أصل الإنسان ، وهنا أيضا  
ظهر تطوره في كل مراحل التطور ، من أن تدرج من سلالة ليمورات . وهو  
ما يطلق عليه انثروبولوجيا منذ حوالي ٣ مليون سنة ، والواقع أن السيدة  
ليكي ، ما تزال تعمل على كشف خنادق آخر قريب يدعى لايتولي لا يبعد  
عن الدفاي بأكثر من أربعة أو خمسة كيلومترات ، وقد اكتشفت فيه مثل  
هذا الإنسان الذي ذكرته ، وهو يسير على يديه وقدميه .

الحق ، ورأينا بعض الناس يأردت أن التفت ببعض الصور لهم إلا أنهم  
 أصبح أربعين شلماً مقابل ذلك ، أى حوالى أربعة دولارات بالسعر الرسمى ،  
 مرصت وتركنا الحائق فى حدود الساعة الثانية عشرة والربع ، وصعدنا  
 طريق الجبل الوعر الذى سبق أن وصفته فى رحلتنا الأولى إلى نجور واجور و  
 . . . فصل الله لم تخطر السماء وإلا كان من المستحيل الصعود . أثناء السير فى  
 الجبال كان السائق . سرعاً فسمعنا صوتاً فى مؤخرة السيارة انضح أن  
 إحدى حمالات الشاسيه الخلفية قد كسرت ، وعلى هذا اضطر إلى السير ببطء ،  
 واستمرت تصدر أصواتاً مزعجة ضاعفت من تعب الرحلة ، واضطرازاها .

هذا الجو فى البرودة كلما ازددنا فى الارتفاع إذ أن الفندق كما ذكرت على  
 ارتفاع سبعة آلاف وخمسمائة قدم ، وحينما وصلنا فى حدود الساعة الواحدة  
 ونصف كان التعب قد نال منا كل منال .

لك أن تتصور بعد ذلك كيف حالنا حينما أخبرنا كاتب الاستقبال أنه  
 لا توجد لنا أماكن للإقامة حيث أن الأيام أعياد والنزل لا توجد به غرفة  
 خالية . وحينما تكلم معه للسائق مقررأ أن الشركة سيق وحجرت لنا قال  
 إن هذا صحيح ، لكنه فى الليلة السابقة أى ١٢/٢٩ وليس ليلة ١٢/٣٠ وهى  
 الحالية ، ولم تكن هناك فائدة من المناقشة فطلبت من السائق أن يطلعنى  
 على فائورة حجز غرفة لنا فى فندق بحيرة مايايالا وحينما فعل انضح أنها  
 لنوم فقررت وجوب التوجه إلى هناك فوراً ، وإلا أضلت علينا الدنيا ،  
 وفاتتنا الحجرة أيضاً .

قرر السائق أنه لا بد من إصلاح العطل فى السيارة وأن هناك ورشة  
 قريبة فطلبت منه التوجه إليها ففعلاً توجه بعد أن أنزلنا فى فندق  
 قديم قريب ، وجفنا نأكل فى حجرة الاستقبال ، غداً من الصندوفين ،  
 وتناولنا الشاي ، والقهوة .

لم يغيب السائق فلم تسكد تمضى ساعة ، أى حوالى الثالثة إلا وكان قد حضر ، وابتدأنا رحلتنا ثانية . غير أن القدر كان ما يزال فى جمعبته الكثير . ذلك أن السائق قرر أنهم لم يعطوه ما يكفى من الوقود فلم يزد ما سمحوا له به على عشرين ليرا ، وفى الطريق أوقف بعض السيارات يسأل سائقها عن مكان يستطيع منه أن يتزود منه بالوقود ، وأخيرا أخبره أحدهم عن محطة قريبة فتوجه إليها ، وكانت تبعد أكثر من ثلاثين كيلو مترا .

تزودنا بالوقود ، ولم يدرك محرك السيارة واضع أن الكمربا . هطل فلم يتم احتراق الوقود ، واستغرق فى إصلاحها ما يقرب من ساعتين . كانت الساعة الخامسة وعشرة دقائق حينما تحركنا من المحطة ، واتجهنا إلى فندق بحيرة مايارا . وصلناها بعد السادسة ، وكنا فى حالة شديدة من الأعياء واتجهت إلى كاتب الاستقبال ، وقبل أن يرى دائرة الحجز اعطيته عشرين شلنا بحجة حجز غرفة تطل على منظر جميل ، والواقع أنى كنت فى شك أولا من الحجز ثم أنه كانت هنالك ليلة رأس السنة ، وهذه لم يكن فيها حجز لآى مكان مطابقا فى حين أن الحجز فى ارشبا فى فندق مونت مير وكان فى اليوم الاول من السنة أى ليلة اليوم الثانى .

قضى الله بفضله وكرمه لنا أن نستريح فقد حجز لنا كاتب الاستقبال الحجرة اللتين ، فضلا عن أنه أعطانا الحجرة رقم ٩٧ وهى حجرة تطل على ساحة الفندق ، وحمام السباحة ، ومن وراءها الغابة ، والبحيرة ، والمنظر فيها اخاذ فعلا . القينا امتعتنا بعد أن واعدنا السائق على اننا فى الساعة العاشرة ... حتى يكمل عشاء اليوم لم يكن فى الحمام مياه . راجع تأت إلّا فى الثامنة مساء ، وتناولنا عشاءنا فى التاسعة ثم نلما فى العاشرة .

استيقظنا كعادتنا في السادسة صباحا وإن كنا قد نمنا اوما هيقا . في الثامنة والنصف كنا قد تنارنا اطارنا وجلسنا في بهو الفندق ، وفي العاشرة إلا ربعا حضر السائق وابتدأنا رحلتنا إلى حدائق ماليا را المفتوحة . دهنا ثمانين شاة ودخلنا الحديقة ، وهي غابات جميلة ، والمفروض أن بهسا أفيالا ، وأسودا ، وفهدا ، وافر اس النهر إلى جانب سائر الطحيوانات .

لم يكند نبتعد مائة متر من المدخل حتى شاهدنا ثلاثة أفيال كبيرة ، وفيلا صغيرا يبدوا ، لم يحضر على ولادته بضعة أشهر . إقتربنا منها حتى صارت المساء لا تتجاوز حصة أمتار ، وربما أقل ، وإلتقطت بعض الصور وهي تنظر إليسا في دهة ، وسكون ، مع أن وجود الرضيع مع أمه يكون دائما مدعاة لقبها . استمر سيرنا بعد ذلك لنشاهد أفيالا متعددة بعضها قريب ، والآخر في المرتفعات ثم ذهبنا إلى نهر يحرق داخل الغابة وفيه وجدنا منظرا طريفا إدانه كان هنالك لا أقل من ثلاثين من أفراس النهر متجمعة ، حتى إنها كانت ملتصقة ببعضها ، ومنها ما كان يضع رأسه على جسد الآخر وهو دائم تماما بل ويفظ .

بعد حوالي مائة متر أخرى كانت هنالك مجموعة مشابهة الأولى كما رأينا مئات لبط المصري ، وشق أنواع الطيور . تركنا النهر واتجهنا إلى السافانا لمرى أنواعا من الشيران الوحشية ، والتوبى ، والجنو وعشرات من أنواع الغزلان المختلفة في فسحة من الغابة ، رأينا مجموعة ضخمة من البابون منتشرة تملأ الأرض تماما ، وهي تقفز ، وتلاعب ، وتفتائل ، وتصرخ وكانت هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها مثل هذا التجمع الذي لا بد أنه تعدى المئات وربما تصل إلى الألف أو أكثر .

تركناها وهي لاهية لا نعداً بوجردنا ، ودخلنا الغابة لنرى ذرافة سوداء ، ولم أر غيرها في مثل لوها ، خاصة وأن عجزها كان أسوداً دون أية نقط ، أو خطوط بيضاء ، وإن كانت رقبتها وعنقها بها المربعات كسائر الزراف . سدت طريق السيارة أيضاً ذرافة هائلة الحجم ، وبالرغم من اقترابنا منها حتى لم يبق بيننا وبينها أكثر من عشرة أمتار فإنها لم تتحرك فاحضطر السائق أن يوقف السيارة ، والنقطت ماشيت من العصور . بعد ثلاث أو أربع دقائق تهادت بعيداً عن الطريق ومررنا .

بعد فترة أخرى ظللنا أثناءها نبحث عن أسود الأشجار ، وهي نوع من الأسود تحب تسلق الأشجار الضخمة لينام على فروعها المتينة ، ومنها أيضاً من يرقب فرائسه ، إلا أننا لم نعثرها على أثر ، ولا عثرنا على العهود الواقعة ان الأشجرة حيوانات ليلية تحب أن تصيد برائسها ليلاً ثم تخفي نهاراً في هوائها بحثاً عن الحيوانات . صادفنا مجموعة أخرى من البايون عند جدول يجري بين الصخور ، ورأيت بعضها يشرب مع معلوماً أن القروود هو ما لا تشرب مكثفة بمسيرة لعواكه التي تأكلها .

رأينا أيضاً أنما تنمو لنا نوعاً من النسناس أزرق اللون ، أو هو أسود حتى يميل لون شعره إلى الزرق ، ويسميه الأما إلى النسناس الأزرق ، وهو نوع نادر الرخود ، وقليل ما يرى إذ يخفى بسرعة عجيبة حينما تقترب منه سيارة ، أو أسلأ أخذوا لسائق كما هي مدويه بعد ذلك إلى فرجه وسط أشجار باسقة في الغابة ، وجدت أن بها مقاعد خشبية وسأله عما إذا كان يمكن لنا النزول من السيارة ، ومع على بأنه ممنوع إلا أنه اجاب بأنه غير ممنوع في هذه المنطقة ، ولم أفهم السبب إلا أنني انبرزت العرصه وهبطت من السيارة لالتقاط بعض صور الأشجار الباسقة ، والتلال المحيطة بنا .

أنما التفاضل الصور رأيت على بعد مائتي متر في مرتفع احد الانبال



يلتقط طعامه ، ثم ما لبثت أن لاحظت أنه لم يكن بمفرده ، وإنما معه أكثر من عشرة أفيال أخرى . كنت قد بعدت عن السيارة بجوارى ثلاثين متراً ، وإن كنت لم أتمد عن المنطقة المسموح فيها بالنزول ، لكن زوجتي كانت قريبة من السيارة فطلبت منها أن تركب ، وناديت على السائق كاهيا . في هذه الأثناء ، كان أحد الأفيال قد بدأ يهبط التل ، ومن الغريب أنه كان سريعاً وخفيف الحركة ، ورأيت أن ازداد اقتراباً من السيارة ، خوفاً من الطوارئ . حضر السائق ، ورأى أن الفيل ، لا يبعد هنا بأكثر من مائة متر فطلب مني أن استقل السيارة ، وأسرع هو إليها وأدار المحرك ، وما أن صعدت حتى أطلق لها العنان مقررًا أن هذا الفيل كان يقصدها ، بل وأن بعض الأفيال يطارد السيارات ، وإن كنت لم أر شيئاً من ذلك كما أن هذا لا يتأتى مع وقفنا السائق إلى جوار الأفيال الثلاثة والرصيح .

لم نشاهد بعد هذا أى شيء يستحق الذكر سوى مجموعة من الطيور من بينها عقاب كبير ، قد مررنا ترك الحديقة المفتوحة ، وانحدروا إلى الفندق فوصلنا في الساعة الواحدة والربع تقريباً ، وأخطرنا السائق أننا سوف نستريح مساءً ثم نتجه إلى روشا في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي .

تناولنا غداءنا ثم استرخينا ، وجلست أكتب مذكرة راقى ، وفي المساء ، بعد تناول العشاء ، تركنا حوانات الأروبيين وهم يبدأون الاحتفال السنوى برأس السنة الميلادية ، وصعدنا إلى حجرتنا لنجلس في الشرفة نستمتع إلى صحب النزال . ونتمتع بالمصر أمامنا إذ أن القمر كان ساطعاً كما أن الجو كان بديعاً أو على حد تعبير زوجتي لم يكن هنالك جو ، ولا برد ، ولا حر ، ولا رطوبة ، ولا رياح ، ولا سكون .

١٩٨٣ / ١ / ٢

في الثامنة والنصف كنا قد تناولنا إبطارنا ، وكانت حقائبنا معه في ردة الفندق وجاء كاهن السائق في الساعة التاسعة ، وابتدأنا رحلتنا إلى أروشا . بعد بضعة كيلومترات تعطلت السيارات بسبب الكمبرياء . لكن السائق أصاحها في حوالى ربع ساعة ، ثم استأنفنا سيرنا . توقف في قرية صغيرة ، وهي إحدى قرى ثلاث رأيناها طوال رحلتنا ، وحدث إليه فتاة بعض المؤز ، من الواضح أنه كان قد حضر إلى القرية في اليوم الماضي وطالب إعداد المؤز له ، بل أنه لم يدع معه إذا به أحده وانطلق بالسيارة . بعد حوالى نصف ساعة عطلت إحدى العجلات واضطر إلى استبدالها ، وحينما سأله إن كانت هناك محطة قريبة يستطيع فيها إصلاح الإطارات فاجاب بالنفي .

انطلقنا ، وشاهدنا في الطريق بعض الراف ، كما شاهدت أيضا قطعة الأرض المحروثة التي تقارب العشرة أمدية والسابق الإشارة إليها ، وهي أكبر قطعة أرض مستعلة في كل المساحة التي مررنا بها ، بها عدا الاراضي الملاصقة لأروشا . رأينا كذلك الكثير من النعام ، والطيور المختلفة ، ولم يحدث شيء حتى وصلنا إلى أروشا في الساعة الثانية عشرة والنصف ، وطالب من السائق أن يتوقف عند أحد المحال لاشرى فيلما لآلة التصوير ، ولو أن الوقت متأخر والمدينة كانت مغلفة نظرا لأن اليوم هو رأس السنة وهو يوم عطلة رسمي إلا أن أحد التجار المغرود كان يعمل ، فاشتريت منه فيلما بما يتقابل الثلاثين دولار ، ولهذا اقتصررت على فيلم واحد .

ومدينة أروشا ذاتها مدينة صغيرة لا تعلو مبانيها على طابق واحد غير الأرضي إلا في الدار ، وشوارعها ، وإن كانت مسفلطة ، إلا أن حالتها سيئة ، وهي صحرى أقل كثيرا من أية مدينة متوسطة من مدتنا في الأرياف

وحصن من مساحة ، وسكانا من دار السلام التي لا تزيد بدورها عن عاصمة  
محطة متوسطة لدينا ، وليس في مدينة اروشا ما يستحق الذكر ، بل إلى  
حرة اعتنى بالتقاط صور لها .

تركنا المدينة إلى فندق مولت ميرو الذي يقع خارجا على بعد حوالي  
كيلومترين ، وهناك أنزل السائق حقائبنا وقرر أن يولي صاحب شركة  
السيارة ، سوف يحضر لنا لأن معه تذاكر الطائرة التي سوف نستقلها إلى  
دار السلام في الغد إن شاء الله .

لم يحضر بوني ولا السيد درا مدير فرع شركة « شيرونال تورز » ،  
وحاولت أن اتصل بالآخر دون جدوى ، ثم حاولت الاتصال بالسيد مستقلى  
وهو بوني ، وأعلمت في ذلك وقرر أنه سوف يحضر خلال عشرة دقائق ،  
وعلا بعد ربع ساعة ، أعطاني تذاكر الطائرة بعد أن أكد الحجز عليهما  
لأن شاء الله في الساعة الثانية عشر وخمس دقائق وثلاثين دقيقة ، على  
أن نكون في المطار قبل ساعة تنصل بوني من دفع أجر الفندق عن اليوم  
مع أن انما كنا كان يشمله فكمأى بذلك دفعت اثنين وثلاثين ألف شل عن  
سبعة أيام وستة ليالى ، بدلا من أسبوعين ، كما كان انما في الاول مع السيد  
ميليو مدير شركة « شيرونال تورز » ولم أربدا من أن أنعاصى عن ذلك .

تناولنا غداءنا وعشاءنا . في الفندق ولم نبرحه ، وكانت حجرتنا تطل  
على جبل ميرو العظيم ، وقد التقطت له عدة صور والسحب تحت قدمه .  
بقيت نقطة أخيرة يجب أن أذكرها هي أنه طسوال الرحلة الماضية ، وقد  
استغرقت سبعة أيام وستة ليالى لم أر السائق يستعمل نفير السيارة  
إلا مرة واحدة ، عندما استمر مدة طويلة يسير وراء إحدى السيارات التي  
كانت تفلت عليها الطريق بصفة مستمرة ، حتى أنه خيل إلى أن سائقها كان

يتعمد ذلك ، وحينما نعد بناءً لنوضح إنه رجل أبيض ، كذلك لم اسمع أحداً يستعمل التغير طول هذه المدة ، أو على الأقل لم الحظ ان أحداً يستعمله .

١ ٢

انضح لنا البارحة أننا نسينا في السيارة العربية الصغيرة التي عليها الخفاف التي نستخدمها في المطارات ، فتحدثنا هاتفياً مع اخي السيد خاطري ، وأخطرته بذلك، ووعد بالبحث عنها واحضارها لكنه لم يفعل، كما لم يرسل خاطري السيارة التي وعدنا بإرسالها في الساعة العاشرة صباحاً لتقلنا إلى مطار كليمنجارو ، وعلى هذا أكثرينا سيارة أجرة في حدود الساعة العاشرة وأربعين دقيقة حيث أن المسافة تزيد على سبعة وعشرين كيلو متراً والموعد المحدد لوجودنا في المطار هو الحادية عشر والنصف نظراً لأن الطائرة سوف تطلع في الثانية عشرة والنصف .

وصلنا المطار في الساعة الحادية عشرة وعشرة دقائق ، وعندما أخذت مني الموظفة المختصة التذاكر انضح ان سناناً غير مدرج في كشوف المسافرين واحتججت قائلاً إن خاطري قد أخذ المواعيد منذ اسبوع ، وانما كانت مكتوبة في التذاكرين لم يكن الموظفة ، واسمها مـ حـ ، قالت إن ذلك شخص اعتاد ان يكتب ما شاء عن التذاكر بالنسبة لعملائه وفي اليوم السابق فعل ذلك مع ثمانية من السياح ، واعتبرت قسمة إنها ستبدل جهدها لتجد لها اما كن إن لم تكن الطائرة جميعهم موجودة صليت من ان تنجح ان في الرحلة الأولى إن كانت بها اما كن لكنها اخطرت ان الطائرة ليس بها سوى المرحلة السياحية . توجهت بشكراي إلى رئيسها وهو رجل طيب يدعى مصطفى لكنني لم احصل على نتيجة سوى الوعد بأن يكون اسمنا في

في أول قائمة الانتظار ، وأن علينا الاحتمال والصبر لحين وصول الطائرة عسى أن يجعل الله لنا مخرجاً .

كان الموقف في منتهى السوء لأن الطائرة التالية التي سترحل إلى دار السلام كانت سوف تقوم في الساعة إلا خمس دقائق ، ومعنى هذا الانتظار أكثر من سبع ساعات أخرى وللطائر ، وإن كان نظيفاً وحديث البناء ، وبه مقصف ، إلا أنه قطعاً ليست به وسائل الراحة التي يمكن أن نقضى فيها هذه المدة الطويلة . وثمة نقطة أخرى أنه حتى لو مكثنا هذه المدة وليس ثمة ما يقطع بأن يجد مكاناً في الطائرة التالية ، ومعنى هذا احتمال مبيتنا في المطار . حاولت الاتصال بخاطري هـ فيما إلا أن السيدة التي ردت على قررت أنه غير موجود وأنها ستحضره بمجرد حضوره ، ورغى عن القول بأنه لم يحضر ، ولم يقدم أية معونة .

لم يكن أمامنا سوى الانتظار ، ومضت الدقائق بطيئة ، ونأخر وصول الطائرة إلى الساعة اثنية عشرة وخمس وأربعين ، وأعلن أنها سترحل في الواحدة وحينما سمعت عمي إذ كان يوجد بها أماكن حديه أجابني الآنسة مديحه بالتي وقت ردا الواقعة ، ولم يكن هناك من الانتظار حتى الطائرة التي ستروح تقع في الساعة السابعة . سلب أمرى إلى الله وحاولت عن الأفل أن أأكد من السيد مصطفى عمي إذا كذا حقاً سيستقلها فوعدني بذلك . طالت منه تأكيد التوعد بأكد الواقع أن الرحمن قد قدر الظروف بحيرة أخيراً كرمه . صدمتنا إن لم نعرف بعد أن تركت حفلة مع حميد الشركي ، واسم جمع ، وهو أيضاً شخص ظريف مودع ، وطائفاً غناء فاضح أنه لا يرحل سوى طيق واحد ، وهو ختم بقرى ومض "بطاطس ولبازلاء" وأنه لا يوجد خبز . حضر الطعام تذوقت منه قليلاً ، وبعته نفسي وكذلك

فعلت زوجتي ورفضنا تكلمته ، وأحضر النذل قطعة من الأماناس ، لكل منا فأكلها .

إن وصف التعب الذي يلاقيه المرء من مجرد الانتظار عسير ولا يقدره حق قدره إلا من عااه . وحينما يضاف إلى الانتظار القلق من احتمال عدم وجود أماكن شاغرة في الطائرة التالية ، وغما من وعد السيد مصطفى ، فإن التعب ينقلب إلى إرهاق . مهما كان المقدم مريحاً فإن استريح فيه ، إن حاولت القراءة ولن نستطيع التركيز ، وإن أردت الحديث فستجده بلا بل وإن يكون سوى عن الموقف الذي أنت فيه ، وأمل هذا بدوره يزيد من قلقك . وإن تركت المقعد لتسير بعض الوقت ستكون خطراتك غير ثابتة وعصبية ، ودون هدف . لن تتحول هناك عن الساعة إلا لتعود إليها ، وسيحسب ذلك الوقت المفقود في كل مرة تنظر فيها إليها . لو أنك ستستغل الطائرة التالية ، إذا رجعت هناك نصف المعاماة . لكن كيف نطمئن إلى كلمة شخص ، مهما كانت حسن نواياه ، فانه شخصياً لا يعلم إذا كانت هنالك أماكن خالية إلا بعد أن يرد إليه الكاشف من الطائرة بعد إفلاعها من مطار القيام . نحاول قضاء الوقت فنطلب من نذل المقهى شراباً بارداً . ثم بعد أن يتناوله ، وينقضي بعض الوقت ؛ تعود تطلب شراباً ساخناً ، قهوة أو شاي . تترك مكانك ، وتستأذن من زوجتك قائلاً : إليك ستنزل إلى الدور الأرضي لترى عما إذا كان سيستمويك شراباً . ساعة من المتأجر . وحسبما تهبط فتستدع هيويا لكل ماترى من سماع . وتعود إليها ومعك علبة واحدة من البسكويت . تنتقل من المائدة التي تجلس عليها . والمقهى خال ، أو يكاد ، إلى أخرى لأن الجو حار والنافذة العربية أكثر هواء ثم تعود لتنتقل مرة ثالثة لأن الشمس اقتربت من هاتذك . تسكن برأسك على يديك . وتغلق عينيك لتنام . وراودك

الافكار في الاحتمالات السيئة فتعطل في جلستك . في كلال ، وتطلب إلى زوجتك أن تريح نفسها بأن تغلق عينيهما لتنام . تعيد النظر في ساعاتك ، ونخبرها أنه لم يبق سوى خمس ساعات مثلاً . ونبتل إلى الله أن تصحح لك زوجتك خطأ حسابياً .

وحينما لا تعمل تنجح بطرك إلى الساعة لتتأكد بنفسك من أن زوجتك لم تخطئ . حينما لم تخطئك وأخيراً وليس آخراً كما يقولون ، إذا كنت من المدخنين فانك تنهز المرصة لتشبع نهمك إلى التدخين فتظل تنفث السجارة اثر أخرى . وكأما تمثل فيها احترق أعصابك . وعلى أى الأحوال فانه لا شك أن الانتظار والقلق عاملان قويان في احترق الاعصاب .

أنهاء قراجدنا حضر ثلاثة من المسامى بعباءاتهم الحمراء وقوامهم الطويل وأجسادهم النحيلة ولا فراط تقابل من أعين آذانهم . كان وجودهم وسط مظاهر المدنية غريباً . ويبدو أكثر غرابة وهم يقفون على الباب يطلبون مشروبات خفيفة . ثم كان أعجب حينما جلسوا إلى إحدى الموائد ، وطلبوا العشاء ولما انهوا منه تركوا مجلسهم وارتحلوا .

أخيراً حلت الساعة الخامسة وتركنا ، زوجتي وأما ، المقهى ونزلنا إلى الدور الأرضي لتري ماسوف يكون عليه حظنا . بدأ المسافرون يمدون . كانت الثلاثة تشر إلى أن هالك طائرتين إلى دار السلام ولا يوجد غيرهما . احدهما موعد قيامها في الساعة ، والاخرى في التاسعة . وأخذنا نحصى الوافدين ، وأملنا يتضاهل كلا ازداد عددهم . وصوا حقائبهم ولا أثر لحقائبتنا . ثم لما حلت الساعة السادسة رأيت جمعه ، حفظه الله يعمل حقائبنا . وبساطة واضحة أعاد ترتيب الحقائب ، ووضع متاعنا في أول الصف . وبعز قلبينا أرحاً . ذهبت ، وأعتنى الموظفة جواز صعود الطائرة .



وزارت الحفائب ، وانتهت بذلك جميع الإجراءات فشكرونها ، وشكرت السيد / مصطفى ، وكذلك طبعاً جمعه .

ومن الطريف أن جمعه لم يكن يعرف معنى اسمه ، وكان ينطقه جوما ، وكنت أثناء فترة الانتظار المملة أقطع الوقت بالحديث معه ، صحح لي النطق وقال ، جوما ومع تعويضه الجسيم ، وتفخيم الالف ، وقضيت بعض الوقت أمامه ، أن صحه اسمه كما أنطقه ، وأنه يعنى يوم الجمعة ، ولم يقتنع حتى شبت له النطق بكلمة « عمر » وهذا فقط أحس أنني ربما يكون لي بعض الحق .

مررنا بالتفتيش ، والتجسس ، ودخلنا القاعة الداخلية للطار انتظاراً للرحيل . ومضى الوقت سريعاً حتى كادت الساعة تصل إلى الساعة ، ولم ينادوا على ركاب الطائرة ، وبذلك بدا العلق يساورنا مرة ثانية . ترى ألم يفرغ القدر من ألعابه معنا ؟ لا ...

لم يكن قد انتهى فقد كان في جعبته بعضها . سمعنا النداء على ركاب الطائرة ، ففرحنا ، وقام الركاب يتسابقون إلى باب الخروج لكن قلوبنا كادت أن تتوقف حينما سمعنا أننا جميعاً مطلوبون للتوجه إلى مكتب الشركة لأن الرحلة ألغيت ١١ . هكذا ببساطة .

... ألغيت . نظر الركاب إلى بعضهم ببلاهة يتساءلون في حين جلست دون كلمة إلى جانب زوجتي التي راحت تمطرني بالأسئلة وكأنني أعلم ما لا أعلم . كان معنى هذا قطعاً أن جميع الركاب ، وكذلك من سيبقى بعدهم ، سوف يتزاحمون على الطائرة الأخيرة ، التي لن تتحرك قبل ساعتين ، أي في التاسعة ، ومعنى هذا بالتالى أن من سيقضى ليلته في المطار ، والله أعلم ماذا بعد ذلك .

على أن الله كان رؤوفاً بحالنا فما لبث للذئاع أن أعلن أنه لا داعى للتوجه إلى مكتب الشركة حيث أن هناك طائرة سوف تقوم فى الثامنة أى بعد ساعة .  
 كننا جالسين ، زوجتى وأنا ، إلى جانب باب الخروج ، ووقفت أمامنا سيدة أمريكية فى العقد الرابع من عمرها ، وتبادلتا الحديث أولاً عن الموقف الذى وجدنا أنفسنا فيه ، واحتمالاته ثم تدرج إلى الأحاديث الشخصية . قدمنا لها أنفسنا ، وقدمت نفسها باسم Jenny Johanson وقالت إنها ، وزوجها ، يعملان كمدربين فى مدرسة بلوساكا ، وأن عقدتهما لمدة أربع سنوات قضيا منها إثني ونصف . واستمر حديثنا بعد ذلك فى الطائرة لأن الطائرة قامت فى موعدنا الجديد ، كما أنها هى وزوجها جلسا أمامنا . عرفتنا بزوجها وقالوا إن المدرسين الأجانب فى أفريقيا يتبادلون الشقق فى أجازاتهم ؛ وبذلك يزورون بلاداً عديدة دون أن يدفعوا شيئاً فى الإقامة . وتشعب الحديث وهرقا إثنى أضع الذهاب إلى زنجبار ، ثم إلى موزمبيق لاقضى أسبوعين فى الأخيرة . قالوا أنهم لم يذهبوا إلى موزمبيق ، ولكنهما لم يسمعا عنها شيئاً كبئس سياحى ؛ ولا يعتقدان أنها تستحق أن يقضى فيها هذه المدة الطويلة . ولكنهما ذهبا إلى زيمبابوى ، وأن هرارى ، وهى العاصمة ، وكان إسمها القديم سالسبورى ، تلك لطيفة ؛ يمكن منها زيارة شلالات فكتوريا كان هذا فصل الخطاب لأننى كنت أود أن أزور الشلالات بأى ثمن إذ أن معلوماتى عنها ، سواء ماقرأته ، أو ما سمعته ؛ أهم تفوق شلالات اياجرا ، وحينما سألت الصاحبين الجديدين اقرا ذلك .

كان من الجلى أهم ما يريدان رؤية القاهرة ، وأن ادعواهما الإقامة فى منزلى ، خاصة وأما ذكرهما أنهما يقبلان فى لوساكا ؛ وأما سيعودان فى الخامس من الشهر الجلى ، وأما يمرهما حداً أن يستملانا فى منزلهم ، ويستضيفانا مدة مكوثه ؛ اعتذرت لصيق وقتى ، ولكننى دعوتهم لقضاء بعض الوقت فى القاهرة ، وفعلوا قرحاً ووعدا بالحنور .

وصلت الطائرة أخيراً إلى دار السلام ، وكانت الساعة التاسعة والنصف واستلمنا حقائبنا وودعها صاحبيها الجديدين ، وأكثريتنا سياروا لتقلنا إلى فندق كليماجارو ، في الفندق وجدنا أن غرفتنا كانت معجوزة . وأرسلنا الحقايب إليهم ، وقررنا أن نغتسل ثم لتناول شيئاً من الطعام في الكافتريا التي تظل مفتوحة وتقدم عشاء حتى الثانية عشرة مساء . وهنا كانت آخر الأعياب القدر في ذلك اليوم إذ لم يكن في الفندق مياه !!

هبطنا إلى الاستقبال ، وسألنا الموظف معتقدين أن الأمر لن يتعلق دقائق ؛ أو حتى ساعة ؛ أو اثنتين إلا أنه أجاب أن العطل من البلدية ، ولا يدري متى يتم الإصلاح ؟ تناولنا العشاء ، وحينما صعدنا لم يكن هناك مياه ، وكانت لدينا بقية مياه من زمزميتنا ، استعملناها بحذر وسلسنا أمرنا إلى الله ونمنا .

١/٣

هذا يوم مليء بالنشاط والحركة ؛ قضينا في دار السلام . بدأت بأن ذهبت مبكراً إلى كرسي ، وهو فيما اعتقد أحسن مكتب سياحة في إثيوبيا ، وطلبت منهم أن يحجزوا لنا في الطائرة التي سترحل إلى زنجبار في اليوم التالي ١/٤ في الساعة الخامسة والرابع مساء على أن تكون العودة في يوم ١/٦ أي بعد ثمانية صباحاً ، كما طلبت أن يحجزوا غرفة في أحد الفنادق المحترمة . تركهم ليقوموا بالحجز على أن أعود إليهم في الساعة الثالثة مساء لئلا كد من إتمام الحجزين .

ذهبت بعد ذلك إلى شركة طيران موزمبيق لئلا أكيد حجز أماكن على طائرهم إلى متعلق من دار السلام في يوم ١/٨ إلى مانونو ، عاصمة موزمبيق . حينما انتهت من هذين كان على أن أذهب إلى سفارة موزمبيق لتعديل تأشيرة الدخول لتكون متعددة بحيث يمكنني أن أذهب إلى

موزمبيق ، وامسكت بها بضعة أيام ، ثم منها إلى هراري ، عاصم زيمبابوي وامسكت بها أيضاً بضعة أيام ثم أعود إلى ما بوتو عاصمة موزمبيق ومن ثم إلى دار السلام لاستقل الطائرة إلى القاهرة .

فعلا قدمت الطلاب إلى السفارة ، وطلبوا منى العودة في الساعة الثامنة والنصف لاستلام جوازي السفر ، بهما التأشيرتان المطلوبتان . سألت عن سفارة زيمبابوي ، وقالوا إنه لا توجد لها سفارة في تنزانيا ، ولكن ربما يكون لها في موزمبيق . ذهبت بعد ذلك إلى مكتب شركة مصر للطيران في محاولة للسؤال عن مواعيد الطائرات من ما بوتو إلى هراري ، والعكس ، ووجدت أنه يمكن السفر من ما بوتو إلى هراري كل يوم خميس ، وسبب كان أن العودة كذلك . كان هذا يأسيني تماماً حيث أستطيع الذهاب والعودة لاستقل الطائرة ، إلى دار السلام ومنها إلى القاهرة إن شاء الله . لكن أثار أحد الإخوة نقطة جعلتني أعيد حساباتي . لماذا لا أأفّر من ما بوتو إلى هراري ، ثم من الأخير راساً إلى دار السلام ؟ ما الحكمة في العودة إلى ما بوتو ؟

أضاف إلى هذا سبباً آخر . صحيح أن الطائرة من ما بوتو إلى دار السلام تصل في الساعة التاسعة عشرة ، وصحيح أن طائرة شركة مصر للطيران تقوم في الساعة الواحدة ، من صباح اليوم التالي ، أي بعد خمس ساعات ، لكن ليس هنالك ما يمنع من حدوث تأخير في الرحلة ، أو حتى العائها ، فأجد نفسي مطراً إلى اليماء أسبوعاً كاملاً . ولما كانت تخرجتني مع الطيران ما تزال قريبة عالقة بالذهن فقد وافقت على تغيير خططنا .

تركت تدكرتيناً مع السيد وجاني ، وهو هندي يعمل في شركة مصر للطيران ، الذي وعد بأن تكون معي حين عودتنا من زنجبار في يوم الخميس القادم الموافق ٦ / ١ ، وعلى أن يؤكد مواعيد الطيران ، وأسعاره في الخلد ( ٦ - سفاري )

قبل سفرا . شكرته ، كما شكرت السيد مصطفى عبد الرحمن أمين المدير الإقليمي للشركة في تنزانيا الذي لاقت منه أكثر مما أطمع من معونة .  
مررت بعد ذلك على السيد ما ليو مدير شركة ناشيونال توريدولم أجده ، فتركت له رساله . وكان الوقت قد حان للعداء ، فعدت الى الفندق ، وكانت المياه اغبطتنا قد وصلت .

لم نكده نتناول طعامنا ونستريح قليلا حتى عدت الى سفارة موزمبيق واستلمت جوازي السفر بعد تعديل تأشيرة الدخول ، ومن هناك توجهت الى شركة كيرسلي ، واستلمت تذكري الطائرة الى زنجبار في الغد في الساعة الخامسة والربع ، كما استلمت أيضا الحجز في فندق بواواني ، ومن ثم عدت الى الفندق ، حيث قضينا باقى الوقت وتناولنا العشاء .

٤ / ١ بدأت يومى بأن ذهبت الى السيد ماليبو ، الا أننى وجدت أن المصعد معطل ، وبما أن مكتبة فى الدور السادس ، وبما أنه لم تكن لديه كياسة الاتصال فقد صرفت النظر عنه . من هناك ذهبت الى مكتب شركة مصر للطيران حيث قابلت السيد أحمد شوقي المدير المالى لأول مرة ، إذ أنه كان مسافرا ، كما قابلت السيد مصطفى المدير الإقليمي ، والسيد رجائي الذى كان قد أعد تعديلات لبرنامج رحلتى من مقتضاء أن يصبح يوم ١ / ٨ هو يوم السفر الى موزمبيق .

ثم يوم ١٢ / ١ السفر الى هرارى عاصمة زيمبابوى من ما بواو بموزمبيق .

ويوم ٢١ / ٤ السفر من هرارى الى دار السلام .

ثم يوم ٢٣ / ١ من دار السلام الى القاهرة ان شاء الله .

قبلت الوضع ، ووعدتني أن تكون التذاكر معدة ، وبحجوزة في يوم الخميس عند عودتنا من زنجبار ، فشكرته على حسن صنيعه ، ولم يكتف السيد رجائي بهذا بل أهدى صديقي إلى مكتب الهجرة لياً لهم عما إذا كانت هنالك مضايقات في تكرار عودتي إلى البلاد بعد الخروج منها فأجابوه بالنفي .

كان لدى طبيباً لبرنابجي يومان في دار السلام لا أدري كيف أقضيتهما ففكرت في الذهاب إلى الجنوب حيث توجد حديقتان مفتوحتان هما ميكومي ، وسيرنجي ، وحينما سألت فيل لي أن الأخير مائة مؤفنا لأن الأمطار أهدت الطرق ، وأغلقتها تماماً ، أما بالنسبة لميكومي فقد طلبوا مني أن أدفع ما يقارب ٣٦ دولاراً عن الشخص فرفضت حيث أنني وجدت أن ميزانيتنا لا تتحمل هذا ، خاصة بعد تعديل حططنا ، ذهبت إلى شركة سياحية تدعى تاكيم ، وسألتهما عما إذا كانوا يستطيعون تأجير سيارة ليوم الجمعة للذهاب إلى باجامويو ، التي كانت العاصمة القديمة للبلاد ، وأكبر سوق الرقيق في القارة فأجابوا بالإيجاب ، وقالوا إن على تأكيد الحجر يوم الخميس بعد عودتي من زنجبار .

هنا ، زوجتي وأنا ، إلى الفندق بعد جولة قصيرة في السوق لنتقى بعض الهدايا ، وأخبرت موظف الاستقبال في الفندق بأننا نريد سيارة فستقلها إلى المطار في الساعة الثالثة والنات ، ثم تناولنا طعام الغداء في مطعم وهو يقع في أعلى المبنى ، ويطل مباشرة على الميناء ، والمنظر جميل حيث أن المرء يستطيع أن يرى ، وهو جالس ، المحيط الهندي ، ثم انشأطيء الإفريقي وقد كسسته الحضرة بحيث تقص الميناء ، ثم شبه قناه وسط هذه الحضرة تؤدي إلى مينائين ، الخارجيين مهمهما مقسم ، والداخلي أدنى السعا ،

وفى كل جزء من الأرض حول الميناءين توجد الحضرة . الراقع أن منظر  
البواخر الضخمة وهى تقف كأعمام فى محاصره بين خليجين داخليين ،  
ولامنفذ لها الى البحر أخاذ .

انتهينا من طعامنا ، واحذنا جفائنا تاركين حقيبتين فى الفندق لم نر داعيا  
لاخذهما حيث أن اقامتنا فى زنجبار لن تزيد على يوم وليلتين ، ومن ثم  
أوجهنا الى المطار . أفلعت بنا الطائرة فى تمام الساعة الخامسة والثلاث  
اتصل الى مطار زنجبار فى الخامسة وخمسين دقيقة .



## جزيرة زنجبار

يقول صاحب جريدة الاخبار في تاريخ زنجبار ان الكلمة أصلها من  
وأما بحرفة ، وكانت بر الزنج ويقال لها بالسواحلية القوجاء ، ومعنى القو  
بالعربية المنسف ، و-اه امتلا .

وهي تقع في المحيط الهندي على بعد ست درجات جنوب خط الاستواء  
وعلى بعد حوالي الأربعين كيلو مترا شرقي دار السلام ، وبها أربع قرى  
بالأصابع إلى العاصمة زنجبار . مكوكوتوني إلى الشمال ، ونشواكا إلى  
الشرق ، وراكودونشي ، وكيزمكازي إلى الجنوب .

ويقول صاحب جريدة الاخبار إن طولها من أوسع نقطة منها ٥٢٤ ميلا ،  
وعرضها من أوسع نقطة منها ٢٤ ميلا وأن مسطحها ٦٤٥٠ ميلا مربعا ،  
وسكانها حوالي ٣٥٠٠٠٠ نسمة ، وكان خمسم من العرب ، وحوالي  
٢٠٠ من الهنود ، ولكن بعد الثورة هاجر الهنود ، ولم يبق من العرب  
سوى النصف .

وتقول المكتبة الجغرافية إن مسطحها ثلاثة آلاف كيلو مترا مربعا ،  
وأن عدد السكان ثلاثمائة وأربعين ألفا ٣٤٠٠٠٠ .

ولم يكن تاريخ زنجبار يختلف عن سائر الساحل الشرقي لأفريقيا فقد  
كان دائما خاضعا للعرب ، ويؤمة التجار الهنود ، ثم حينما جاء البرتغاليون  
غزوا الجزيرة ، وأخيرا في الثالث الأول من القرن الثامن عشر طردهم  
منها العمانيون .

لكن تاريخ الجزيرة مختلف عن الساحل حينما نقل السلطان سعيد بن سلطان ، حاكم عمان ، مقر سلطنته إليها وذلك في سنة ١٨٣٢ وبذلك انتقل إليها كثير من العرب ، وأصبحت الجزيرة في مركز ممتاز اذ كان يخضع لها كل الساحل الشرقي الأفريقي حتى موزمبيق التي ظلت خاضعة للبرتغاليين .

ازدادت أهمية الجزيرة حينما أدخل إليها السلطان سعيد زراعة القرفة ، ولم تلبث إلا قليلا حتى أصبحت وهي جزيرة ، بما إلى شمالها ، تصدرا ٩٠ % من احتياجات العالم ، وشجع السلطان الاكتشافات العربية داخل القارة الأفريقية ، فتوغل التجار ، وضموا الأراضي باسم السلطان حتى قيل إنه إذا نفخ زامر في زنجبار ، رقص الناس على أقدامه عند البحيرات .

مات السيد سعيد في أكتوبر سنة ١٨٥٦ فانقسمت أملاكه إلى جزين ، سلطنة عمان ، وآلت إلى أكبر أولاده تويهي : وزنجبار وأفريقيا الشرقية ؛ وآلت إلى السيد ماجد . والواقع أن تقسيم المملكة كان حيلة بريطانية بقصد إضعافها إذا ادعت بريطانيا أن السلطان سعيد قد أرسل لها خطبا يوصي بهذا ، وهو ما لم يحدث .

كان من نتيجة هذا الانقسام أن اضحي سلاطين زنجبار في الواقع مجرد دميات تحركهم بريطانيا بواسطة قناصلها ، وطبقا لمصالحها . استحوذت بريطانيا على كينيا ، وجزء كبير من الصومال ، وأعطت جزأ آخر إلى فرنسا ؛ وإيطاليا ثم واصلت الألمان حينما اقتطعوا لأنفسهم تنجانيقا ؛ وفي النهاية لم يبق لسلطان زنجبار سوى الجزيرة نفسها ، والجزيرة الخضراء ؛ بما . وحتى في هاتين لم يكن باستطاعة أي من السلاطين الحركة إلا بأمر القنصل البريطاني . ولده يكفى الآن لآي زائر المدينة أن يرى القنصلية إلى جوار قصر السلطان ، والاولى تهموق بهاء وجمالا ، لينتصروا مدى السطة التي كان يتمتع بها القنصل البريطاني .

انتهت هذه الصداقة بين بريطانيا وسلاطين زنجبار أخيراً بفرض الحماية البريطانية عليهم في أول يوليو سنة ١٩١٣ ، وبذلك انتقلت العلاقات من وزارة الخارجية إلى وزارة المستعمرات ١١

وفي سنة ١٩٦٣ أعلنت بريطانيا منح زنجبار الحكم الذاتي ، وفي يناير ٦٤ أطبق بآخر السلاطين ، وأعلنت الجمهورية . وفي أبريل من السنة نفسها أعلن اتحادها مع جمهورية تنجانيقا تحت اسم جمهورية تنزانيا الاتحادية .

١٩٨٣/١/٤

سبق أن وصفت مطار دار السلام ، وقلت إنه لا يليق بمدينة كبيرة والواقع أن هذا تأكيد في رحلتنا الحالية فقد تصادف أن طائرة أخرى ستقلع في الموعد نفسه إلى مطار كليمانجارو ، وامتلات الصالة الصغيرة ركاب الطائرتين ، فدا لوكان هناك ركاب طائرة ثالثة ، أو أكثر ؟ على أي الاحول انقلت طائرتنا في موعدها تقريباً كما ذكرت ، ووصلت إلى مطار زنجبار بعد نصف ساعة والمطار لا يزيد على مبنى صغير مدخله لا يتناسب مع أهمية الجزيرة ، ولا يعطى فكرة مشرفة عنها ، خاصة وأن وسائل الإعلام التنزانية لا تسكاد أن تذكر شيئاً عنها ، لهذا فهي غير معروفة من الناحية السياحية ، حتى أن مؤسسة السياحة التنزانية مثلاً بنت فندقاً سياحياً في جزيرة مافيا ، وعرضوا على الذهاب إليها مرتين بشتى الوسائل لكنني كنت قد قرأت الكثير عن الساحل الشرقى لأفريقيا برمتها واستطيع الحكم على ما يرى ، وما لا يرى ، لهذا أعددت لرحلتي إلى زنجبار بنمسي ، دون معونه من مؤسسة السياحة التنزانية .

ومع هذا فقد خدعت ، إن سكوت وسائل الإعلام جعلني أعتقد أنه يمكنني لزيارة الجزيرة ، يوم ولهذا فضلت أن أقضى ليلة الخامس من الشهر ،

وليلة السادس بحيث يسكون يرم الخامس لى كاملا أفضيه فيها ، ولو تمت  
نصيحة السياحة ، وما رتبوه لى ذهبت فى الرابع وعدت فى الخامس ، وما  
رأيت حتى القليل الذى رأيت . والواقع انى خدعت باقتصارى على يوم  
كامل لمشاهدة الجزيرة ، وهى تستحق أن يقضى المرء فيها أسبوعا .

حينما دخلنا المطار كان علينا أن نبرز بطاقة الحجر الصحى لإثبات  
أننا تطعمنا ضد الكوارى ، وهو إجراء غير عادى حيث أن هذا الإجراء  
لأنما يتم أثناء دخولنا تيرايا . على أن المرء ربما يتعاضى عن هذا حيث أن  
فنجمار جزيرة قائمة بذاتها ، وتأبى السفن من شتى أنحاء العالم ورءى وصلت  
إليها الطائرة رأساً ثم لك مرور إذا لإجراء من صحيحة خاصة . لمكن الشئ .  
الغريب أنه كان على الجانب إزاز جوازات سفرهم . وإثبات اسمائهم فى  
كشف معد لذلك ، مع تاريخ الدخول ، ورقم الجواز ، وتاريخ السفر  
والعنوان الرئسمى . يقوم موظف الجوازات باعطاء تأشيرة الدخول بختم  
الجواز ، تماماً كمالك تدخل لدا ثانية فيما عدا أنك هنا لا تحتاج إلى تأشيرة  
دخول القنصلية .

لهاين ألاحظين سبب سيتضح فيما سرويه من وقائع .

كانت أول مفاجأة سارة هو أن الطريق من المطار إلى المدينة يزيد عرضه  
على أربعين مترا ، وفى منتصفه جزيرة تفصل الذهاب عن الإياب ، المفاجأة  
التالية هى تلك الحضرة العجيبة التى تضارع ، أو تزيد على خضرة أوغندا ،  
والتي حفت جانبي الطريق . آلاف أشجار المارجيل (جوز الهند) الرشينة ،  
تنطارل برقة متعاقبة أحياء ، ومتفرقة أخرى ، وأشجار الموز ، وشجى  
الأنواع أخزى ، سواه المنزرعة ، أو التى انبتتها الطبيعة ، تتكاثر ، وتتواكب  
حتى أن المرء لا يرى عملا الارص ذاتها .

انطلقت بنا السيارة ، والسائق بهذه المناجبة فاتح اللون عرى السمات ،  
يرتدى جلباباً أيضاً وطافية ظريفة ، أقول انطلقت ، والحضرة حولنا  
تذهلنا حتى دخلنا أطراف المدينة .

كان فندق بواواني بدوره مفاجأة . فهو يقع خارج المدينة بحوالى  
كيلومترين ، ويطل مباشرة على المحيط ، وهو قصر عرى بكل ما في هذه  
الكلمة من معنى ؛ حتى أننى سألت من تاريخه ظاناً منى أنه كدل ملكا  
لأحد السلاطين العثمانيين ، لكنهم أجابوني بالنفى . الباب الخارجى صغير  
بنى على الطراز العرى حتى أنه قد كُتبت في أعلاه الآية الكريمة : « إنا فتحنا  
لك فتحاً مبيناً ، بالمعة العربية طيعاً ، وأرضه جمعها مفروشة بالسجاجيد ،  
حتى الدرج وعند المدخل صندوق كبير مطعم بالنعاس المشفول ، وقاعة  
الجلوس بها أبواب ذات مشربيات زهبا صندوق آخر مشمول أيضاً  
بالنعاس وهكذا .

استقبلنا كاتب الاستقبال ، وخصص لنا الحجرة رقم ١٢٣ . وهى تقع في  
الطابق الرابع ، وحيثما خرجنا من المصعد رأينا ردة ظويلة . قسم الطاق إلى  
جانبين وعرضها يزيد على خمسة أمتار . ودخلنا الحجرة انرى أنها مقسمة إلى  
قسمين أحدهما به فراشان وثيران ، والآخر حجرة استقبال محتوى على خزانة  
ملابس ومقعدتين ، وطاولة ، وفريجة ، ومراة ضخمة ، وجهاز تلفاز على طاولة  
خاصة .

وقد غطيت أرض الحجرتين بالموكيت . أما الحمام فكان واسعاً ونظيفاً ،  
حوى كل أسباب الراحة المصرية . بالإضافة إلى هذا وضع ترموس كبير به  
ماء مثلج وكان النذل هو الذى يملأه بمجرد أن يفرغ . والواقع أن الخدمة في  
هذا الفندق أحسن ما رأيت ، كما أننى أكتشفت فيما بعد أن الطعام أيضاً جيد

جداً ، وبالرغم أننا في تنزانيا عموماً أكلنا جيداً ، إلا أن الطعام هنا يفوق سائر الفنادق بصمة قاطعة ، كما وكيفا . مع كل هذه الميزات ، ومع أننا أثناء إقامتنا لم تنقطع المياه الباردة أو الساخنة ، كما حدث في كايماهارو ، وسائر الفنادق في تنزانيا ، ولا تعطّل جهاز التكييف كما حدث في نيو أفريكا ، أو أفريقيا الجديدة ، فإن سعر الإقامة ، والمأكل واحد ، فيما عدا أن سعر الإقامة في الفنادق الأخرى يشمل وجبة الإفطار ، وهو لا يشملها في فندق بواواني .

ومع أن الحجرة كما قلت تطل على المحيط مباشرة بحيث لا يبعد عنها أكثر من خمسين متراً ، إلا أننا لم نسمع أصوات الأمواج ، ورأينا منظرًا لعله لا يوجد في بقاع أخرى كثيرة في العالم حيث كانت الأشجار ، وأنا أرى هنا أشجار كثيفة تشابه في شكلها أشجار الموالح ، ولم أتحقق منها إذ كانت بعيدة ، كانت تمتد حتى انتهت وسط المياه المالحة ، ومع هذا فإن خضرتها لم تتأثر مطلقاً ، ولا لإصفرار مياه بواواني لاحتظنا بعض الشجيرات الصغيرة التي بدأت نموها في نهاية الغابة وسط المياه .. لقد رأيت غابات النخيل على شاطئ البحر بش الجليل ، وهي تكاد تلامس مياه البحر ، كما رأيت بعض النخيل عند كسفريت ، في البحيرات المرة ينبت داخل المياه المالحة فعلاً ، لكن النخيل شجر قوي ، ولا يدخل مثل هذه المسافة في البحر ، وقد امتدت الغابة لأكثر من مائتي متر داخل المحيط ، وما رأيته في مصر كان إما عن كثب أو داخل المياه لامتداد قليلة لحسب . أمام نافذة الحجرة أيضاً كان تمتد رجل عرفت أنه كازي أول رئيس لجمهورية زنجبار .

على أي الأحوال فقد تناولنا عشاءنا ، ونمنا مبكرين فسبباً توفراً ليوم طويل في الهدوء . نمنا نوما هادئاً عميقاً لا يزعجه صوت ، ولا يقلقه حس .

على غير عادتنا تأخرنا في نومنا ، ولم تنته من ضروريات الصباح

إلا في الناحية . هبطت إلى الاستقبال أصلب أن أكونى سيارة تطوف بنا في  
المدينة وضواحيها ، فاستدعى لي موظف الاستقبال سائقا انضح أنه من أصل  
هماني ، وأن اسمه خلدان بن محمد . وهذه المناسبة لاحظت أن معظم السائقين  
في زنجبار من أصل هماني ، ولست أدري هل العكس صحيح ، أم لا ، هل  
معظم الهامايون يعملون على سيارات أجرة ؟ انضح أيضا أن السيد خلدان ،  
وهو في منتصف الحلقة الثالثة من عمره ، يتكلم العربية ولها سرورا جدا  
ونحن نبأ له الحديث . والواقع أن هذا الشاب كانت معلوماته واسعة جدا  
عن الجزيرة وسكانها ، وزراعتها ، كما لم يبخل علينا بشيء منها .

كان أول ذهابنا إلى مكتب شركة طيران تنزانيا بنؤكد - حينئذ - العودة  
في اليوم التالي . ثم بدأنا مطافنا في المتحف القوي ، وهو متحف صغير ،  
لا يوجد به ما يستحق الذكر ، وقد جمعوا فيه أنواع الحيوانات ، ولرؤاحف ،  
والأسماك ، والأصداف الموحدة في الجزيرة ، كما وجدنا به بعض قطع قليلة  
جدا من آثار سلاطنة عمان ، مقعد الولادة ، وبعض خرق من ملابسهم  
القديمة ، لهذا لم نستمر زيارتنا له مدة طويلة ، وأثناء خروجنا وجدنا سحاما  
في الحديقة هائلة الحجم ، وكانت قد أدخلت رأسها في صدفتها الضخمة .

انتقلنا بعد ذلك إلى سوق المدينة ، وهو إن كان صغيرا إلا أنه يحتوي  
على الكثير من أنواع الخضار والتمككة ، والأسماك ، والدجاج ، وقد استمرت  
انقباضنا خاصة المأكلة ، إذ أن الموز مثلا أرخص منه ، وقطعا يزيد  
وزن الثلاثة أصابع منه عن كيلو جرام ، ولكن هذا النوع ليس حلو المذاق ،  
وهم يشربونه ، أو يصنعون منه نوعا من اللدنيق إلى جانب هذا توجد المانجو  
وإن لم تكن ثمرا في مثل حسن مذاق المانجا ، وأجست هي كذلك متعددة  
الأنواع ، وإنما يوجد منها صنفان أحدهما متوسط الحجم يشابه الفولس  
الكبيرة عندنا ، والاخرى في نصف هذا الحجم . ويوجد الأماناس وهو حلو  
المذاق جدا ، والباباي وهو مثل المعجول يأكله بالسكر والليمون ، ويكون

طبيب المذاق يوجد كذلك إبراهيم بن يوسف، والأول كبير الحجم، والثاني صغير. ولا داعي طبياً لأن أذكر النارجيل، أو جوز الهند، أو كثير إلى درجة أن المرء يشاهده، والآلاف دومة واحدة ثم توجد بعض أنواع لانعرفها منها ما لو أنه أبيض شاقق يمارب البصل شكلاً وليس هو يطلقون عليه تفاح، ولم نحاول أن نذوقه، وإن كان خلعان ذكر أنه حلوا المذاق.

وما أن نتمنا جولة في سوق الحضر توجهنا إلى سوق العبيد، أو ما كان سوق العبيد، وهو لا يبعد كثيراً عن سوق الحضر، والسوق عبارة عن ميدان، يبدو أنه كان واسماً، ومستديراً تظله شجرة هائلة الحجم وبطل على جوانبه بعض المنازل القديمة التي يبدو أن التجار كانوا يجتمعون فيها بالرفيق فقد بنيت في سور الساحة الآن كنيسة إفتطعت جزءاً كبيراً منها، وكانت زنجبار من أكبر أسواق الرفيق تستورده من القارة الأفريقية، وتصدره إلى البلاد العربية، وفارس بل وأخذت مستعملة في ذلك المراكب الشراعية المسماة دهوى التي تستعمل الرياح الموممية في ترسدا، ذهاباً وإياباً، واستمر الحال كذلك مع بعض التعديلات في قوانين تجارة الرق حتى ألغى تماماً سنة ١٨٦٣ تحت ضغط الأجناس الذين استعملوا الإنسانية و تمزيق أوصال ملكة عمان، وقسموها إلى عمان وزنجبار، لشمل الأخير الحرارة والساحل الشرقي الأفريقي من الصومال إلى موزمبيق، ثم قطعوا أوصال الأخيرة، بدافع الإنسانية طبياً، واستولوا على أكبر جزء من ممتلكاتها في كينيا، والصومال وأجبروا السلطان على أن يتنازل للألمان عن تنجانيقا، وبذلك لم يبق له سوى الجزيرة الصغيرة، وصق هذه لم يكن له فيما حول ولا قوة.

من سوق العبيد انتقلنا إلى داخل المدينة إلى قصر السلطان سعيد، وهو قصر أبيض كبير يطل على المحيط، وأمامه حديقة ظريفة، بها فسقتان كبيرتان



وقال لما خلفان إن الحكومة منعت النقاط للصور للقصر ، ولا أدري لماذا إذ أنه ليس منظمة استرانيجية إلا أن يكون ذلك من ضمن وسائل نحو أي أثر للعرب والإسلام في شرق إفريقيا . إلى جوار القصر مبانة قصر آخر وإن كان أقل من الأول حاما إلا أنه يفوقه حالا ، وهم يطلقون عليه قصر العجائب ، وكان مقر الفصل البريطاني ومن الدهى أن عظمة البناء إنما جاءت متعددة من إنجلترا حتى يتضاد إلى جوار مبناها قصر السلطان . إلى جوار القنصلية أيضاً توجد مكبات الجنود وهو مبنى قديم يحاط بسور صخري ومن الطريف أنه من المسموح للنقاط للصور .

صحبتنا دليلنا الرقيق إلى مدخل المدينة القديمة ، وهي التي كان يقطن بها العرب ، وما يزالون وطرازها عربي مطلق من الأبواب الضخمة المزيّنة بالنحاس إلى المصاطب أمام المازل ذات المشربيات والشرارح الضيقة نسبياً ، من هناك توجهنا إلى السوق العام ، وأعني سوق البضائع ، وهو ما يشابه إلى حد كبير سوق القرية لدينا وإن كانت كميات المعروضات والحركة أقل كثيراً . وقد لاحظت أن الجزء الأول من السوق نفق فيه للبيع سيدات هنديات ، وبعد حوالي عشرين أو ثلاثين حائواً تحول أصحاب الحيوانات إلى أصحاب الجزيرة سواء من العرب ، أو سائر الأقاليم . وحينما سألت دليلنا خلفان عن سبب ذلك قال إن الهنود قد هجروا الجزيرة ولم يبق منهم إلا القلائل ، وهي حقيقة لاحظناها فعلاً .

من سوق البضائع اتجهنا إلى الطريق الساحلي شرق الجزيرة ، كرة أخرى . وما يؤسف له أنه قد فاتني أن أصحب من مرافقنا أن يقرم بحولة حرة في المدينة فكل ما رأيته لا يوحى إلا بالفقر ولم أر سوى بعض المنازل القديمة . والمباني السكنية التي بنتها الحكومة ، ولا شيء سوى هذا . أعني لم أر منازل ، أو عمارات متوسطي الحال ، أو مبانيها ولم أر قصوراً ، أو أي دليل

هل رقابية بعض السكان ، ولا أدري هل أغفلها السائق كما نسيتهما ، أو أنها لا توجد أصالة .

أننا سیرنا توقف خلفان أمام أحد المباني القديمة ذات الثلاث طوابق ويطل على المحيط مقرران أن هذا المنزل بناء السلطان لغلاستون .

خرج بنا خلفان في منهط في الطريق فوجدنا أنفسنا في حديقة واسعة لأحد الفنادق أنشيت اسمه وهو الفندق الثاني في الجزيرة ، ويطل بدوره على المحيط . أوقف السيارة في أحد أركان الحديقة ، ورأينا مبنى قديما لا يزيد على سورين متقابلين لا يبعد أحدهما عن الآخر بأكثر من ثلاثة أمتار . صعدنا درجا ضيقا النرى مررا بين السورين ، وقد تدأت من أحدهما حلقات حديدية مثبتة بالجدار الضخم . كان طول السور لا يزيد على عشرين مترا وبه خمس من هذه الحلقات أى بين كل منها أربعة أمتار تقريبا . وقد قررنا لنا خلفان أن هذا المبنى كان يستعمل لاستقبال العبيد ، أو ترحيلهم ، وكانوا يقيدون بالسلاسل في هذه الحلقات إنتظارا لشحنهم في السفن .

تركنا المكان متجهين شرقا ، وتمهل السائق قليلا أمام مبنى أقرب إلى الدار الكبيرة منه إلى قصر ، وله حديقة واسعة ، وقرر إنه ملك لأحد الأثرياء من دار السلام ، وأنه اشتراه حديثا . استأنفنا سیرنا ثم خرج بنا مرة ثانية في اتجاه البحر ، وتوقف عند أول طريق يبدو أنه خاص إذ تحف به أشجار صنعة ، ويوجد جنديان في أوله ، استأذن منها السائق ، ثم انطلق في الطريق حتى وصلنا إلى ساحة تحوطها الأشجار ، وبوسطها فسقية ماتزال بها المياه وإن كانت مهملة . أمامها رأينا آثار قصر قديم قد احترق ، وتهدم ، وإن بقيت به بعض الأعمدة ، والجدران ، وماتزال آثار النيران واضحة بها ، وقرر لنا خلفان أن هذا كان قصر برغش وهو أحد سلاطين زعماء ، وقد قذفه الاسطول الانجليزى بالمدايع حينما حاول أن يستقل برأيه ويستبعد التحكم البريطاني .

تركها المدينة ، وسرنا بين الغابات والأشجار ، وأنا استعمل هنا تعبير الغابات ، لأن شجرة المارجيل تنأثر بالآلاف ، كما أنه لا يوجد جزء واحد من الأرض لا تنبت به الأشجار المختلفة ، منها ما هو ذو نفع كما سذكّر ، ومنها ما لا ينفع منه سوى الاختشاب القريبة حمراء ، رطبة ، وهي خصبة إلى حد لم أر مثله إلا في أوغندا ، وربما فاقت هذه تلك رأينا في الطريق أكواما متباعدة أمام الكثير منها أكوام ثمار جوز الهند ، وقد تركوها في الشمس لتجف ثم تشتريها منهم الحكومة .

سألت السائق أثناء الطريق عن القبائل التي توجد في الجزيرة ، والمدن فقال إنه لا توجد سوى مدينة زهبار ، ومدينة أخرى صغيرة اسمها كلوجي أما عن القبائل فأجاب بأنه يوجد السواحليون ، والنيامريزي ، ومجوجو ، وماكوندييه ، والواقع أن معلوماته هنا صحيحة إلا أن السواحليين ليسوا قبيلة بالمعنى المفهوم ، وإنما هم نتاج التزاوج بين العرب القدامى وأهل البلاد ، وربما اعتبرهم السائق قبيلة هي أساس أنهم أصبحوا جنسا قائما بذاته .

وحينما سألتهم عما إذا كان العمانيون العرب يخططون بالآمال ، ويتزوجون منهم . نفى ذلك ، بل وقرر أن عددهم يتضاءل بصفة مستمرة حتى أن منهم كثيرين قد هاجروا فعلا . سألتهم عن الأديان فذكر أن نصف الأهل من المسلمين ، وإن ربعهم من المسيحيين ، والربع الباقي وثنيين .

إنطلقنا بين الأشجار ، والنباتات ، وتوغلنا فيها ، وكان قد مسنا بعض العطش ، فطلب منا السائق الانتظار قليلا . وتصادف أثناء الطريق أن أقمينا رجلا في الحلقة الخامسة من حمرة يركب دراجة ، وقد حمل أمامه كمية من ثمار كبيرة يرغالية اللون ، كما حمل خلفه بعض ثمار المارجيل الخضراء .

استوقف السائق الرجل ومخاطب معه بالسواحيلية فأخرج الرجل سكيناً  
وتناول إحدى الثمار البرتقالية ، وهي تشبهه إلى حد كبير مانسيه عندنا  
للقارون ، وضرب فيها بالسكينين فإذا بداخلها مياه صافية . سألت خلفان  
عن ماعية الثمرة فنظر إلى دهشا ، وقال إنها النارجيل أى جوز الهند ، ويمكن  
قبل أن تجف ، أو تجفف ، وجاء دورى فى الدهشة فعلى كثرة ما رأيت  
لم الحظ ذلك .

شربنا ، زوجتى وأنا ، ماء قراحا بارد فيه بعض حلاوة حتى امتلأنا من  
ثمرة واحدة ، وشرب خلفان عصير ثمرة أخرى ، وألقى الرجل بالثمرتين على  
جانب الطريق ، لم يعد لها فائدة ، ولا يمكن تهفيفها بعد ذلك ، ودفعنا ثمنا  
للثمرتين ستة شللات . أو مايرازى ستين قرشاً عندنا بالسعر الرسمى ، أو  
عشرة قروش بسعر السوق السوداء . سرنا بعد أن ارتوبنا قليلا فى الطريق  
المرصوف ، ثم دخلنا بين المزارع فى طريق غير مرصوف حتى وصلنا إلى  
ساحة أوقف خلفان فيها السيارة ، وطلب منا النزول قائلا إن علينا أن  
نسير قليلا نرى ما أسماه بالكهف .

كانت الشمس قوية ، والحرارة والرطوبة ، شديدين امكننا والواقع لم  
نبتعد بأكثر من ثلاثين متراً حتى رأينا درجا من الصخر ينحدر إلى باطن  
الأرض ، وقد وصعت على جانبه مواسير حديدية يمكن استعمالها لتسهيل عملية  
المحيط والصعود . نزلنا ، السائق ، وأنا ، بينما امتنعت زوجتى بعد نزول  
حوالى عشرة درجات كانت الدرجات تزيد على الأربعين ولما لم تكن فتحة  
الكهف كبيرة فإن الظلام سرعان ما بدأ يكتنفنا حتى إذا وصلنا إلى القاع كننا  
بالسكادزى موطىء أقدامنا كما أنى رأيت الكهف يمتدأ تحت الأرض  
فى ظلام تام . سرت على أرض زقة ، واشتدت الرطوبة حتى أنى كنته

أنه صيب هرقا ، وبعد عشرين مترا لم أعد أرى شيئا . سألت السائق إلى أين  
يؤدى هذا ، أجاب بأن هنالك بضع عيين مياه صافية باردة ، ولا يعلم ما وراءها ،  
فلم أر داعيا للاستمرار حيث أنه لم تكن معي مصابيح كهربائية ، أو حق  
مجرد نيران عادية ، وعلى هذا عدنا أدراجنا دون أن نخوض أكثر من ذلك .

لم نكند لسير دقائق قليلة في الطريق غير المسفلت حتى توقف بنا خلعان  
مرة أخرى ، وأشار إلى شجرة باسقة اعلمها أطول من أية شجرة كهذه بالغة  
هندنا . قال لنا إن هذه شجرة الصوف ، وكانت قد قرأت عنها كثيرا إلا أنني  
لم أشاهدها ، وهى شجرة باسقة كما ذكرت ، ويتبدل من أغصانها الصوف ، كما  
يتبدل عندما القطن إلا أنه أغرز وأعم ، والاهالى يستعملونه في غزل ملابسهم  
الشتوية . وهذه المناسبة فأنى أن أذكر أن موسم الأمطار يبدأ في زنجبار  
في الشهر القادم أى فبراير ، والأمطار غزيرة جدا . أما ميانى ، الالهالى  
في الأرياف إن صح التعبير ، فليست هناك إلا مزروعات قليلة واعتماد الالهالى على  
ما تجود به الطبيعة ، فهى عبارة عن أكواخ مستطيلة محدرة السقف تبنى  
بأفرع الأشجار ، والطين ، وسعف نخيل جوز الهند .

تركنا المكان ، وعدنا في الطريق المرصوف بعد أن أخبرنا خلعان أن  
امتداد الطريق لا يؤدى إلا إلى المحيط . قال لنا إن الحكومة هى مالكة الأرض  
جميعها ، وأنها تمنح لمن يريد ثلاث ديكات ، ولم أعرف تماما مساحة الديكة ،  
ليجنى محصولها ، وأن من النادر أن يقوم أحد بزراعة جزء من أرضه ففيها  
عادة يوجد النارجيل ، والمسامح ، والموز وفى هذا ما يكفيه لمعيشته ، وربما  
زرع بعض الكاسافا في مساحة لا تزيد على قيراطين ، ومنها يأخذ حاجته  
من الدقيق ، ويكفى بعد هذا أن تكون لديه بضعة دجاجات لا تحتاج إلى  
رعاية أو عناية لتمنحه البيض واللحم . أما الإبقار والثيران فقد لاحظنا  
ندرتها ، بمعنى أوضح أن هذه حياة أشعاص لا يريدون العمل ، وقد أعطتهم  
الطبيعة الكثير فقموا منها بالقليل .

أثناء سيرنا وقف له ثقب عند بعض الحشائش الأرضية ، أو ما ظنناه  
حشائش ، وقد اتينا بعد ذلك إلى أن نبات له شكل خاص يتميز به عن  
الحشائش العادية . اقتطع قطعة أوراق فالنبات يكون صلبة مستديرة من  
الأوراق الرفيعة الطويلة ، وأعطاهم ، وحيثما شئنا وأوجدنا أنها ذكية  
الرائحة ، وقال إن الآلهة يستعملونها بدلاً من الشاي الأخضر وهذه المناسبة  
قد يكون من المعيد هنا أن نذكر أن نبات الكافور في جميع بلاد أفريقيا  
وهو يشابه الككتان ، وأن يكن لا زهر له ، والآلهة لا يتمتعون بسيقانه ،  
كما أنه لا نمار له ، وإنما يزرعونه من أجل جذوره ، يستخرجونها من  
الأرض ، ويحفظونها على أسلاك في الشمس ، والحواء ثم يعيدون تحفيضها  
بطرحها على الأرض ممرصة للشمس فيصير لونها شاحق البياض ، وبعد ذلك  
يصنعونها ويستعملونها كمشقوق بدلاً عن التدقيق في صنع الخبز ، والنبات  
يمكث في الأرض ثلاثة أشهر وأربعة .

اسمنا سبيلا آحرا ، ولا يزال في شرق الجزيرة ، وشاهدنا الاناناس  
وهو ليس شجرا ، وإنما هو نبات يردع في الأرض ، وأوراقه شبيهة بصف  
الزنج ، وإن كانت أقصر ، وهو نبات أرضي لا يتجاوز ارتفاعه نصف متر  
إلى ثلاثة أرباع المتر ، دائري الشكل ومن وسطه تنزع ثمرة واحدة من  
الاناناس . أرانا دليلنا الرقيق أيضاً شجرة عالية لم تكن تمتد فروعها إلى  
مسافة بعيدة ، وقال عنها إن الآلهة يسمونها شجرة البندق ، أشار خلعمان  
إلى أحد نصيبه الموجددين ، وكلمه ، فبرز أصبى رأسه موافقا وابتدأ يتساقط  
الشجرة في خفة وسرعة ، ثم ما لبث أن ألقي إلينا من ارتفاع يزيد على عشرة  
أمتار بثمره لونها أخضر فاتح شبيهة بالبندق ، وإن يكن حجمها أربعة  
أو خمسة أضعاف حجمه . أخرج السائق مطوانه وشق الثمرة نصفين ومن  
الداخل ظهرت نواه أعطانا إياها ، فاذا بها ذكية الرائحة جدا ، وقال إنها

نستعمل في حمام ، فتوضع في المياه الساخنة قبل الاستحمام لتعطى المغسل رائحة طيبة . هبط اصبي فأعطيتاه شلنا ، وأردنا أن نأخذ معنا ثمرة أخرى فتطوع صبي آخر ، وفي هذه المرة صعد إلى ارتفاع يزيد على خمسة عشرة مترا وألقى إلينا بالثمرة ، فاحتفظنا بها وأعطيناه شلنا بعد هبوطه .

قاد السائق السيارة فترة بعد ذلك ، ثم توقفنا عند أرض كثيرة الأشجار وسارنا إلى إحداها وشهدنا أحد النباتات المتسلقة شأن اللبلاب ، وإن تمكن أرواه أعرض كثيرا . كان النبات قد تسلق على إحدى الأشجار ومد خلفان يده فقطعت ثمارة ، فاذا بها حبيبات خضراء صغيرة جدا ، قد تعلقت متراصة على جانبي غصن رفيع وقد اسودت ثلاثة أو أربعة منها في الطرف الأعلى وعرفناها للتو ، فهي ثمار الفلفل الأسود ، وترك لنجف على الغصن ثم تجمع إلى جوارها رأينا أشجار السكاكول .

إلى مكان قريب تحركت سيارتنا ثم توقفنا ونزلنا وأشار خلفان إلى إحدى الأشجار التي تشابه إلى حد بعيد شجرة الجوافه ، وإن تمكن أوراقها أصغر حجما . لم يكن بالشجرة ثمارة أو أي شيء يوحى بفائدتها إلا أن الشاب أخرج مطواته واقطع جزءا صغيرا من لحائها وأعطانا إليه . وما أن شمنا حتى عرفنا من فورنا . هي القرعة . أرادنا الشاب أشياء أخرى نعرفها لكننا لم نعرف مصدرها . رب جلست قدرته ، ينوع من مصادر نعمته .

استمر سيرانا بعد هذا مدة لكي نصل إلى مايسمىها الشوائب ، وهي مزارع القرانل . النبات الذي أدخله إلى الجزيرة السيد سعيد سلطان عمان . وهي شجرة كبيرة نسيها كشجرة البرقال ، ويزرع شتلا في الأرض ثم ينقل ليندأ في الأثمار بعد سنتين أو ثلاث ، ويستمر مشمرا مدة عمالة ، ويزجاءر تصدره ٩٠ ر من احتياجات لعالم منه .

عدنا إلى الفندق بعد ذلك من طريق آخر مررنا فيه باستاد ، وصوق  
خضر ، وفاكهة آخر ، ثم وصلنا في الساعة الثانية ، وتركنا صاحبنا الصغير  
خلفنا بعد أن وعدنا بالخصور في الساعة السادسة والرابع من صباح اليوم  
التالي ليقبلا إلى المطار . تناولنا طعام الغداء وصعدنا إلى حجرةتنا لنبعد  
عن أجاة تنتظرنا .

قلت إنني رأيت المحيط على بعد لا يزيد على خمسين مترا لكنني عندما  
نظرت من النافذة لاحظت أن المياه تبعد بأكثر من ربع كيلو متر ، وأن  
الزوارق والقوارب ، وبعض السفن الشراعية ، قد استقرت على اليابسة ،  
كما أن أشجار الترمال كانت الأرض حولها جافة لا أثر لسياء فيها . كان من  
الواضح أن هذا من فعل المد والجزر لهذا مكثت إلى المغرب ، لأرى مياه  
المحيط تزحف رويداً رويداً لتسترد المساحات التي اجرفت عنها ، ولم  
تلبث أن اكتمل زحفها لتصل إلى ما كانت عليه عندما نظرت من النافذة  
البارحة ، وأصبحت الأشجار وسط المياه مرة أخرى كما طعت المراكب  
الشراعية ، والقوارب ، والزوارق .

كان من المؤسف أن علينا أن نترك الجزيرة في الصباح المبكر حسب  
موعد الطائرة لأننا لم نر منها سوى الجزء الشرقي حسب ، وبقيت الجهات  
الأخرى ، وفيها الغابات بحيواتها ، وزواحفها الخاصة ، والجبال بفزلاتها  
الصغيرة الحجم ، وبما أدرى من الأشياء الأخرى ، والواقع كما قلت إنني رغم  
تصوري أنني أعرف ما يجب أن يرى في الجزيرة قد خدعت ، وهي تستحق أن  
يقضى المرء فيها دون ملل أسبوعاً كاملاً .

كنت أخشى ، نظراً لمرور السائق ، ألا يبقى وعده ، لهذا إنتهزت الفرصة  
في العشاء وأحبرت الاستقبال أن يوقظنا في الساعة الخامسة صباحاً ، كما



أخطرت الموظف بالاتفاق الذي تم مع خلعان ، وبخشيقي ألا يحضر نظرا لنوعه المبكر ، لكن الموظف قال إنه مادام قد وعد فسوف يحضر . وأنه على استعداد لاستدعاء سيارة أخرى ، في حالة تخلفه . على هذا الأساس طلبت إعداد إفطارنا في الساعة الخامسة وخمسة وأربعين دقيقة ، ثم صعدت إلى حجرتنا .

١ / ٦

أيقظنا موظف الاستقبال في المرحه المحدد ، لكن الإفطار لم يعد لنا ، وحتى برؤا لم يكن قد حضر ، وعلى هذا فإننا غادرتا الفندق دون أن نأكل سوى بعض البسكويت ، الذي بحمله دائما معنا . في السادسة والربع تماما حضر خلعان ، وساعدنا في حمل الحقائب حيث أنه لم يكن قد حضر أحد من العمال ، ومن ثم إنطلقنا إلى المطار لصله في الساعة إلا ربعا ، وهناك ودعنا ، راجعين إلى اللقاء .

في المطار عاملونا تماما كما لو كنا في بلد آخر أعى كما لو كان لاعلاقة لبحار تنزانيا ، أو ربما الأصح أن أقول تنجانيقا . ختموا جوازى السفر ، وفتشوا الحقائب ، تماما كما لو كنا نرحل من بلد إلى بلد آخر ، وهم هنا في زنجبار لا يبدو أنهم يحسبون تنزانيين ، أو ربما الأصح أن أقول التنجانيقيين ، ولا أحسب أن الاتحاد هذا الوضع سوف يستمر طويلا . في الثامنة أفلمت الطائرة ، وفي الثامنة والنصف وصلت إلى مطار تنزانيا ، وهنا لم تفتش الحقائب ، ولم تختم جوازات السفر ١١١ هناك نوع من المعاملة وهنا آخر ١٤

دخلنا فندق كليما بحارو في التاسعة ، وقال لنا موظف الاستقبال إن الحجرة سوف تكون معدة بعد حوالى الساعة ، ولما كنا لم نتناول طعام الإفطار فقد ذهبنا إلى قاعة الطعام وتناولناه . ثم جئنا قليلا في هو الفندق ، أخطرونا

بعد فترة قصيرة أن الغرفة ممتلئة . كانت خطتي أن أدق يومى الخميس والجمعة ،  
 فى دار السلام ثم نرحل بإذن الله يوم السبت إلى موزمبيق ، وكنت قد أكدت  
 حجز الطائرة إلى الأخيرة لهذا كان لدى يومان استطيع فيهما أن أقوم برحلة .  
 ذهبت إلى مكتب السيارات فى الفندق وسألتهم عن تكلفة الذهاب إلى بوجامبايو  
 والعودة فى اليوم نفسه ، فطلبوا مبلغا لا يتناسب مع الرحلة ؛ وبلدة بوجامبايو  
 هذه كانت فى الزمن الغابر عاصمة البلاد ، كما كانت أكبر ميناء لسولا الرقيق على  
 الشاطئ الشرقى للقارة ، وهى تبعد حوالى ألفى كيلومتر من دار السلام .  
 وهى الآن لا تزيد على قرية صغيرة بضاعت أهميتها أسواق النازية ، أو الاقتصادية  
 إلى ما يشبه العدم ، لذلك لم يكن يهمنى كثيرا أن أراها .

بعد أن رتبنا حقائبنا رلنا ، وخرجنا فذهبت زوجتى لتشتري بعض  
 الهدايا ؛ خاصة الخشب المنحوت ، والعاج ، فهما صناعتان رائجتان فى البلاد ،  
 فى حين ذهبت أنا إلى شركة مصر للطيران لثباتا كيد على تعديل أحجر هناك .  
 قابلت السيد رحاى الذى كان قائما بالعمليات ، وأخبرنى أنه تم حجز الأماكن  
 فى الرحلات إلا من مبقو إلى هرارى فإنه لم يتلق ردا على التللكس الذى  
 أرسله ، واستهل على أن أأخذ . جنوسى حصر السيد مصطفى مدير  
 الفرع وأكرم من نفسي من القهوة المصرية ، والواقع أن الأخوة كانوا كلهم  
 يقدمون كل معاونة بمصدق وأخوة .

حضر أيضا أح مصرى آخر ، السيد اسمه ، وهو يعمل فى فرع لشركة  
 مصر بتصدير والاستيراد ، وبعد فترة تركت الأخوان أعمالهم ، وذهبت إلى  
 زوجتى حيث كنا قد تواعدنا على اللقاء فى مقهى شاي قريب ، ولما أنقذت بها  
 أكلمنا مشربا نانا . فى المساء لم نخرج من الحجرة سوى للعشاء .

ذهبت إلى شركة مصر للطيران حيث قابلت السيد / رجائى ، وأخبرنى أنه

سوف يتم قطعاً الحجز في اليوم نفسه ، وأنه سيتصل بي في الفندق في الساعة الثانية والنصف . شكرته كما شكرت السيدين مصطفى ، وشوقي ، وقضينا زوجتي وأنا ، باقي اليوم تسوق الهدايا لأولادنا ، رام يتصل بي السيد / رجائي فأجلت رؤيته إلى الغد ، وهو اليرم الذي سوف نرحل فيه من دار السلام إلى موزمبيق ومن الضروري أن أجد حلاً لحجز التذاكر في الخطوة التالية ، أي من مابوتو عاصمة موزمبيق إلى هراري عاصمة زيمبابوي .

١ / ٨

في الصباح جلنا جولة سريعة في دار السلام لاستكمال شراء بعض الهدايا التذكارية ، وحاولت أن أجد أهلاً ما ضوئية للتصور ، وبالرغم من أنني دخلت أكثر من محل إلا أنهم عيماً لم يكن لديهم ، وهو نقص غريب في بلد تعتمد بدرجة كبيرة على السياحة . أسمت أنني لم اشتري سوى فلما واحداً من أروشا فم أنصوري إمكان وجود هذا النقص . بعد أن صحبت زوجتي إلى الفندق ، ولم أعد آمن عليها حد حادثة السجادة ، رحمت نانية في شركة مصر للطيران وهناك لم أجد السيد وحدث ، وتقبلت مع السيد مصطفى مدير فرع وشوقي المسافر المالي ، وأخبرنا أنه : نحن نركب تذاكرنا مع أحد زملائه في مكتب وأنه لم يؤكّد الحجز من مابوتو إلى هراري . انضرت فرصة وحيدة في الشركة وسألت عن عدد الجالسة المصروفة عمت أنهم ما بين أربعين وخمسين شخصاً ، بما في ذلك أعضاء السفارة وهم عشرة تقريباً ، ومنهم اثنا عشر من شركة مصر للطيران ، وأثنان آخران في شركة مصر للتصوير والاستيراد ، والباقي أفراد لبعثة الإسلامية ، والخريبة ، ولا يوجد أي نشاط لأي شخص من القطاع الخاص كما لا يوجد أي سائح من مصريين .

عدت إلى الفندق ، وتناولنا طعام الغداء ، ودفعت الحساب ثم إنتظرنا إلى الساعة الخامسة والنصف ، واكثرينا سيارة أجرة أفلتنا إلى المطار .

بعد أن انتهينا من إجراءات السفر ، دخلنا القاعة الداخلية المطار انتظارا  
للإعلان عن موعد قيام طائرتنا التي كان محدد لها أصلا الساعة الثامنة . أثناء  
وجودنا رأيت رجلا في منتصف المذبح الرابع تقريبا يتجه إلى باب الخروج ،  
ولاحظت أنه يحمل في يده جواز سفر مصري فسألته إن كان مصريا قالت  
إلى متسما مرحبا ، وأجاب بالإيجاب ، وعرفني بنفسه قائلا إنه السيد  
إبراهيم عبد المعطي ، وأنه يعمل في سفارتنا بتنايبا ثم سألتني إن كنت المحامي  
الذي يقيم بالسياحة فأجبت بالإيجاب تحادثنا قليلا ، ولما علم أنني متوجه  
إلى مابوتو قال إن السيد محي الدين سيوفى ، سفيرا في موزمبيق ، موجود  
بالمطار ، وأنه مسافر على الطائرة نفسها ، وأنه ينتظر في قاعة كبار الزوار ،  
ودعانا إلى أن نراة لتعرف عليه ، فشكرته على حسن صنيعة ، ودعاهما

في قاعة كبار الزوار فدخلنا إلى سيارة السيد ، وحسبنا انقطع الوقت بالحديث  
معه فوجدته رجلا دمثا ، واسع الاطلاع ، كثير لترحال طال الحديث حتى  
أنى لم أشعر بالوقت ، وأن الطائرة أحترت عن موعدها قرابة ساعة . قبل  
أن نقوم للصعود إلى الطائرة تمضى السيد إبراهيم مشكورا ، وسألتنا عن موعد  
عودتنا إلى دار السلام ، وحيثما أخبرته وعدنا أن يكون في انتظارنا وغدا عن  
أعتراضى ، وطالبى ألا يحشم اسمه مشقة الحضور ؛ ولما اعتقد أن كرميا يمكن  
أن يفرق مثل هذا فقد جعلنا نشعر ، ونحن لم نعرف عليه إلا ساعة أو بعضها ؛  
كأننا نحن صبية منذ سنوات . وصل معنا إلى درج الطائرة وودعنا .

البرتغاليون الذين كانوا يمتلكون آلاف الآلات ، ويسحرون الشعب للعمل بلا أجر ، أو بأجر ائتمى ، كما أنهم كانت لهم اليد الطولى في تجارة الرقيق .

في سنة ١٩٦٢ تكبرت جبهة تحرير موزمبيق ، فريلمو ، برئاسة الدكتور ادوارد موندلين ، وقامت بتدريب الأهالي على أعمال القتال في الجزائر ، ثم بدأت أعمال القوات المسلحة ضد القوات البرتغالية . شنت أول هجماتها العسكرية في سبتمبر سنة ١٩٦٤ ؛ وكانت هذه مفاجأة كاملة للمستعمرين الذين كانوا قد وطئوا أديمهم على البقاء في البلاد ، واعتبارها جزءا من البرتغال ، خاصة وأن احتلالهم لها دام حوالى الخمسة عام .

استمرت أعمال المقاومة حتى الثالث من فبراير سنة ١٩٦٩ حينما قتل الدكتور موندلين . ويدعى البرتغاليون أن لا علاقة لهم بمقتله ؛ لكن أعمال المقاومة استمرت حتى أجبرت البرتغال على التخلي عن استعمارها ومنح البلاد استقلالها وذلك في سنة ١٩٧٥ . بعد الاستقلال خير البرتغاليون بين البقاء في البلاد ، والجنس بالجنسية الموزمبيقية ، أو الرحيل عنها ، وقد فضل الكثيرون البقاء . هناك أيضا جاذبية ضخمة من الأسيريين يريد عددها على حشرين ألفا ، وفي أيديهم كما هي العادة كل تجارة البلاد .

٨ / ١ تابع

أول السيد السفر إلا أن يتفضل فيشرقنا بصحبته ، وجلسنا في مقاعد متجاورة نستكمل ما بدأناه من حديث في قاعة كبار الروار ، واكتشفنا أن لنا هوايات واحدة ، وشغف مشترك بالقراءة والسياحة . هبطت الطائرة في مطار بيبيرا حيث توقفنا لمدة ربع ساعة تقريبا ثم استأنفنا الطيران لنصل إلى مطار ماوتو قبل الساعة الحادية عشرة مساء بغايل . حينما نزلنا سلم الطائرة انصح أن أعضاء السفارة ينتظرون وصول السيد السفر فقدمنا لهم وهم جميعا

## موزمبيق

تقع على المحيط الهندي في أقصى القارة تقريبا بين خطي عرض ١٠، ٢٥ جنوب خط الاستواء . يحدها غربا المحيط الهندي ، وشرقا زيمبابوي ، وجنوبا سوازيلاند ، وجمهورية جنوب أفريقيا ؛ وشمالا تنزانيا ؛ وملاوي ، وزامبيا مساحتها ٢٩٧٧٩١ ميلا مربعا ، ٧٨٣٠٠٠ كم وتعدادها أكثر من سبعة ملايين شخص ، وعاصمتها مابوتو ، التي كان اسمها قبل الاستقلال لورانسو ماركيز . وهي ميناء هام تستعمله جمهورية جنوب أفريقيا لقاء أربعين مليونا من الجنهات سنويا . يصل تعدادها إلى مائتي ألف طبقا لإحصاء سنة ١٩٦٦ . تنهب في الأهمية بيرا ، ويصل تعدادها إلى مائة ألف نسمة وهي الميناء الهام الثاني للبلاد ، وإن كان يقع الآن في المنطقة التي يسيطر عليها الثوار شيلا .

واللغة الرسمية للبلاد هي البرتغالية ، لكن السواحلية أيضا يتكلمها الكثير من الأهالي ، وكذلك اللغة البانتوية إلى حد ما خاصة في موزمبيق . وبما أن ذلك ، حد أكثر من خمسة وعشرين لغة من لغات قبيلة لي يرجع أصلها إلى البانتو . والجو ممتد إلا أنه عمومًا ينقسم إلى فصلين ، فصل حار مطير يرب من أكتوبر إلى مارس ، وآخر جاف وقليل حار من أبريل إلى سبتمبر . والأمطار في الواقع غير منتظمة ، خاصة في المنطقة الجنوبية إذ قد يتوالى موسمان بلا أمطار ، وأحيانا ثلاثة .

وتاريخها بسيط إذ كان العرب يحتلون بعض المواقع الساحلية حتى مطلع القرن السادس عشر حينما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، ومنذ ذلك التاريخ حتى تمام استقلال البلاد في سنة ١٩٧٥ ظلت تحت الاحتلال البرتغالي دون انقطاع رغم قيام الأهالي ، ومعظمهم من البانتو ، بأكثر من محاولة لطردهم . وربما يكون من أهم ما يذكرونه البرازيلوس وهم الإقطاعيون

أخوان كرام ، وصحبونا الى المطار حيث قام السيد / عاشور ، أحد اخواننا في  
السفارة متفضلاً بانها اجراءات الجرك ، وجلسنا نحن في انتظار وصول الحقائق .  
أثناء الانتظار أراد السيد / السفير أن يضيف الى كرمه مكرمة اخرى فطلب  
مننا أن نصحبه إلى منزله لنكون في ضيافته ، فرفضت شاكرًا مقررًا أننا في  
سياحة ، وقد يكون من الأفضل أن نتصرف على حريتنا دون انقال مناسا  
هل كرمه .

تناقش اخواننا أعضاء السفارة ، في الفندق الذي يستحسن أن نذهب اليه  
وأخذوا في المفاضلة بين فندق كاردوزا ، وفندق بولانا واستقر الرأي على  
الاول ، فان لم توجد أماكن في الثاني ، مع هذا فإن السيد / السفير بلغ من  
كرمه أن استخلص منى وعدا أننا ان لم نجد في أحد الفنادق حجرة ، أو لم  
ترق الى الإقامة في أيهما ، أن نذهب الى منزله ، وأرسل معنا السيد / عزت  
سعد يصحبه السيد / عاشور في حين تبعنا السيد / خيرى في سيارته ، وطلب  
من الجمع أن يسهروا على احتياجتنا حتى نطمئنوا الى استقرارنا . أثناء  
انتظارنا الحقائق ، تمضت السهرة الى رؤايل مستشار السفارة أردعنا  
الى تناول طعام لذيذ في بيتها في اليوم التالي .

عند فراقنا ذهب معنا السيد عاشور الى كادى استعدى من له  
أولادهم وجود حجلات حاله ، إلا أنه لم يجد أحداً فتمنع به . كانت  
في النهاية ، واعطى حجرة لا بأس بها ثم تركها حرة من سيارته ، إذ  
كانت الساعة قد بلغت الواحدة صباحاً .

٩ / ١

كان مطار مابوتو صغيراً شابه شأن جميع المطارات الأخرى ، لكن ما رأيناه  
منه كان حديثاً ، ونظيفاً كما أننا لاحظنا من المطار الى الفندق ، ومن اوضة-

حجرتنا هذا الصباح ، أنه يرجح أن تكون المدينة جميلة. والواقع أننا بعد أن تناولنا طعام الإفطار ، وانتظرنا في بهو الفندق أنضع لنا أن لفندق لطيف جداً ، وأن به حمام سباحة ، وأنه يقع على ربوة عالية تطل على الميناء . هرفنا بما بعد أن المدينة تقع في شبه قوس دائري ، يحيط بها المحيط الهندي من جميع الجوانب إلا واحداً ، وذلك تكون كشبه جزيرة ، وأهلها يتكلمون للبرتغالية فقد استمر الاجتلال البرتغالي لها قرابة خمسمائة عام كما ذكرت وقليل منهم من يتكلم الانكليزية ، ويكاد أن ينعدم من يتكلم أية لغة أخرى .

في حدود الساعة الحادية عشرة صباحاً ، حضر السيد عزت سعيد ومحبينا في سيارته في جولة حرة في المدينة . أول ما يلاحظ أنه أن شوارعها جميعاً عريضة بحيث لا يقل عرض أصيغها على عشرين متراً ، ومنها ما يصل إلى ستين القيادة فيها على الجانب الأيسر وشأها شأن تدايبا وكينيا ، ولم أر تقريباً أى عساكر مرور ، فخرج يحرمون قواعداً ثباتاً ، ولا نكاد أن نسمع صوت النفير .

حادثنا السيد عزت عن أحوال البلاد ، فعلمنا أن الشيوعية متغلظة فيها وأن الجزء الشمالي منها وقع في قبضة الثوار الذين لا يحبون النظام ، وأنه بالنبعية ، ونظراً لأن هذا الجزء هو الذي فيه البترول ومزارع الأذرة ، وهي غذاء الشعب الرئيسي ، فإن هنالك نقصاً في الماء كولات . وهرفنا أن حكومة جنوب افريقيا تدفع للحكومة اربمين مليوناً من الدولارات لاستعمال الميناء ، وهو وضع غريب لما هو معروف عن جمهورية جنوب افريقيا من شدة التعصب ضد السود وهو ما . ليس هذا فحسب بل لما هي التي تعد المدينة بالكهرباء ، ومعنى هذا ببساطة أن حياتها كاملة في يدها .



لكن بعيداً عن السياسة فإن المدينة جميلة بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ومعظم مبانيها فيلات أنيقة جداً ، كما أن صهارتها طريفة وحديثة . لكننى لاحظت أن حركة البناء متوقفة تماماً حيث أنه مثلاً يوجد مبنى كبير يطل مباشرة على المحيط ، علمت فيما بعد أن البرتغاليين كانوا قد بدأوا في إنشائه ليكون فندقاً من الدرجة الأولى ، مع أنه لا يحتاج إلا إلى التشطيبات النهائية فإن العمل فيه متوقف . لاحظت الشيء نفسه بالنسبة لبعض مباني أخرى ، في قلب المدينة . وعموماً لم أر أى نوع من أنواع التعمير .

وبالرغم من أننى شاهدت الكثير من المحلات التجارية ، وإن تمكن مغالقة نظراً لطولة الأحد فإن السيد عزت فرر أر البضائع نادرة ، وإن وجدت فهي من نوع ردىء جداً لا تصلح للاستعمال المحترم ، وأن أعضاء السفارة يضطرون إلى جلب احتياجاتهم من سوازيلاند ، وهي تقع في دائرة اختصاصهم ، كما تقع أيضاً ليسوتو . يوجد أيضاً بعض دور الخيالة لكن لا توجد مسارح والليقزيون لا يقدم برامج . وحتى برامج سوازيلاند ، وجنوب أفريقيا فإنه يلزم لها هوائى قوى جداً وغالباً لا يستطيعون التقاط إرسالها .

والعملة المتعامل بها هي المثقال ، والدولار بالسعر الرسمي يساوى سبعة وثلاثين مثقالاً ونصف تقريباً ، وهو يسعر السوق السوداء يساوى سبعة عشرة مثقالاً لا ليس هنالك خطأ مطبعى أو خطأ في الكتابة ، أكرر هنا ثانية سبعة عشرة مثقالاً أى أكثر من عشرين ضعف السعر الرسمي ، ترى هل تقدر معنى هذا ؟ — أقرب الموضوع إلى الذهن . إننى كنت أتناول طعام العشاء في الفندق ، وهو يتكون من شوربة ، وسمك ، والأرز ، وطبق من اللحم ، وسلطة

وخبزها ، ونوع من الخلوى ، ثم القهوة أو الشاي وكانت كميات الطعام كافية تماماً لأن عملاً بطر أي منهم ، كما كانت الصناعة متوسطة بل تميل إلى الجودة . كم سعر الوجبة ؟ مائتان وخمسون مثقالاً ، أى ما يقابل بالسعر الرسمى ستة دولارات ونصف تقريبا ، وهو سعر رخيص بأى معيار فى العالم ، لكنه بسعر السوق السوداء لا يزيد على ثلث دولار أى ثلاثين أو خمسة وثلاثين قرشا أى قس على هذا كل شئ . الحجرة سعرها تسعمائة مثقال أى دولار وثلاث ، وهى لشخصين بالحمام ، بدله الأظمال بأقل من دولار ، وفستان للسيدات بستة دولارات .

على أى الأحوال فإننا بعد جولاتنا فى المدينة ذهبنا إلى منزل الأنسة ليل مستشار السفارة وهو منزل لطيف وأنيق ، وهناك أقابلنا مع السيد السفير والسيد خيري وعاشور ، وبعض الزملاء أعضاء الجالية البرتغالية ، وناولنا طعاماً شهيماً حتى أننا تجاوزنا بعد ذلك عن طعام العشاء واكتفينا فى الفندق بناول بعض سندريشات الجبن . تمتعنا بالصحبة ، وأخذ السيد عزت جوازى السفر والتذاكر ليؤكد منفصلاً على الحجز فى الطائرة إلى هرارى عاصمة زيمبابوى ، وليستخرج لنا تأشيرة دخول البلاد حيث أن زيمبابوى سفارة فى موزمبيق . بعد أن انتهينا من تناول الغذاء استأذنا من الجميع وشكرنا صاحبة الدار ، وصحبنا السيدان خيري وعاشور فى سيارة الأول فى جولة ثانية فى المدينة ، ثم وصلنا إلى الفندق الساعة السادسة والنصف مساءً ، وبالتالى لم نستطع أن نفعل شيئاً آخر فمكثنا فى الفندق .

١/١٠

مر علينا السيد عزت فى الساعة الثامنة والنصف صباحاً ، وذهبنا إلى مكتب السياحة الحكومى . فى المكتب حارلت أن أتفاهم عن الرحلات التى

نستطيع القيام به ، عرضوا على بعض رحلات لا قيمة لها ، ونما يوسف أم ،  
جميعا عبارة عن شواطئ أو رحلات إلى جزر مريية ، وهذه لا تسمى شيئا  
بالتسوية إلى حيث لا يوجد في هذه الجزر سوى الشواطئ حسب ، وهناك  
لا يقدم طعاما أى أن على المرء أن يأتي بطعامه معه .

حينما سألتهم عن اسم أية شركة سياحية قالوا إنه لا يوجد في البلد شركة  
واحدة . وحينما طلبت اسم شركة أستطيع أن أستأجر منها سيارة نقلنا  
في رحلاتنا ، إذا كنا سنقوم بأية رحلة ، أجابوا أيضا بعدم وجود شركات  
هكذا الشكل ، بل إنهم قالوا إنه لا يوجد أكثر من عشرة سيارات أجرة  
في المدينة كلها ، وإمهما ملك لأفراد ، حتى إنه لا يمكن الاعتماد عليها . سألتهم  
عن خريطة سياحية ، أو نشرات سياحية لموزمبيق ففر الرجل رأسه أسما ،  
والواقع أن المسكين كان خجولا ، وهو يقرر عدم وجود أى شيء عنده ،  
واعتذر إذ لم يستطع تقديم أية معونة ، أو مساعدة . ومن الطريق أنى رأيت  
في المكتبة بعض النشرات السياحية على إحدى الموائد كما هو متبع في مكاتب  
السياحة ، وحينما فرأتها وجدتها جميعا عن باريس ، ولندن وبعض المدن  
والبلاد الخارجية ، ولا شيء عن موزمبيق !

واضح أنى لم أحظ بشيء وبدأ لي أننا سنكون سجناء في مابوتو مدة  
بقائنا في موزمبيق . والواقع أن الأمر كاد أن يكون كذلك لولا أن قبض الله لنا  
السيد السفير وإخواننا أعضاء السفارة الذين لم يألوا جهدا في معاونتنا ،  
والترفيه عنا حتى أن السيد السفير قال قد أزمع أن يذهب في رحلة عمل إلى  
سوازيلاند وهي تقع ضمن دائرة اختصاص السفارة ، في يوم الثلاثاء . فأجلاها  
إلى يوم الأربعاء ، ثم عرض علينا أن نصحبه مقررا أنه يوجد مكان لنا في  
السيارة ، وأنه يصره صحبنا ، وقبلنا شاكرين لولا أن الظروف جاءت مغيرة  
لما اشتبهنا .

صحبتنا السيد عزت إلى السفارة لغرى ما حدث بالنسبة لجوازى سفرنا ،  
وتذكر الطائرة فليل لنا إن الأماكن فى الطائرة قد تم حجزها ليوم الخميس ،  
كما طلبنا ، وتأكد الحجز ، أما عن جوازى السفر فلم يكن قد تم بعد إرسالها  
إلى سفارة زيمبابوى لأخذ تأشيرة الدخول إلى البلاد ، وعلى هذا كان علينا  
الانتظار إلى اليوم التالى . أردنا أن نستأذن من السيد السهر لىكى يوزى  
المدينة قليلا لانه يضع سيارته الخاصة تحت إمرتنا ، والى علينا في ذلك  
ذاكرا أن لديه سيارة السفارة ، لكننا رفضنا شاكرين ، وذكرت لسيادته  
أننا رأينا المدينة ، وأن الوسيلة الوحيدة للتعرف عليها هو السير على الأقدام .  
وأعرض لسيادته محتجا بحرارة الجو ، وكان الجو مملا حارا شديد الرطوبة ،  
إلا أنى ذكرت أن الطرقات تظلمها الأشجار . وهنا تذكر السيد / عزت أن  
اليوم هو الاثنين والمحلات تغلق صباحا إلى الثالثة حيث أنها تمنح طوال  
يوم السبت ، وهذه عادة غريبة لكاد تقتصر على موزمبيق . أخيرا تنازل  
السيد السفير عن رأيه ، واستأذنا فليل أن ننصرف . وقال السيد عزت إننا  
مدعو ان لديه لتناول طعام العشاء ، وأنه سيمر علينا فى الفندق فى الساعة  
السابعة والنصف ، وقبلنا شاكرين .

تركنا السفارة حوالى الساعة العاشرة والنصف صباحا ، وهولنا فى الطرقات  
فوجدناها كلها جيدة الرصف ، حتى الجانبية ، أو الفرعية منها ، كما أن معظمها  
الساحق واسع جدا ، تظلم الأشجار . أما المحلات التجارية فهى كثيرة ، خاصة  
فى وسط المدينة ، والمعرضات فيها كثيرة ، وحسنة العرض ، توحى بالذوق  
السلیم ، وهى من هذه الناحية تفوق كثيرا دار السلام ، أو الخرطوم . لاحظنا  
أيضا أن أسعار المعروضات وخبصة إلى حد لا يسدقه العقل ، وقد سبق أن  
ذكرت بعضها ، وإن كما لم نجد محلات لبيع الأحذية ، والجلود عامة إلا القليل  
النادر وكانت جميع المتاجر مغاومة كما ذكر لنا السيد / عزت وعلى

هذا أتممتنا جولتنا ، وعدنا إلى الفندق سائرين فوصلنا في حدود الساعة الواحدة .

تناولنا طعام الغداء ، وكان لا بأس به ثم صعدنا إلى حجرتنا لنقيل قليلًا واستريح . وما أن حلت الساعة مساءً حتى كنا قد ارتدينا ملابسنا ، وركبنا لنحتس القهورة في هو الفندق انتظاراً لحضور السيد عزت وفي الساعة الثامنة إلا ربعاً حضر وتفضل بأن يصحبنا بسيارته إلى منزله ، وهو منزل أنيق يتكوّن من طابقين ، وله حديقة خلفه ممتدة ، وبها شجرة ليمون ، وشجرة مانجو ، وثلاثة للجراية ، والأخيرة هي الأولى من نوعها التي رأيته في كل رحلتي خارج القطر في شرق ووسط أفريقيا عموماً ، وكانت هناك أيضاً شجرة عنب .

بعد قليل من وصولنا حضرت الأنسة ليلى مستشارة السعادة ، ثم حضر السيد السفير ، وتناولنا طعاماً شهيماً جداً سواء في صناعته ، أو أنواعه وربما أن الجو كان عند تحسن ، وخفت درجة الحرارة ولو طويلاً فقد تناولنا طعاماً في الحديقة ، وبعد ذلك اتفقدنا إلى حوض المزل لتناول القهوة ، ووجدنا أنه أنيق أيضاً من الداخل أناقته من الخارج . أمضينا بعض الوقت في الحديث ، وعلمت من الأنسة ليلى أن سعادة زعيمنا لم ترد حتى ذلك التاريخ ، وبالتالي لم تأخذ تأشيرة الدخول ، وبسبب ذلك حيث أننا كنا في يوم الاثنين مساءً ، وموعد سفرنا هو الخميس ظهراً ، وإن كنا سنذهب مع السيد / السفير ، إلى سوازيلاند يوم الأربعاء ، فمن هذا أنه لم يبق لنا من الوقت إلا ما كره الثلاثة . عن أبي نادنا لم أرد أظهار ما أشعر به من قلق .

تفصّل السيد السفير بأن دعانا لتناول طعام العشاء في منزله في الغد ، وقبلنا  
شاكرين كما ذكر لنا السيد / عزت أن السيد خيرى سوف يمر علينا ما كره  
( ٨ - سفاري )

صباحاً ليصبحنا في جولة في المدينة حيث أن زوجتي قد أبدت رغبتها في شراء بعض الأشياء .

بعد ذلك استأذننا من مضيفتنا اذ كانت الساعة قد بلغت الواحدة صباحاً ، وعرض علينا السيد / السفير أن يصحبنا الى الفندق في سيارته لكن مضيفتنا عدم على أن يقوم بتوصيلنا بنفسه ، وتفضل وفعل .

١ / ١١

وصل السيد / خيرى الى الفندق بعد العاشرة بقليل ، وتفضل وصحبنا إلى وسط المدينة حيث قامت زوجتي بشراء بعض الأشياء البسيطة إذ أنها وجدت أن رخص الاسعار كان على حساب الخدمات ولمعمل أحسن ما اشترته هو طقم من الممارش المصنوع يدوياً ، وكذلك مثاليين خشبيين جيدى الصنعة جداً .

في الطريق سألت السيد خيرى عما تم في موضوع تأشيرتي زيمبابوى فقال إنه لا يدري شيئاً ، إذ أن الأنسة ليلي هي التي تقوم بهما شخصياً ، من البدهى أن يزداد قلق حيث أننا اعتزمنا الرحيل مع السيد / السفير كراالى سواتزيلاند ، وسنقضى معه كل اليوم ولن نعود إلا مساء ثم سنسافر إلى زيمبابوى في يوم الخميس ، إذ هو اليوم الذى يلى ذلك مباشرة .

تناولنا طعام الغذاء في الفندق ، ومكثت قلما في انتظار مكلمة هانفية من الأنسة ليلي مستشارة السفارة ولم تأت المكلمة إلا في الساعة السادسة مساء . فذكرت لنا أن سفارة زيمبابوى رفضت إعطائنا التأشيرة مقرررة أن لديها تعليمات بعدم منح تأشيرات دخول البصريين ، وحيثما سألتهم عما إذا كان في الإمكان أن يأخذ التأشيرة عند وصولنا في المطار ذكروا لها أن هذا مستحيل . قالوا إن السيد السفير تفصل بالتدخل في الأمر شخصياً ، وأنه حاطب سفير

شمال  
↑

البحر الهندي

بن

٦٨٥٥

بن

بن

حور

افريقيا

١



زيمبابوى إلا أن الأخير اعتذر بأن تعليماته صريحة . أضادت الآلة ليلى  
أها تفضلت بإرسال تلكس إلى سفارتنا فى زيمبابوى ليبحثوا الأمر مع  
المختص فى الوزارة ، وأهـا فى انتظار الرد ، ولكنه ان يأتى بداهة قبل  
الغد الأربعاء .

أصبحنا فى مومب لا نحمد عليه ، فمعن مقيمون فى مابوتو لا نستطيع  
أحركة ، ومعنا تذكر الطائر إلى هرارى التى لا نستطيع دخولها ، وسرع  
عودنا إلى دار السلام أمامه أننا عشر يوما . جلست فى هدوء أفكر فيما  
هو أمامى من حلول

١ - فأن أستطيع أن ألقى باقى الرحلة وأعود إلى دار السلام لاستلام  
حقائبنا ومنها إلى الفهره . واستبعدت هذا الخلل فأن كل هذه المساءة  
لأعوذ

٢ - وأستطيع أن أمضى عن كل شىء وأذهب إلى هرارى لأجرب  
حظى فى المأشرة فى المطار وهو حل كنت أنا شخصيا أفهم به لولا وجود  
زوجتى ، فاضطرت أن أستبهم .

٣ - لما كان عرس الرئيس من الذهاب إلى زيمبابوى هو رؤية شلالات  
فكتوريا ، وأثار زيمبابوى القديمة وان نصف غرضى يتحقق إذا ما غيرت  
خط سيرى ليصبح من مابوتو إلى لوساكا ، ومنها إلى دار السلام ذلك أن  
الشلالات يقع جن . منها فى زيمبابوى ولآخر فى زامبيا .

عن أى الأحوال فإن رحلة العز إلى سوتريلا ند قد أصبحت فى حكم  
الاحلام إذ يلزم أن أكون فى مابوتو أربع الأحداث فى المساء من علينا  
السيد عرت وصحة . إلى منزل السيد محى الدين السمر ، وهناك تناولنا عشاء  
شهيما وشرحت للسيد السمر أثناء ذلك موقفى معتدرا عن مصاحبته فى اليوم



التالى أحف سيادته لذلك ، وبما أنه سيقوم مبكرا فاننا اعتذرنا بعد أن تناولنا القهوة ، واسمعا بعضا من الموسيقى التقليدية الجميلة وفى الساعة الحادية عشرة مساء صحبنا السيد عزت إلى الفندق .

١ / ١٢

عدا يوم فلقى بكل معنى الكلمة ، والسكى بزاد الامر سوءا ، بدأ اليوم بالأمع الماء ، فى الفندق ، واضطررنا إلى غسل وجوهنا من ( جردل ) . فى الساعة امانرة حضر إلينا السيد خيرى وصحبنا إلى سفارة ، وهناك وجدنا السيدة زين المستشاه فى انتظارنا أعادت ما ذكرته لى هاتفيا فى مساء اليوم السابق ، وأخبرته بأننا نغير خط سيرنا ، والتحول من زيمبابوى إلى زامبيا . وافقت عن الرأى ، وأرسلت معنا السيد خيرى ، والسيدة كلارا السكرتيرة ، وذلك لمعرفة اللعة البرتغالية وذهبنا إلى شركة طيران أولا . هناك كان الموظف متفاهما معنا إلى حد كبير فقرر أنه يمكن أن يلقى وحلة زيمبابوى وأن يحرر منا نذاكر إلى الطائرة المتوجهة إلى زامبيا فى يوم السبت التالى مباشرة . وعند مراجعة موعد العودة من لوساكا إلى دار السلام اتضح أننا لابد أن نأخذ طائرة الاربعاء وبذلك فاننا نفقد يومين يلزم أن نقضيها فى ماوتو ، وثلاثة أيام من الاربعاء إلى السبت مساء فى دار السلام . بالإضافة إلى هذا كان على أن أدفع ستمائة دولار ثمنا للتذاكر على أن أستردهم من التذاكر الملقاه من مصر للطيران حين عودتى إلى مصر . كان هذا كثير ، ولكن ما باليد حيلة ، واضطرت أطلب منه أن ينتظر إلى باكر عسى الله أن يمد لنا مخرجا .

توجهنا بعد ذلك إلى سفارة زامبيا لأخذ تأشيرة الدخول ، وأخذنا معنا خطاب توصية من السفارة . ذكر الموظف المختص ، وكانت الساعة الواحدة

أنا نستطيع أن نأخذ جوازي السفر ، وعلينا التأشيرتان المطلوبتان فيما بين الساعة الرابعة والخامسة مساء اليوم نفسه . تفضل السيد خيرى ، بعد هذا ، وصحبنا إلى الفندق ووعدها بأن يعود فى مساء اليوم ، ومعه جوازي السفر .

ثم أتنا طعام الغداء ، وصعدنا إلى غرفتنا لنستريح قليلا ووجدنا أن المياه ما تزال مقطوعة . فى الساعة الرابعة والرابع ، تركت زوجتى فى الحجرة ، ونزلت إلى البهو انتظر السيد خيرى ، ومعه جوازي السفر لكنه لم يحضر ، كما لم يعتذر هاتفيا حتى ليخبرنى عما تم فى موضوع التأشيرتين ، وليطمئن على حصولنا عليهما .

١ / ١٣

انتظرت فى الفندق ، وفى الساعة العاشرة خاطبتنا الآنسة ليلي مقرر أن معها جوازي السفر وقد حصلنا على تأشيرة زامبيا ، لكن لم يأت رد بعد من سفارتنا فى زيمبابوى ، فرجوتها أن ترسل لنا سيارة السعارة لتذهب إلى شركة الطيران ، وتأخذ التذاكر إلى زامبيا فوعدت بذلك .

بعد حوالى ربع ساعة حضرت السيدة كلارا فى سيارة السفارة ، وأخبرتني أن سفارتنا فى زيمبابوى قد ردت علينا وقالت إنه يمكن لنا أخذ تأشيرة الدخول إن أردنا فى المطار ، وأن موظفى جوازات المطار قد أخطروا بذلك . لا أعتقد أننى فى حاجة إلى شرح مدى الراحة التى إلتابتنى بعد سماع هذا الخبر . ولما كانت الطائرة إلى زيمبابوى تقوم اليوم فى الساعة الثالثة وأربعين دقيقة فاننى استأذنت من السيدة كلارا أن أخطر زوجتى لتعد الحقايب مورا على أن أخطر الفندق باعتزامنا السفر ، وأن أدفع الحساب ، ونتم كل ذلك فيما لا يزيد على ثلث ساعة ، بل أن زوجتى محببتنا ، ووضعنا الحقائب فى السيارة .

وصلنا إلى شركة الطيران لنؤكد حجز اليوم إلى زيمبابوي ، وإلغا . حجزنا  
على طائرة زامبيا . ووافق الموظف المختص على ذلك .

أصبح الآن أمامنا متسع من الوقت فرافقنا السيدة كلارا إلى السفارة  
لنستأذن من السيد السفير واخواننا أعضاء السفارة ، واشكركم على كل  
ملاقيتنا من حقارة ، وكرم ومعرفة استقبلنا السيد السفير باشا مرحبا  
كمعادته ، وأصاف مكرمة جديدة بأن رفض أن يأخذ بطارية الفيديو التي  
كنت استعرتها منه إذ أن بطاريتي كنت قد تركتها مع حقائي في دار السلام ،  
وطالب مني الاحتفاظ بالبطارية حين وصولي إلى مصر إن شاء الله ، ووجدت  
في هذا الاحتفاظ به ورفضت إلا أنه أصر ، وأخيرا وصلنا إلى حل وسط وهو أن  
أحتفظ بالبطارية طوال مدة وجودي في زيمبابوي على أن أسلمها للسفارة  
هناك ، وقبلت شاكرًا .

في الساعة الثانية عشرة ، استأذنا من السيد السفير واخواننا ، وتركناهم  
شاكرين ، ودأن وعدونا بزيارتنا في مصر إن شاء الله ، إلا أن السيد / عزت  
صحبنا في سيارة السفارة حل المطر ، وودعنا شاكرين .

أقلعت الطائرة من ماوتو في الساعة الثانية وخمسين دقيقة وحلقت على  
ارتفاع ثلاثة وثلاثين ألف قدم ، ووصلنا إلى بيبوا وهي ميناء على الساحل  
الموزمبيقي الشمالي في الساعة الرابعة وخمس دقائق . من الجو شاهدنا معامل  
أكبر البترول لي أحرقها الثوار وكانت جميعها سوداء متفحمة إلا واحدة ،  
ولا بد أن الحريق كان هائلا . ونحن نهبط أرض المطار لاحظت أن هنالك  
الكثير من الجنود مختفين في الحقول حوله . مكثنا في الطائرة لم نبرحها نصف  
ساعة ، ثم أقلعت بنا على ارتفاع خمسة آلاف وخمسمائة قدم ، ووصلنا إلى  
هراري بعد أربعين دقيقة .

و الطائفة كانت إحدى المضيفات داكنة اللون لكن شعرها كان كالتائباء ،  
وعينها لونها أخضر ، ميل إلى الزرقاء ، وهي بجمرة ألوان يندر أن توجد ،  
وهي ذلك وقد كان شكلها لطيفاً جداً ، كامة عن البرتغاليين في موزمبيق . إن  
مابوتو حبيبة التصميم ، جيدة الطرق ، واسعة حبيبة الرصف ، والمحلات  
التجارية تزدى عن عز غار . وبست اعتقد أن البرتغاليين كانوا قد بنوا المدينة  
وفي دهمهم أنهم سرحون في وقتها ، بل أنني أكاد أجزم أنهم سرها وهم  
موقفون بقتلهم إلى ما لا نهاية ، ولا شك أن استقلال البلاد بعد أن طالت  
في حكمهم طويلاً حصة هرون كان ضرورة فسيحة بعد الاستقلال خير  
البراعة ليون الموحدون في موزمبيق من اتخذوا الجندية المورمبية أو الوحيل  
وما شاعدهم إختار الكثير من البقاء ، وأعلمهم تأقلموا إلى درجة أنهم  
لا يستطيعون الحياة الآن في البرتغال ، ومع أنهم يختلطون مع الأهل بحرية  
تامة وببساطة إلا أنه ما يزال هنالك ذلك الفاصل الذي يصعب بما اعتقد  
تخطيه بمثل هذه السرعة وإن كنت أعتقد أنهم سيدوبون شيئاً شديداً في الأهل .  
والواقع أدت تجد الآن من الأهل من لا تظهر فيه سمات البانتو واضحة ،  
فالكثير ليسوا زنجياً ، ولونهم ليس داكناً وأنوفهم مستقيمة ، وأبست مقلطحة  
وشفاهم أقل غلاظة .

كلمة أخيرة لقد ذهبت إلى موزمبيق لأزور البلاد وأتعرف على ملامحها  
وحضارتها ولم أزر البلاد إذ لم أخرج من مابوتو العاصمة ، لكنني كسبت معرفة  
السيد / الفير عن الدين بسيوني ، والآسة ليلى روفائيل مستشار السفارة ،  
والسيد عزت سعد سكرتير ثان السفارة وسائر الأخوة واعتقد أنني كسبت  
أكثر كثيراً مما فدت . وكم أود أن سفارتنا بالخارج تولى المواطنين معشار  
ها فسمه لنا آخرتنا في مابوتو .

## زيمبابوى

مساحتها ٥٠٢١٢ ميلاً مربعاً أو ٨٧٠٠ كم<sup>٢</sup> تقع بين خط عرض ١٧° و ٢٢ درجة جنوب خط الاستواء، وتحدها من الشرق موزمبيق ومن الغرب بوتسوانا ومن الشمال زامبيا والجنوب جمهورية جنوب أفريقيا.

تعدادها حسب إحصاء ١٩٦٦ . ٠٠ ٤٦٤٠٠٠ نسمة، منهم ٢٢٥٠٠٠ من البيض؛ و ٢٢٠٠٠ من الآسيويين والملايين وجوعياً يقسم إلى اثني عشر معتمداً جاف شتوي يشمل ماو و بوبية ريد لير والثاني حار جاف ويشمل أغسطس وسبتمبر وأكتوبر والثالث مطير من نوفمبر إلى أبريل.

كانت في المبدأ قطنها الألمانية ولم يدخلها الأوربيون إلا بعد انجستون في سنة ١٨٥٥ ودخلتها أول بحرية منهم في ١٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ حينما جاء سميل رودس واشترى رودس حقوق التعدين من لوندجولا، ملك الميثاليمية ثم لم يتورع عن أن يدعى أنه اشترى منه جميع أراضيها ولم تأت سنة ١٨٩٣ حتى كانت البلاد جميعها تحت سيطرة شركة جنوب أفريقيا، وطرد لوندجولا منها في سنة ١٨٩٦ قام الميثاليمية بالثورة، كما قامت أيضاً قبائل الشونا، إلا أنها تمكنت بقسوة عما أحبط نموس الأهالي فلم تقم ثورات أخرى إلا في سنة ١٩٦٠ حينما اشتعلت في سالسبورى وجويلو، وبولاوايو.

عاصمة البلاد هي سالسبورى، وقد غير اسمها إلى هرارى كما غير اسم البلاد من روديسيا الجنوبية إلى زيمبابوى منذ أن نالت البلاد استقلالها في فبراير سنة ١٩٨٠. وتعداد العاصمة ٢٤٧٠٠٠ حسب إحصاء ١٩٦٦. والمدينة التالية في الأهمية هي بولاوايو وتعدادها ٢٤٨٠٠٠، واللغة الرسمية السائدة هي البانتو. ولكن معظم الأهالي يتكلمون بالإنجليزية.

تابع ١٩٨٣/١/١٣

وصلنا إلى مطار هراري في الساعة الخامسة والنصف تقريباً ، وكان الجو بها معتدلاً ، والسماء صافية. وهراري عاصمة زيمبابوي وكان اسمها أصلاً سالسبورى نسبة إلى لورد سالسبورى رئيس وزراء بريطانيا الأسبق ثم عدل بعد الاستقلال سنة ١٩٨٠ إلى هراري. مطارها أكبر من سائر المطارات الأخرى التي رأيتها في أفريقيا ربما فيما عدا نيروبي وأديس أبابا ، وهو حديث جداً ونظيف، ومنظم وأول ما يلاحظ أن عدد الأجانب كبير ، ومع حقيقة لاحظتها في كل سفري في زيمبابوي ، سواء في العاصمة أو خارجها .

حيثما جاء دورنا أمام مرطبات الجوازات أعطيتنا جوازى السفر مقررنا أننا نريد تأشيرة ، وأن سفارتنا قد انصرفت بهم. وكان رد الموظف مذهلاً إذ قال إن المصريين لا يحتاجون إلى تأشيرة دخول ، وحتم جواز سفرنا ببساطة .

أنهينا باقي الإجراءات الجمركية ثم أبدلت بعض النقود؛ وهذه المناسبة فإن العملة المتعامل بها في زيمبابوي هي الدولار الزيمبابوي ، والدولار الأمريكى يساوى في السوق الرسمية بعد خصم حوالة البنك وغيرها حوالي ٩٥ سنتاً زيمبابويًا ، أما في السوق السوداء فإنه يساوى ١٢٠ سنتاً أو أكثر قليلاً .

من الجن أننا لم نكن قد حجزنا في أى فندق، فذا ذهبنا إلى الاستعلامات وطلبت الحجز في فندق ميكلز وهو فندق من الدرجة الأولى فأخبرني الموظف المختص بأنه لا توجد حجرات به نظراً لوجود أعضاء المؤتمر الأخرى ، وذكر أن هنالك فندقاً جيداً آخر اسمه جيمسون وطلبت الحجز فيه ، فعلاً قام الموظف المختص بالحجز . أخذنا سيارة أجرة إلى الفندق ، والملاحظة الأولى في الطريق هي أن الطرقات واسعة جداً لا تقل عن مابوتو ، وأنها جيدة الرصف . وفي هذا فوق مابوتو ، وإن الجميع يحترمون قواعد المرور سواء قادة السيارات أو الراجلة ، ولا يستعمل المير إلا في أقل من النادر ، والقيادة على يسار الطريق .

ثمان كل البلاد التي خضعت للاحتلال البريطانى .

أما عن الأراضي فمن خضراء تسكن بها الأشجار ، وهي في هذا أفوق ما شهدته في موزمبيق ونزانيا ، وإن كانت أقل درجة من زنجبار ، وأوغندا . وللباني حديثة ، وحيلة ، بها الممارات المرتفعة والميلات ، التي تمسوطها الخدائق ، بل إنني في الطريق شاهدت جراجاً متعدد الطوابق في وسط المدينة مع أن المرور ليس مزدحماً ، ولاحظت عدم وجود سيارات بها خدوش ، أو آثار تصادم إلا في النارجدا ، وهي ملاحظة نأكدت لي فيما بعد والمحلات التجارية مكتظة بالبضائع ، حتى أنها تضارع ما يشاهده المرء في مدن أوروبا العظيمة أعني لندن ، وباريس ، وغيرها . كما أن تنسيقها جميل يدل على ذوق رفيع ، السكنى الأسف تحققت من أن جل هذه المحلات ، إن لم يكن كلها ، ملك الأجانب ، وخاصة البوير ، من جنوب أفريقيا ، ويابهم الهنود ، أما الأهالي ، فلا يكادون يمتلكون شيئاً .

لا شك أن الفندق كان جيداً ، وحتى الطعام فيه كان من الدرجة الأولى ، وإن كنت اكتشفت أن الطعام في كل زيمبابوي جيد ، ويقدم بكميات كبيرة حتى الإفطار ، ويرجع ذلك إلى أن النظام السائد هو ما وضعه رجال الأعمال في جنوب أفريقيا ، إذ هم كما قلت يمتلكون الاعلمية العظمى من المنشآت التجارية . والبوير صموئلاً كلاً من كليات صحة من الطعام ، وقد حدث أنما في مطعم أيمان ، الخاص بالفندق ، صلماً ، أنا وزوجتي ، الوجبة العادية والمينو ، ولم نستطع أن نتمها ، فغيرنا من طريقة طلبنا في الوجبة الثانية ، وطلبنا طبقاً واحداً لكل منا من اللحم والخضروات ، ولم نستطع أيضاً أن نكملها ، والواقع أن الطبق الواحد كان يكفيننا معاً .

تركنا زوجتي في الحجرة نخرج للملابس ونزلت أسير قليلاً في الطرقات المحيطة بالفندق لا نعرف جود الاستراحة تعرفاً مؤقتاً عن المدينة وإن كانت المحلات التجارية قد علمت ، وفل السابلة . ازداد اقتناعي من المدة اليسيرة التي سرتها أن الطبايعي الأول عن المدينة كان على حق ، فإنها بدت أجمل المدن

التي زورها . لقد سمعتهم يقولون إن ابني سي لندن الصغيرة ؛ وقد زورها ،  
ولعلمهم على حق ، ولكن هراري لا تحمل عنها ، إن لم نلقها بعد . وإلى  
الساعة عدت إلى الفندق ، وأولنا طعامنا ، ثم صعدنا إلى الحجرة  
واقضى اليوم

١/٤

كل من أولاً أن أوزير السفيرة المصرية ، جرياً على عادي ، أعلمهم  
بوجودنا وفي الساعة التاسعة والنصف طلبت سيارة أجرة فأقمتني إلى السفارة .  
في الطريق شاهدت ملاعب التمس ، والنوادي ، والحدائق العامة ، منظمة  
كأحسن ما يمكن تنظيم ، وبعد حوالي ربع ساعة وصلنا إلى السفارة وهي  
تقع في حي هادي ، جميل ، ولها حديقة واسعة جداً . دُخِمت إلى الاستقبال  
ليستقبلني موظف استقبال بريطاني الجنسية على ما أعتقد ، فقدمت له نصي ،  
وطالبت مقالة السيد إيهاب طاهر القائم بأعمال السفارة ، طلب مني الموظف  
الانتظار لأنهم مشغولون بزيارة السيد هيران وكيل وزارة الخارجية فانتظرت .  
بعد فترة دخل شخص أشعث الشعر مقلمة يرتدي أيضاً وسروالاً ، ورباط  
هتي ، ويحمل في يده جاكيتاً ، تحاطب قديلاً مع الموظف المختص ، وفهمت  
من حديثهما أنه براتب مراعيد السيد وكيل الوزارة أثناء الحديث طلب مني  
موظف الاستقبال أن أذكر إسمي ؛ والمهمة التي جئت بمسندها وأخبرته عن  
إسمي مضيقاً إياها بمجرد زيارة بجماعة ، وإني مقدر مدى مشغوليتهم ، ولا مانع  
عندي من الحضور في وقت آخر . حينما ذكرت إسمي أهرس في السيد الأشعث  
لكنه لم يتكلم .

مالبت أن أخرج ، ومعهم موظف الاستقبال ثم عاد الأخير ، وطلب مني  
أن أتبعه .

دخلت حجرة انتظار أخرى ، ثم مالبت أن أحضر السيد إيهاب ،  
واستقبلني برحاب معتذراً عن التأخير ، وأجبت بأنه إن كان هناك خطأ فهو



منى ، إذ أنى لم أكن أعلم عن زيارة السيد وكيل الوزارة ، والمقنن المنعقد ، ولم أطلب تحديد موعد مسبق . سألتى أين أقيم وأجبت : وأخطرته بأننى أولاً أشكرهم على ما بذلوه بخصوص تأشيرتي دخولنا ، وثانياً أننى قد استعرت بطارية فيديو السيد محيى الدين لسبوتى سفيرنا فى موزمبيق ، وأننى وعدت أن أتركها بعد استعمالها ، وقيل رحيل من زمبابوى ، فى السفارة لحين حضور أحد من طرفهم ، فقال إنه لا يرى غصاصة مطلقاً فى أن يقوم بهذه الخدمة ، وأعدت شكره ، وطلبت منه أن يطلبوا سيارة أجرة ففعل ، وودعنى معتدراً مرة ثانية بأن صديق رفقهم لا يسمع بأن يقوم بواجب الضيافة ، فودعته شاكرأ ، ومقدراً .

عدت إلى الفندق مرة ثانية لآخطر زوجتى بأننى سوف أنسب لأننى يجب أن أبحث عن وسيلة انتقال إلى شلالات فيكتوريا فى الغد ، وحتى لا تضيق الأيام هباء ، ذهبت إلى شركة تدعى أنكوا ، إلى جوار الفندق مباشرة ، وسألت الموظفة المختصة عن إمكانية استئجار سيارة لبضعة أيام نقلنا إلى الأماكن التى نريدها ، فأجابت بأن هناك أجرة مؤقتة فى الوفود نظراً لما قام به الثوار من تدمير خط أنابيب البترول ، وكنت قد قرأت عن هذا ، وأن جميع سياراتهم تعمل الآن فى نطاق المدينة ، ثم قالت إنها ستحاول ، وتركتم لها رقم حجرتنا فى الفندق لتتصل بي إذا استطاعت عمل شئ .

تركناها وذهبت إلى أفيس فكان الرد مقارباً لهذا : وهى شركة سياحية أخرى ، ثم إلى شركة هرتز ، واعتذرت الفتاة أيضاً ، لكنها أشارت على الذهاب إلى مكتب السياحة الحكومى فى استطاعتهم مساعدتى على تنظيم الرحلة ؛ فعلاً ذهبت وفل الموظف لأننى استطيع الذهاب إلى شركة وورلد ترافل فى شارع سان حيث أنهم فى استطاعتهم ، مساعدتى وانصل بالشركة أمضى ثم قال إنهم فى انتظارى الآن إذا شئت ذهبت إلى هناك .

فى لطريق أبيع لى أن أرى الكثير من المدينة . والمحلات النجارة .  
وتأكدت بما سبق أن ذكرته من حسن التنسيق ، وكثرة البضائع ، وتنوعها .

سواء في الطعام أو الملابس أو البضائع التذكارية . وهذه المناسبة إن أكثر  
المصنوعات الشعبية هنا أيضا هي مصنوعات الأخشاب ، والسلال فهم ماهرون  
جدا شأن جميع أهالي هذه المناطق ، وهذا طبيعي لكثرة العبابات ، وبالتالي  
الأخشاب الجيدة ، كما أنهم فنانون ذوو ذوق رفيع ، وعبقريات خلاقه .  
بالإضافة الى هذا رأيت المصنوعات النحاسية ، ولا عجب اذ دخلنا في نطاق  
الحزام النحاسي العظيم في أفريقيا . مهارة الأهل في الصناعات النحاسية  
لا تقل عن مهارتهم في المصنوعات الخشبية ، بل أعلوا تفوقها تنسأ ، وجمالا  
وابداعا وابتداعا .

في الطريق أيضا مررت على حديقة واسعة تجمع على طرفيها عشرات  
الأهالي ، وأمامهم شتى أنواع الزهور يبيعونها ، وهي أيضا ملسقة تسمى  
جيملا ، وفي مجموعها أعطى منظراً أخاذاً . أخيرا وصلت الى مقر شركة  
وورلد ترافل للسياحة ، واستقبلني الموظف ، وقال إن لديهم رحلة في الصباح  
المبكر الى شلالات ، وكتوريا . ومنها الى وانجى ، وأن الرحلة بالطائرة  
الى الشلالات . ومن المطار سوف نستقل سيارات الشركة الى أحد  
الغنادق ، وفي اليوم التالي . أيضا نستقل السيارات الى الشلالات ثم  
في اليوم الثالث نستقل الطائرة الى وانجى حيث الحدائق المفتوحة ، ثم نعود  
الى هراري في اليوم الخامس أى يوم الأربعاء . كل هذا يبابى .  
وان كان معناه أنى إن أرى آثار زيمبابوى ، لكننى أحلت رفيق  
الى وقت آخر فربب ان شاء الله ، خاصة وان السياحة بالسيارة قد  
تكون فيها خطورة في المنطقة من وانجى الى بولاوايو حيث تشتهر  
شوكة النوار .

في الشركة أيضا طلبت من الموظف تأكيد حجز أماكننا في طائرة العودة

إلى دار السلام في يوم ١٢١١ ففعل ، تركت الشركة على أن أعود في الساعة الثالثة لكي أستطيع استبدال بعض النقود من البنوك ، وهي بهذه المناسبة ،  
أعمل حتى الثانية ونصف ولا انقطاع . ذهبت إلى أحد البنوك واستبدلت  
ما يكفي اسداد فاتورة الشركة ، ثم عدت إلى الفندق . وفي حوالي الساعة  
الواحدة ونصف تناولنا ، زوجتي وأنا طعاما دسما وان يكن في طبق واحد  
لكل قطعة اللحم زادت على نصف كيلو في تقديري ، وهي أقل ، أو تقارب  
في صير زوجتي . في الساعة الثانية والرابع نزلنا سويا إذ أرادت زوجتي أن  
تقوم ببعض المشتريات التذكارية ، وأن تأتي نظرة على المدينة .

سرنا ، زوجتي وأنا ، حتى وصلنا إلى طريق سستاوى وهو أحد الطرق  
الرئيسية في المدينة . هنا تعرضنا لمحاولة سرقة كنت أسير إلى جوارها وقد  
اعتادت هي أن يحمل حقيبة كبيرة لتضع بها جميع أوراقنا وجوازات السفر  
وما شابه ، وكنت أنا لا أحمل شيئا ، لمكنتني كنت أصعب النقود التي استبدلتها  
في جيبي الأيسر كمادني والواقع أن في هذا خبيرا كبيرا ، إذ أنني سبق أن  
تعرضت للشل في بوروندي ، وأيضا كنت أضعب النقود في جيب بنطالوني الأيسر  
ولولا لطف الله لفقدنا ما هذا . هنا أيضا تعرضنا للشل ، أولعلمنا أقرب إلى  
السرقه ذلك أن أحدهم دفعني في كتفي ، ثم دخل الشخص الآخر يني وبين  
زوجتي عنوة وقد كانت تسير إلى يساري وأحسست بيد الأخير تدخل جيب  
فقبضت عليها ، إلا أنه تخلص مني بسرعة تاركا النقود وأمرع بالعسر .

لم أتوقف لا تحقق مما إذا كان قد سرق شيئا أم لا إذ أن ما كنت أخشاه  
حقيقة أن يكون قد سرق شيئا من حقيبة زوجتي ، وأسرعت بالعذر ورائه .  
من الغريب أن الشارع كان مزدحما ، وكنا كما ذكرت في حدود الثالثة ظهرا  
أي في وضع النهار ومع ذلك فلم يحاول أحد أن يوقمه ، وتركوه يمشون ولم

يعرفه أحد مما عدا سيدة أجنبية حارات لإيقافه فدفعها بعيدا، هذا رغم أننى  
صحت أوقفوا اللص - عدوت وراءه مسافة تزيد على مائتى متر ولم ألحقه ثم  
مالئت أرحمنى . عدت لأرى زوجتى واقفة فلقية فسألتهما عما إذا كان اللص  
قد أخذ شيئا من حقيبتها وأجابت بالنفى ، ثم أعطتنى بعض الدولارات  
الزيمبابوية التى كانت قد سقطت على الأرض وأنا أقبض على يد اللص ،  
أحصيت النقود ووجدت أنها تنقص عشرين ريالاً ربما كان اللص قد أخذها  
وربما ضاعت حينما جمعت زوجتى النقود من الأرض . هى أى الأحوال  
وان الله - لم ولم تكن الخسارة كبيرة . خرجت من ذلك بدرس أن  
لا أضيع أية كمية من النقود فى مكان . طاهر من ملابسى وهى تجذب  
المصوص والدمالين .

كان من نتيجة هذه الحادثة أن تأخرت إلى الساعة الثالثة والنصف عن  
موعدى مع موظف الشركة فاعتذرت له ذاكرًا ما حدث . والموظف رجل  
من الأهالى ، وصاحب الشركة كالعامة رجل أورنى، وقد استمع الأخير إلى  
القصة وسألنى عما إذا كنت قد أبلغت الشرطة وأجيبته بأننى لم أفعل ، إذ أن  
ما سوف أفعله هم أن يكون ذا فائدة ، فعلق على ذلك قائلاً لئنى بحق لأن  
الزواح جميعاً فى نظره يتشابهون . تحول نظرى رغماً عنى إلى السيد الموظف ،  
فإذا بصاحب الشركة يعلق مرة ثانية أن لا أهتم إذ أن سيمون ، وهو اسم  
الموظف ، يهرج ، وهو منهم أى من البيض ١٤ .

لم يكن هذا ما قصته مطلقاً من اجابتنى لاولى ، ولهذا عادت قائلاً  
أننى أفسدت أننى لم أبين ملامح اللص اذ كنت أعده وراءه وكل  
ما أستطيع أن أصغه هى ملابس ، وربما شبه التيربى ، أما عن السرقة والنشل  
فإنهما للأسف يحدثان فى جميع بلاد العالم وأكثرها نخصاً أوثرام ، وقد

قصدت من اللفظ الأخير أن أبيه الأوروى إلى أن مقر الإلهالى هنا ، إنما يعود إلى امتصاص الأورويين لدمائهم ، وأمواعهم وإن كنت أحسبه لم يفهم هدى ، أو لعله فهم ، وفضل الصمت .

على أى الأحوال دومت حسابى ، وخرجنا من الشركة لنعود إلى الفندق بعد أن قدما ببعض المشتريات الخفيفة . فى الفندق ، أخطرناهم بأننا سنغضى حجرتنا فى اليوم التالى ، ودومت حسابى ، وتركت حقيقتى الصغيرة ودبعة لديهم إذ لم أنشأ أن أحمل سوى حقيبة واحدة ، كما حجرت فى الفندق ليومى الأربعاء والخميس ٢٠، ١٩ يناير ، إذ أن موعد رحيلنا من هرارى إلى دار السلام هو الجمعة ١/٢١ . لم نتناول عشاء سوى بعض السندوتشات ، والشاى لأن طعام القداء كان ديمأ لم يتم هضمه .

١/١٥

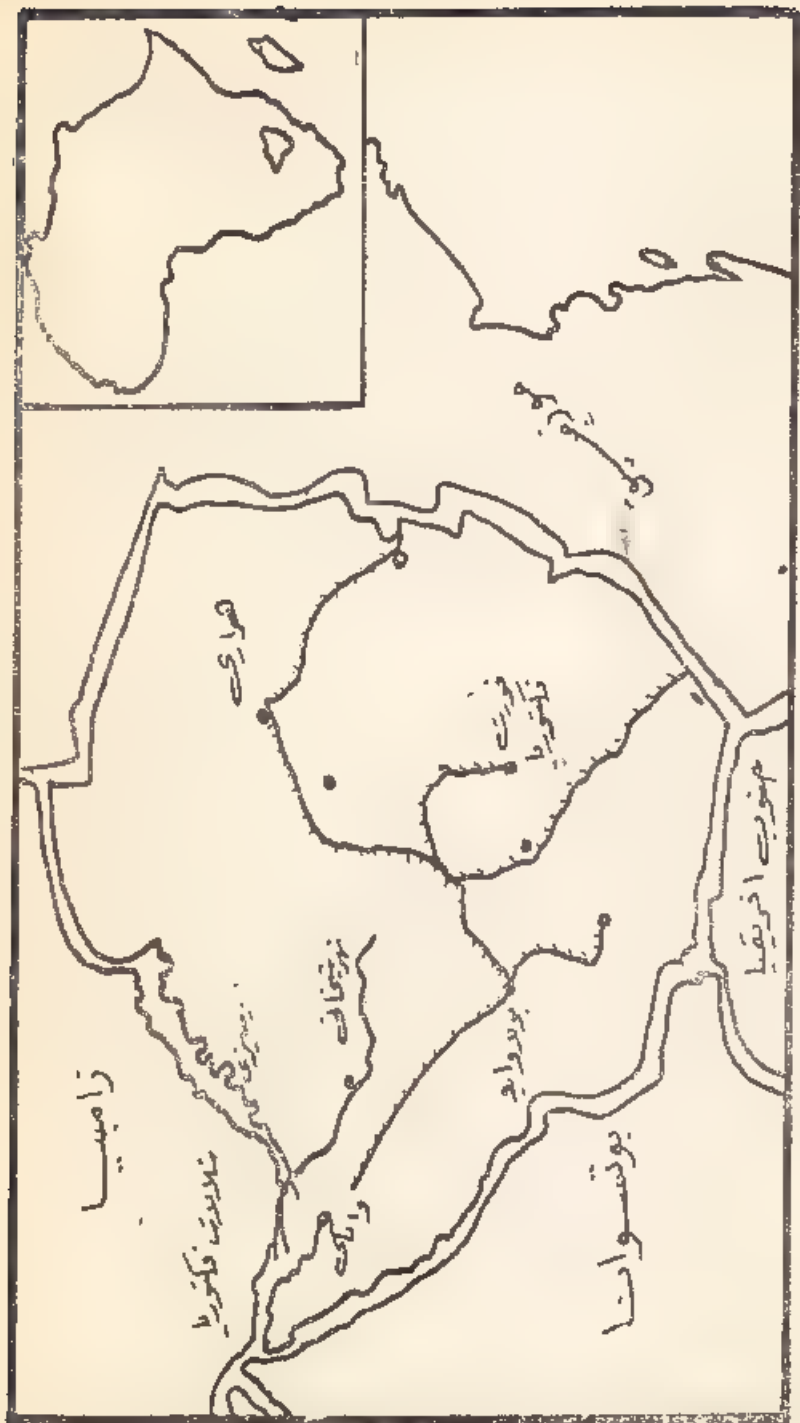
أيقظنا كاتب الاستقبال فى الساعة الخامسة صباحاً ، وبعد ذلك بربع ساعة جاء النذل بالشاى والقهوة . أتممتنا استعدادنا ، وتركنا الفندق فى السادسة وعشرة دقائق لنصل إلى المطار فى السادسة والنصف . لم يكن هناك تفتيش للحقائب ، وسارت الأمور بيسر فى المطار الابق ، وجزء منه مخصص للخطوط الداخلية . كل التفتيش الذى تم كان فيما عمله من حقائب معنا ، نظراً لوجود الثوار فى الجنوب القمربى ، كما ذكرت ، وهى منطقة قريبة من مقصدنا ، ومع ذلك لم يكن فى التفتيش أية مضايقة ، وتم بكياسة وسرعة .

توجهنا إلى الطائرة وجلسنا فى مقعدينا المحددين طبقاً لأرقام معينة ، وقامت الطائرة متأخرة قليلاً عن موعدنا فقد كان موعد القيام السابعة والربع ، إلا أنها لم تتحرك إلا فى السابعة وأربعين دقيقة ، ووصلنا إلى مطار الشلالات فى الساعة التاسعة والثالث . المطار صغير ، إلا أنه نظيف ، وأنيق . هنالك أخذنا حقائبنا ، ثم توجهنا إلى Plame dily حيث

أعطتنا موظفة نذاكر للانتقال في سيارات الشركة ، والإقامة في الفنادق المدة الميعودة لنا فيها . وهذه المناسبة فإن اسم المكتب هو اسم دهره اتخذتها الدولة شعاراً لها .

حملتنا سيارة ركاب كبيرة ، تملكها شركة طيران زيمبابوي ، من المطار إلى مكتب الشركة في مزرعة شلالات فيكتوريا . والقريبة صغيرة ، شوارعها جيدة الرصف ، تحيط بها الحدائق الواسعة ، وتستغرق مساحة هائلة مع أنها لا تزيد على مائتين أو ثلاثمائة منزل ، وهي أنيقة بل بها بعض المحلات التجارية المزدهرة بالبيضائع ، ووجدت بها مثلاً أفلاماً لآلة التصوير في حين أنني لم أجد في دار السلام أو مابوتو ، أية أفلام ، مع العارق الحائل والجيم والمساحة والأهمية . وتعداد المدينة حوالي ٧٢٢٠ شخصاً ، وارتفاعها ٩١٢ فوق سطح البحر . من مكتب شركة الطيران حملت سيارات صغيرة الركاب القادمين كل إلى وجهته ، ولما كنا سوف نذهب إلى فندق نهر زيمبابوي فقد أخذنا أماً كنا في السيارة المتجهة إلى هناك . في السيارة ، وفي المقعدين المجاورين لنا كان يجلس شخصان ، ويبدو أنهما سوداوان تتكلم بالعربية فوجه أحدهما حديثه إلينا ، ودمشت إلا أنني علمت أنهما لبنانيين وقد استوطنا البلاد منذ تسع سنوات ، وافتتحا محلاً تجارياً في هراري ، وأنهما الآن في رحلة عمل سيعودان منها في اليوم التالي ، وبما يؤسف له أنهما لم يقدموا أنفسهما إلا قرب نهاية رحلتنا إذ مالبا أن تركانا في إحدى المحطات التي تقف فيها سيارة الركاب الصغيرة ، وإن وجدنا في مجرد هذا الحديث السريع لفظة أخوية لطيفة .

وصلنا إلى الفندق في الساعة العاشرة ، وأخذنا حجرة جميلة مكيمة الهواء ، وكان الجو حاراً وإن يكن غير شديد الحطوبة مثل دار السلام ، ومابوتو . والفندق بعيد عن المدينة ، وبني وسط المروج التي تروى فيها الحيوانات ، وبالإضافة إلى هذا فإنه يقع على شاطئ نهر الزمبيزي مباشرة لا يفصله



عنه إلا سياج من الأسلاك ، وقطعة من الأرض لا يزيد عرضها على عشرين متراً . ويمكن اجتياز السياج عن طريق بوابة صغيرة كتب عليها ، أغلق السور بعد تخطيته ، وذلك حتى لا تدخل الحيوانات المتوحشة إلى الساحة الضخمة المخصصة للفندق ورواده .

ترىضت قليلاً في أرجاء الفندق أنعرف عليه ، في حين قامت زوجتي بإفراغ الحقيبية ، وإعداد الملابس ، ثم تناولنا طعام الغذاء . ولعله من الطريف أن أذكر أن اشتراكنا في الرحلة كان يشمل كل شيء : أغنى ثمن تذاكر الطائرة ، والانتقال الداخلي ، والذهاب إلى الشلالات ، والسياسة في هر الزمبيري ، ثم الإقامة ، والإفطار والعشاء ، ولا يشمل الغذاء فقط ، وهذه هي المرة الأولى التي أصادف فيها مثل هذا الطام ، وإن كنت قد صادفت أحياناً استثناء طعام العشاء .

في الساعة الخامسة إلا ربماً ، وصات سيارة الشركة لتحملنا إلى مرسى مركب بخاري كبير يشكون من دورين ، ويحمل مائة راكب . وصعدنا إلى السطح حتى تكون الرؤية أوضح ، واتخذنا مجلسنا . بعد قليل حضرت جماعات أخرى اكتظت بهم المركب وجلس إلى جوارنا ، وللساندة أومعه مقاعد ، وجل الزمبيري وزوجته ، يكرانا قليلاً في السن وكان ظريف الحديث طليقة . في الساعة الخامسة والنصف أقلعت بنا المركب في اتجاه الشرق أي في الطريق العكسي للشلالات من نقطة أوسع قليلاً من ترعة الاسماعيلية وإن انضج بعد ذلك أن النصف المقابل لنا هي جزيرة كولوندا التي تقع وسط النهر وأما تقع في أراضي زامبيا . بعد أن تجاوزنا الجزيرة اتسع النهر جداً ووجدنا أن به عدداً كبيراً من الجزر الصغيرة . أثناء الرحلة تحادثنا مع جارينا وانضج انهما من جزيرة مان وهي جزيرة تقع بين إيرلندا ووركشاير ، كما انضج أن ابن السيدة من زوج سابق قد اتى مصره في الشلالات إذ كان يلتقط



بعض الصور وانزلت قدمه ولم يمشوا على جثته . وفي حدود الساعة السابعة  
عدنا إلى المرسى ، ووقفنا سيارات إلى فندق شلالات فيكتوريا . وراينا على  
العمد دخان ، يتطاوّل إلى السماء ولم نلبث أن تبيننا أنه رذاذ مياه الشلالات .  
دخلنا بعد ذلك قرية ملحقة بالمندق شاهدنا فيها عرضاً لرقص قبليات هما  
شينجا وما كبنى وهما من فمائل الزولو وشملت الرقصات رقص تمكريس  
الشبان ليدخلوا في طبقة الرجال ، وتعليمهم الرقص بالسلاح ، ورقصة الحرب ،  
والروح حينما تلبس شخصاً . لكن أظرفها كان استعراضاً قدمه رجل صعد  
على عامودين متقابلين يبلع ارتفاعهما حوالي عشرة أمتار . وأدى بعض  
الرقصات الرمزية وهو على هذا الارتفاع . وفي الساعة الثامنة والربع عدنا  
إلى فندق زامبري لنقضى بقية الليلة .

١/١٦

كان المفروض أن تأتى سيارة الشركة لنقلنا في الساعة التاسعة  
والربع إلى شلالات فيكتوريا وقد فكرت في الأمر هذا هو أهم جزء  
في الرحلة في الواقع وكانت معى آلى الفيديو والتصوير بالإضافة إلى آلتين  
أخرتين للتصوير وهي ثقيلة الحمل ، وتأخذ مساحة كبيرة . واستشرت زوجتى  
أن نستقبل سيارة أجرة خاصة ونضع سيارة الشركة لأنها أولاً سوف تزدحم  
بالسائحين وثانياً لأنها سوف تكون تحت رحمة الدليل ، وإن يقف لنا حيث  
نريد كما أننا لن نستطيع أن نتأخر إذا شئنا التمهّل . وافقتى زوجتى على الرأى  
ومن ثم طلبنا شركة أفيس هانفيا ، ووجدتنا بإرسال سيارة صغيرة فوراً .  
حينما جاءت سيارة شركة رفضنا أن نستقلها ، فصعد فيها باقى السائحين ثم بعد  
حوالى عشرة دقائق حضرت سيارة الأجرة التى طلبناها وبدأنا رحلتنا .  
لكن قبل أن أصف الرحلة أود أن أذكر شيئاً عن الشلالات .

أسماءها الامال موسى . أو تونيسا Mosi oa Tunya وتعنى حرفياً  
الدخان الذى يرفع . وحينما رأها لم تنجستون لأول مرة في ١٦ نوفمبر

سنة ١٨٥٥ أسماها تبعا للملكة فكتوريا وأقيمت أول مستعمرة أوروبية على ضفة الزمبيرى فى أضيق منطقة لجراء بين الشلالات وتيارات كلانومبوراً لكن نسبة كبيرة من الأوروبيين أمسكتهم حمى المياه السوداء ، ولهذا نقلت للمستعمرة إلى منطقة أكثر ارتفاعاً .

وعما يذكر أن سيسل رودس كان يحلم أن تمتد أملاك الامبراطورية البريطانية فى إفريقيا من كيب تاون فى الجنوب إلى الاسكندرية فى الشمال ، وأن تتصل جميعها بخط حديدى واحد يربط القارة ؛ ولهذا أراد أن يبنى قنطرة بين الجبلين اللذين يفصلهما أخدود عميق يسمى الإماء الذى يغلب Boi Ling Pot وفعلا بدأ العمل فى بناء القنطرة فى سنة ١٩٠٥ . هذا باختصار شديد هو تاريخ الشلالات . والآن أذكر بعض الحقائق عنها .

تقع على نهر الزمبيرى الذى ينبع من شمال زامبيا قريباً من تل كالىنى . وطوله ألفان وسبعمئة كيلو متر . وهو هذا رابع أنهار إفريقيا طولاً كما أنه النهر الوحيد فيها الذى ينبع من الغرب ليصب فى المحيط الهندى شرقاً . أما الشلالات نفسها فيصل طولها إلى ١٦٩٠.٧٤ متراً ، وارتفاعها فى المتوسط ٩٢.١١ متراً ويتدفق منها فى المتوسط مائة وستين مليون جالون فى الدقيقة فى أوقات الفيضان . وينبع من شدة اعداد المياه رذاذ يتطاير ليرتفع فى الهواء إلى أربعمئة وخمسين متراً ، أى خمسة أمثال ارتفاع الشلالات نفسها وقد قال عنها ليفنجستون حينما رآها لأول مرة ، ولا بد أن الملكة حدثت فيها أثناء طيرانها ، . ونستطيع نحن الآن أن نطير فوقها فعلاً إذ توجد طائرات خاصة تؤجر لهذا الغرض .

نعالى معى نسير ألف وسبعمئة متر تقريباً على طول الشلالات وقفنا فى السيارة فى مدخل حديقة تبدو لأول وهلة من الحدائق للمادية ، بل

والعلماء تبدرو وكأنما عبثت بها يد الإنسان فنسقتها ، والواقع أن كل ما فعله الإنسان هو شق الطريق وسطها رفعت الطبيعة بالذائق وأبدعت في تصوير أشجار صنمها متراسة تكاد أن تتشابهك أحياناً ، وتتباعده أحياناً أخرى ، وأعشاب خضراء تغطي الأرض ، وبهائمات مزهرة ، وغير مزهرة لو أنك نظرت إلى أوراق الأشجار نظرة سطحية لحانتها لا تفرق عن بعضها ، لكن قليلاً عن التمتع سرعان ما يقنعك بأن الخالق قد أبدع في الأوراق إبداعه في كل ما فعل . ستجد ألواناً مختلفة ورسومات متباينة لا تقبل في روحها من الأزهار والاطمار هل لاحظت مثلاً أن المعظم الساحق من الأشجار الضخمة رقيقه الأوراق ، وأن الأوراق الغليظة أو الكبيرة ، إنما توجد في النباتات أو الأشجار الصغيرة ؟ وهل فكرت في سبب ذلك .

بين هذا الإبداع في الصنعة سرنا . أثناء سيرنا أشار السائق إلى تمثال منصوب على الجهة اليسرى بعيداً عن الأمطار الدائمة ، كان هذا تمثال ليفنجستون الذي لم يضر رجل الإفريقيين كما فعل ، ولست أدري ما قيمته حتى يقام له تمثال عند الشلالات العظيمة كأنما قام بصناعتها ، أو حتى كأنما اكتشفها ، فقد كانت معروفة لدى البتو قبل أن يولد بهائمات السفين . ربما كانت أهمية ليفنجستون أنه أول أوروبي شاهد الشلالات ، وربما كان هذا أهمية لدى الأوروبيين ؛ ولكنه قطعاً لا أهمية له ؛ أر على الأصح لا فائدة له لدى الإفريقيين ؛ لماذا مثلاً لا يقام تمثال لأولى عربى رأى شلالات فيكتوريا فما لاشك فيه أن عرب عمان ، وزنجبار قد رأوها قبل ليفنجستون بسنوات عديدة ، ولولا هم ما تمكن هو من السير في هذه المناطق ؟ لكننا الدعابة الأوروبية ، حينما تذكر تاريخ العرب في أفريقيا ، وإنما تذكره مقترناً بالوق ، وحينما تذكر ليفنجستون وأمثاله من المبشرين تذكر أنهم مكتشفون ، وأبطال ، ولا تذكر أهم أول المستعمرين ، وأنهم هم الذين جلبوا الذل والدمار على الإفريقيين ، أر على حد تعبير قرأته أعطونا الكتاب المقدس ، وحينما أمسكنا من الأرض من أيدينا .

بدأت آذاننا تلتقط صوت هدير يتزايد كلما تقدمنا . سار بنا السائق في  
ممرات طويلة ثم تودع وقد التقينا بالنهر . كانت المياه قد أسرعت ، وتضاربت  
تياراتها ، واعتصمت الجرى صخور سوداء تشقى لطبات لاهاية لها من المياه  
المتدفقة المتدفقة من كل جانب ، التي تبدو وكأنها تود أن تفر من مصيرها  
المخزوم نحو "هوه الحقيقية أمامها . مياه حيرى كأنما هي مجموعات من البشر  
مسا الذعر فرحت تتحيط لاندري أين المفر . ووقفت الجبال الشام تحيط  
بالمياه تمنع فرارها ، وتحدد مسارها ، إلى مصيرها .

اند أحسن من أسماء خافي الشيطان ، إليه اندفعت المياه تسحب سحباً ،  
وتجر رعم أنما ، وندو وكأنها تقوم مرعشة ثم تجبر على الاندفاع في  
الحاقي ، بين الحدين ، بتزداد سرعتها ، وتعاظم كبريتها ، وتلاطم على غير  
نظام ، ويغلف عردها ثم فجأة .. تختفي

تركنا الموقع ولم نعد نرى المياه ، وإن كانت أصواتها نأيننا غاضبة  
عائرة . عدنا إلى نهر ، وتقدمنا السائق ثم أوقفنا عند شجرة ضخمة . من  
هنا بدأنا لهبوط درجات ، مائة درجة أو تزيد ، لكنها ليست درجات عادية ،  
ولأنما هي منحوتة ، في الصخور ، ولعل ارتفاع كل منها خمسون ستيومتراً  
أو يزيد . إنك لا تستطيع أن تهبط بقدم على درجة لتنقل الأخرى على التي  
تليها ، وإنما يجب أن تستقر بقدميك على كل درجة أخيراً وصلنا إلى مكان  
نرى منه الشلال الأول . ويجرى النهر تحتنا . كانت المياه قد عرفت مصيرها ،  
وروضت نفسها عليه ، فهبطت من عليائها في قوة ، وغزارة لأمثل لها ،  
لتكون ستارة بيضاء ترتطم بما سبقتها من مياه ، ويرتد منها رذاذ في محاولة  
للعودة إلى أعلى ثم تدل لتتضم إلى زميلاتها . ويهدران في غضب في مجرى  
صيق بدت فيه المياه ، وكأنها تعلو ونهر .

لم يكن هذا الحجب . وإنما يبدو أن المياه قد اقتضت لنفسها عو من القرون

من ذلك الجبل الانهم فشقت طريقاً آخرأ وسطه ، وأضحى هناك شلال .  
أضيق من سابقه ، ومحصور أيضاً بين جبالين وبدا صار أحد الجبال محصوراً  
بين مياه غاصبة يتلقى لطبات من كل اتجاه . ويهبط الشلال الثاني بين الجبلين  
في أخدود ضيق ، فتسكون المياه فيه أشد اندفاعاً ، وأكثر تركيزاً . وبتطامير  
الرذاذ بقوة ليكون ما يشبه ستارة الدخان تحفي جزءاً من الشلال نفسه . ثم  
تندفع المياه في المجرى ، لتلتقي ، أخيراً الآنية من الشلال الأول ، وتسير  
مزججة مدمرة غاصبة لما لقيت معاملة .

هل تظن أبى وصفت السلالات ؟ أبدأ وإني لم أكن أبداً . ولا تس  
أننى ذكرت أن انساها يبلغ - الى ١٧٠٠ متر؛ وأخدود الشيطان هذا لا يزيد  
على مائة وخمسين متراً ، وهو أقل من عشر الشلالات . ويبدو أن النهر قد  
انحرف و هذه المنطقة تخرج من مجراه الأصلي ، وشق لنفسه سبيلاً بين  
الجبال ، لكن المجرى الأعلى ما يزال في سيراته العادى تركنا المنطقة وصعدنا  
الدرج الطويل ، وعلى رحلة شاقة . لكننا مع كبر سننا ، لم نشعر بها ففي  
كل خطوة كانت الجبال تحيط بنا بشكل متغير متنوع . النهر والصخور .  
والأشجار والخضرة ، والنباتات كلها تضاهرت لتخرج لك آية من آيات الله  
جل شأنه . أخيراً وصلنا إلى القمة ، وتابعنا السير بين الأشجار إلى الطريق  
المعبد المرصوف وعرج بنا دليلنا إلى طريق جانبي . لم نكن نسير فيه مائة  
خطوة ، حتى انكشف أمامنا منظر آخر ، ودليل جديد على عظمة الله .  
كنا قد دخلنا ثوة مارزاً في الجبل ، يصل إلى مدخل مجرى النهر أمامنا  
كانت الشلالات ، أقل من سابقتهما هنا إذ أن مجرى النهر هنا ضحل . وتوجد  
وتوجد جزيرة تحد من جريان المياه ، ولهذا هبطت المياه أقل كثافة وأخف  
حدة . ولكنها أيضاً لم تكن تخلو من الجبال . بل إن رذاذها قد انعكست  
عليه أشعة الشمس لتسكون قوس قزح ، إذ لم يكن الرذاذ من الشدة بحيث  
يمحوه ، ولا من الضعف بحيث لا يظهر فيه . كم من الزمن يلبث المرء واقفاً

يتأمل هذه المعجزة؟ دقائق! ساعات! أيام؟ أو سنوات! لن نمل  
النظر إليها، ولن نهد المنظر واحدا، ستجدد يتجدد في كل دقيقة كل ثانية  
وستظل مبهوتا كما تأخوذ من روعة، وجمال ما ترى، لكن عليك أن تتحرك  
والدقائق تمر، والساعات تمر، وأمامك الكثير.

هنا نتقدم في الطريق الطويل، الممدد، ولم نلبث أن شعرنا بقطرات ماء  
تساقط علينا. نطلعنا إلى السماء، وكانت صافية، ومالئنا أن فهمنا. لقد  
اقتربنا من الشلالات الرئيسية، وهذا هو الرذاذ يتساقط. لقد نشأت من  
الرذاذ الدائم غابة، دائمة الخضرة، أسموها غابة الأمطار إذ أن الرذاذ لا ينقطع  
عنها، في أية لحظة من لحظات السنة. ويعجب المرء كيف يعيش النبات  
وكيف تحيا الأشجار، مع هطول المياه الذي لا ينقطع.

سرنا، وكلما تقدمنا ازداد هطول الرذاذ، وأخيرا انكشفت منطقة  
صحيرية لا نبات فيها ولا شجر، تنوء آخر من الجمال بمعرض مجرى النهر،  
وبقابل الشلالات. هنا رأيت صحبا، كانت هذه هي الشلالات الرئيسية وقد  
اندفعت فيها المياه بشدة، حتى أن رذاذها يتطاير إلى حد أنه كونه ستارة  
بيضاض كثيفة، اخفت الشلالات نفسها. إن ارتفاع الشلالات كما قلت حوالى  
مائة متر، أما الرذاذ فإنه يرتفع إلى أربعمائة وخمسين مترا، أى أربعة أو  
خمس مئة أضعاف للشلال نفسه، ولك أن تقدر من عدا شدة الاندفاع، وقوة  
السقوط. إملا الجو كله، والمنطقة كلها، بالرذاذ؛ المتطاير حتى أضحت  
أمطارا حقيقية بللت ملابسنا تماما؛ ومع هذا فلم نشعر بما يحرقه. إذ أخذنا  
جلال المنظر وجماله. هذه هي سحابة الدخان التي رأيناها من فندق  
فكتوريا فولز نتناول إلى هناك السماء. هذه التي أسموها البانفو محق الدخان  
الراعد.

من هذه النقطة ، وهى بين ثلث الشلالات ونصفه ، لم يتوقف الرذاذ .  
كنا زوجى ، وأنا ، كطفلين يلهمان تحت مياه الأمطار لأول مرة ، ومن  
الجلى أننا لم نكن الوحيدين الذين طغى عليهما هذا الشعور فسكنت ترى  
سائر السائحين يلهمون بمعنى الكلمة تحت الرذاذ وقد استخفهم الطرب . منهم  
من خلع قميصه ، ومنهم من حمل نعليه وسار حافيا ، نساء ورجالا ، شبانا وشبابا ،  
سرنا قتملين غير متعجلين الهروب من رذاذ المياه الكثيفة . رأينا  
الشلالات تتغير أشكائها من الرقيق الذى يبدو كستارة حريرية ، إلى المندفع  
بقوة حسب طبيعة أرض النهر فإن كان قبل الشلال جزيرة ، أو كانت أرضا  
ضحلة فهو حفيف وإن كان انجرى ضيقاً أو عميقاً فالشلال قوى مندفع .

مررنا على شلالات قوس قزح ، رينبو ، حيث تنعكس أشعة الشمس  
خاصة في الصباح ، وتظهر ألوان الطيف في أجمل صورها ، ألوان دائمة باقية  
ويقف المرء ليتأمل جمالا سرمديا انعدم معه الزمن فهو الأملس ، وهو اليوم ،  
وهو الغد . معجزة خالدة دعت زوجتى لأن تهتف قائلة إن عجائب الدنيا  
السبع ، أو تجمعت لدت قزعة أمام معشار هذا الجلال الأبدى . أحبرا ،  
ودائما تحت مياه الرذاذ المتساقط . وصعدنا إلى ما يطلقون عليها دانهر بريت  
أى نقطة الخطر ، وهى تتوهج على صخرى يتساقط عليه الرذاذ بشدة ومقاربه  
تنوء جبلى آخر عند الضفة الأخرى ، وهى تدخل في حدود زامبيا ، فى هذه  
النقطة ينحني النهر انحنا شديداً فى حين أن الشلالات تستمر فى استدادها  
مسافة ثلاثمائة متر تقريبا . اصطدم المياه بعد ذلك بالجبان ثم رتد لتلتقى  
مع أخواتها الآليات من الشلالات الأخرى لتكوين دوامات مائية رهيبية ،  
أطلقوا عليها الإناء الذى يغلى أو بوبانج بوت .

هذه هى أخطر منطقة وأكثرها سقوط رذاذ ، إذ لا تحمينا أية أشجار

غريبة . هنا توجد بعض الصخور الزلقة إثر استمرار سقوط المياه عليها ، وبالإضافة إلى هذا فهي تنوء جيلى لا يزيد عرصه على عشرة أمدار ، ويحف به من الجوانب الثلاثة هوات صخرية تسقط رأساً إلى المياه المتلاطمة من كل جانب . هنا أيضاً حسماً فمنازل ابن السبيد الانجليزية التى انقيمتها على المركب الهوى ، كان يصور آلاته وتوابعه ، وأوله تقدم حظرة فهوى من حادى ليحتفى فى اللجج المتصارعة .

كان لابد أن تمحرك هامزنا أنفسنا انزاعاً ، وسرنا وراء دابلنا . دخلنا غابة ثانية انقطع فيها الرذاذ ، وسرنا فى طريق ممدد إلى منطقة أخرى نطل على الإناء الذى يقلى كسنا نطل على الجسر الذى أقسم بين الجباين ، والذى يصل ما بين زيمبابوى ، وزامبيا ، والواقع أنه آية فى الإبداع الفنى . استندت دعائم الحديدية على الجبلين المتقابلين ، ومع أن المسافة لا تزيد على مائتى متر أو ثلاثمائة إلا أنه بدا عملاً خطراً ، ولا عجب أنه استغرق ثلاث سنوات لإتمامه .

انتهينا ، آسفين ، من زيارة الشلالات ، وأشار لنا السائق على طريق دعانا إلى اتحاده وقال أنه سوف يعود ليهايلنا بالسيارة عند انتهاء . سرنا وسط أشجار باسقة ، ونباتات ، و زهور وأطياف مختلفة الألوان متباينة الأصوات ، وفى الهابة النقيية بالسائق والسيارة .

كانت خطواتنا التالية هى المرور بالسيارة على القنطرة ، من زيمبابوى إلى زامبيا والعودة . وقد أخذنا السائق ، وعند الحدود قبيل القنطرة وجدنا نقطة الحدود والجارك . لما أعلنناهم بمقصودنا أعطونا تصريحاً مؤقتاً بلا مقابل ، ونخطبة الحدود ثم سارت بنا السيارة ، فوق الإناء الذى يقلى أو موبلج موت . وصلنا إلى الحدود الزامبية ، ومنها عدنا أدراجنا بعد أن



ألقينا نظرة على الهر . قريباً من هذه النقطة أظمت زامبيا مشروعات لتوليد  
الكهرباء من المياه ولكن زيمبابوي لم تفعل ذلك من ناحيتها .

اتخذت السبارة سبيلها بعد ذلك إلى ما يسمى الشجرة الكبيرة ، وهي  
شجرة هائلة الحجم ، ربما يزيد قطر جذعها على ثلاثة ، أو أربعة أمتار  
وتتطاول فروعها وأغصانها ، لكن الواقع أن أى شيء بعد رؤيتنا الشلالات  
كان مسجاً ، لا معنى له . لقد سبق أن وصفت حمال الشلالات على محبرة قانا  
والليل الأزرق ، لكن مثل هذا الجمال بآراء . فهو يشعرك بالنداع صنعة  
الخالق ، سبحانه وتعالي وبقرينه ، ويدخل الرهبة ، والحشية إلى قلبك ،  
مزوجتان بالحر .

عدنا إلى الفندق إذ كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة ، وتوعدنا على  
أن يأتينا السائق بعد ساعة ، وأن يشتري لي ثلاثة أفلام للتصوير ، إذ كانت  
أفلامى قد فرغت . فى الساعة الثانية تماماً ، عاد السائق وارتحلنا من الفندق  
مترجمين إلى مزرعة التماسيح ، وهى مزرعة أقامها رجل يدعى سبنسر كريك  
على بعد يسير من الفندق .

دخلنا لقاء ثلاثة دولارات زيمبابويه لكل مننا ، والواقع أن الرجل  
بذل جهوداً جباراً ليجمع هذه التماسيح وتصينفها ، فلهذه حوائى أربعة آلاف  
تمساح ، وصنع كل مجموعة حسب عمرها ، وأنشأ لها أماكن طبيعية تشابه  
بيئتها . تستطيع أن ترى مجموعة من تلك التى يبلغ عمرها سنة ، ثم مجموعة  
أخرى بلغت السنتين ، ثم الثلاثة ، وهكذا حتى تصل إلى التماسيح  
ناضجة ، بل وهناك التماسيح الآن على وشك الوضع . بالإضافة  
إلى هذه المجموعة الهائلة فإن هناك سياجاً يحيط بمساحة كبيرة من الأرض  
وضع فيها زوجا من الشيتا .

هل أن أجمل ما في المزرعة الواسعة كان من فعل الطبيعة ، ذلك أن أعداداً كبيرة من الطيور ، زاهية الألوان ، اتخذت عشوسها ، في الأشجار ومنها بالذات نوع ، يؤسفني أننى لا أعرف اسمه ، يبنى عشه بطريقة فريدة إذ أن بابه إلى أسفل ، وتتدلى العشوش من أفرع الشجر ، وأغصانها ، فينجيل إلى الرائي أنها نوع من الثمار الطبيعية . وقد شاهدنا بعض هذه الطيور وهى تصنع أعشاشها ، بمهارة فريدة ، والتقطنا لها بعض الصور .

خرجنا من الحديقة فى الساعة الثالثة ، وتوجهنا إلى حديقة الشلالات المفتوحة ، وهى بدورها قريبة من المنزل . دخلنا بعد أن دفعنا ، نصف دولار عن كل شخص ، وبالرغم من أننا أمضينا زهاء ساعتين إلا أننا لم نر كثيراً من الحيوانات ، مجرد بعض الكودو ، وهو نوع من الأيائل أقرب إلى اللاما فى شكله ، وغزلان الامبالا . وبعض الثيران الوحشية ، وما شابه ، لكن هذه جميعها ، لم تكن شيئاً مذكوراً بالنسبة لما سبق أن شاهدناه ، خاصة فى تفرانجا ، أخيراً عدنا إلى الفندق ، فى الساعة السادسة والنصف ، وانتهى يوم مشهود فى حياتنا ، وأحمد الله الذى أبقانا على قيد الحياة حتى استطعنا أن نرى بعض عجائب خلقه ، ودلائل قدره .

١ / ١٧

كان علينا أن نكون مستعدين للرحلة فى الساعة الواحدة والنات ، والطائرة إلى والسكى ، محطتها التالية ، تقوم فى الساعة الثالثة إلا ربعا ، والمسافة إلى المطار يجب ، كما فعلنا فى الإياب أن نقطعها على دفتين : الأولى إلى مكئب شركة الطيران فى المدينة الصغيرة ؛ ثم بعد ذلك إلى المطار ، فى سيارات شركة طيران زيمبابوى . قضينا ، زوجتى وأنا ، مرة الصباح فى استنجام كامل . وتناولنا غداء شهياً فى الحديقة أمام نهر الزمبيزى ، وقد ظهرت وراء السور أمامنا بعض الخنازير البرية ، راجحت نزعى فى هدوء غير معتنية بوجودنا ،

ثم ما لبثت أن اختفت . لما حان موعد ذهابنا حضرت سيارة شركة قلام ليل و حملتنا إلى المدينة ، ثم جاءت سيارات شركة الطيران لتقلنا إلى المطار الصغير ، وفي الساعة الثالثة قامت الطائرة لتصل في الثالثة والنصف إلى مطار وانكي حيث نزلنا ، ومعنا بعض السائحين .

ما أود أن أذكره هنا أن جميع الخطوات تمت بيسر وسهولة ، وبلا تعقيد أو مضايقة ، مع أن هناك بعض الثوار في المنطقة التي هبطنا فيها ، ومع أنني لاحظت أن بعض الجنود يختبئون في الحشائش ، حول المطار ، وكل ما حدث أثناء صعودنا الطائرة أن الموظف المختص سألنا إن كانت معنا أسلحة من أي نوع فلما أجبنا بالنفي انتهى لنا أذننا بالمرور . هذا اليسر ، وهذه السلاسة في سير الأمور لم أراها في أي بلد في أفريقيا حتى الآن ، وإن قاربنا المغرب ، وكينيا . حتى تونس مع رقة المعاملة ، وضبط الإيقاع ، لم تكن السهولة في مجرى الأمور بهذا الشكل . وربما تلى هذه الاقطار الأربعة راندا ، ففيها دقة في التنفيذ ، ويسر إلى حد كبير رغماً عما حدث لي مع الباجينكي مما رويته في موضعه .

وصلنا إلى مطار وانكي كما ذكرت في الساعة الثالثة والنصف ، وقابلنا فتاة أعطتنا برنامج زيارتنا للحدائق المفتوحة مقرر أن أول زيارة لهذه الحدائق أعدت لنا في الساعة الرابعة ، أي بعد أقل من نصف ساعة ، وكان علينا في هذا الأثناء أن نستقل سيارة الشركة ، إلى فندق وانكي ، وأن نسجل أسماءنا في سجل الفندق ، ونضع أمتعتنا في حجراتنا ثم نعود لنستقل السيارات في الموعد المحدد ، قبل أن أتابع الحديث أود أن أذكر ثلاثة أشياء . أولاً أن المطار صغير جداً فلا توجد في المنطقة بلاد ، وإنما أشياء خصيصاً لخدمة الفندق ، والحدائق المفتوحة فحسب ، ومع ذلك فهو في منتهى النظافة ، ومنتهى التنظيم ، ولا ينقصه شيء حتى السيارات الصغيرة التي

تعمل الخفاف الى المطار . إنى قارت هذا مع ما رأيت فى الحبشة وشان  
العراق .

المسألة الثانية أن حدائق وانكى المفتوحة هى أكبر حدائق من نوعها فى  
زيمبابوى ، إذ تصل مساحتها الى ١٤٦٢٠ كيلومترا مربعا ، من مجموع مساحة  
الحدائق المفتوحة ، والغابات التى تبلغ ١١ ٪ من مساحة زيمبابوى جميعها ،  
أو ما يقابل ٤٤٦٨٨ كيلومترا مربعا . والمسألة الثانية هو أنى وجدت فنادق  
البلاد تنسابق فى العر حبيب برزنها ، واجتذابهم ، فيها ما يستقبل السواح بغرفة  
موسيقية وطنية ، تفرز بهفة تكاد أن لا تنقطع أمام المدخل ، ومنها  
ما يقدم مشروباً معيناً ، ومنها ما يترك نعيد المشروب للزبل فله أن يطلب  
ما يشاء على حساب الفندق ، ومنها من ابتدع ، بالإضافة إلى هذا ، أن  
يسألك عن موعد استيقاظك ، وعما تطلب من شاي أو قهوة ، فإذا ما حددت  
الموعد ، والشراب الذى ترغبه ، يقدم إليك فى وقته دون أدنى تأخير ، وهو  
على حساب الفندق ، ولا علاقة له بما يقدم فوجبة الإفطار العادية ، ولو كانت  
تدخل فى حساب المبيت ، ولك فى الإفطار أن تطلب أية كمية تشاءها من  
الزبد ، والمرى ، والشاي أو القهوة ، بل وأحياناً من عصير الفواكه ، والفواكه  
الطازجة وقد بالغوا فى فندق نهر زامبيزي ، إذ كانوا يضعون على مائدة مفتوحة  
سبعة أو ثمانية أنواع من المرى ، ولك أن تأخذ منها ما شئت ، وأية كمية ،  
كما لك أن تكرر أخذك بلا حساب ، وبلا حد نهائى ونميز فندق وانكى  
بأنه يضع على مائدة مفتوحة فى الإفطار أنواعاً متعددة من عصير الفواكه  
ولك أن تأخذ ما شئت كما يمز أيضاً بالفواكه الطازجة سواء فى صيغة سلاطة ،  
أو قطع منفردة من الأناناس أو الشمام ، ولا رقيب عليك أو حسيب فيما  
تأخذ .

و الساعة الرابعة تمام وصلت سيارة لندكة أمام الفندق ولعل هذا ذكر

أن عددنا كان عشرة وكان يمكن أن نسمي السيارة ، ولكن المصائق رفض إذ قرر أن حولة السيارة تسعة فقط ، واعتذر لنا ثم عاد بعد حوالي الخمس دقائق بسيارة تسعة سبعة عشر شخصا ، وركبنا في راحة . هنا في الواقع تبين أن الخطأ في قبول الرحلة إلى وانكي لأنه بعد أنزاليا من التسيير جدا لن نجد معه في رؤية أية مجموعة من الحيوانات ، وحتى لا أطمح الحدائق المفتوحة في زيمباروي أذكر أننا شاهدنا مجموعة لا بأس بها . شاهدنا قبانين ، والكثير من الزراف ، والإمبالا ، وبعض الكودو ، وهو نوع كبير من الأيائل ، وابن آوى أكثر من مرة ، وبعض النعام ، والسفينة بوك ، وهو أصفر أنواع الغزلان ، والخنزير البري ، وغزلان الماء والجنو ، والخر الوحشية . والنيران كما شاهدنا الطائر المسكرير ، والكراوند هويل ، وهو نوع من العقبان لكنه لا يطير ، ولونه أسود ، وأصفر عند الرقبة . وفي الساعة الخامسة والنصف ، وصلنا إلى مساحة واسعة جرداء تقريبا وبها ركة أقيم قريبا منها كوخ خشبي مرتفع مقام على أعمدة من جذوع الشجر ومنه يستطيع المرء أن يكشف المنظر أمامه كاملا ، وقد رأينا في البركة . فرس النهر (سيد قشطة) وتماشين قابعين على الشاطئ ، كما رأينا الكثير من الإمبالا ، وغزلان الماء ، وابن آوى .

استمر نهرنا في الازدياد حتى الساعة السادسة والنصف ثم خرجنا منها طبقا للتعليمات ووصلنا إلى الفندق حوالي الساعة السابعة . لاحظنا أن أمام الفندق ساحة مفتوحة من الغابة ويفصلها خندق طويل ، وعريض ، وعميق ، وفي هذه المساحة توجد ثلاث برك صغيرة من المياه تنفذ إليها الحيوانات ، وقد سلطت إدارة الفندق على هذه البرك الأصواء الكاشفة حتى يستطيع المرء مشاهدة الحيوانات ، وإن يكن عن بعد . وبالإضافة إلى هذا أقامت كوخا كبيرا مفتوحا على غرار الذي رأيناه في الغابة ، ووصفت فيه بارأ

كامل الاعتماد ، وقد جلسنا قليلا في حديقة الفندق ، ننظر من خلال المنظار  
المكبر ، لكننا لم نر سوى بعض الجنو ، ولما كنا متعبين ، فقد تناولنا العشاء  
وآوينا إلى الفراش .

١ / ١٨

أيقظنا النادل في الساعة الخامسة صباحا ، وقدم لنا الشاي والقهوة ، ذلك  
إذ كان علينا أن نقوم برحلة أخرى داخل الغابة ، تبدأ من الساعة السادسة  
والربع . في الموعد المحدد تماما حضرت السيارة ، وبدأنا الرحلة . صادفنا  
الزراف ، والحمر الوحشية ، والجنو وربما كان من أظرف ما أرينا غزلان  
الامبالا الرشيق ، وهي تلهو وتجرى وراء بعضها ، في حلقات ، وصغارها  
تقفز معها . كان المنظر طريفا حتى أننا وقفنا مدة تتسلى بمشاهدته .

شاهدنا أيضا مجموعة كبيرة من الطيور المختلفة ، لكننا حينها وصلنا إلى  
الكوخ المرفوع ، لم نعد أية حيوانات ، وتعجب السائق من ذلك وقرر أنه  
لم يأت مرة واحدة إلا وكانت هنالك حيوانات ، خاصة الامبالا لكن السر  
اتضح حينما شاهدنا بعد قليل لبوتين ، وأسدا يرقون ويختفون في الأحراش  
والأجاث ، وفيما عدا هذا لم نر شيئا له قيمة وعدنا إلى الفندق في الساعة الثامنة  
والنصف لتناول إفطارنا .

كان المفروض أن نذهب مرة ثالثة إلى الحدائق المفتوحة في الساعة  
الرابعة إلا أننا رفضنا ، وفضلنا البقاء في الفندق الاستجمام . جلسنا بعض  
الوقت في الحديقة فربأنا عند بركة المياه بعض البايون ، وإن أوى كما شاهدنا  
منظرا آخر طريفا لبعض الجنو ، وهي ترد المياه ثم بدأت صغارها تفرح  
وتلعب ، وهنا لاحظت أن واحدا من الحيوانات وقف عند كل الاتجاهات

وأن الصغار لم تخرج من المساحة الموجودة بين الحيوانات الواقعة للحراسة ومن الطريف أنه ، كما يحدث للإنسان ، قد استخف الطرب ببعض البالغين من الحيوانات ، فانضموا إلى الصغار في لهوم ؛ وبقينا في مجلسنا نرقبها حتى أظلمت الدنيا ، وبدأنا نشعر بالبرد فدخلنا وتناولنا العشاء .

١ / ١٩

لم نخرج اليوم أيضا في الصباح ، وفضلنا البقاء في الفندق ، في الساعة الثانية والنصف جاءت سيارة الشركة وحملتنا إلى المطار الصغير الايق ، وفي الثالثة وخمسة وأربعين دقيقة رحلت بنا الطائرة إلى كايرو ، وهي أيضا حذاء مفتوحة تطل على بحيرة كايرو ، إحدى أكبر بحيرات العالم الصناعية ، ومطارها يسكاد أن يتطابق مع مطار وانكي . لم نلبث كثيرا في المطار ، واستأنفنا رحلتنا إلى هراي ، فوصلناها في الساعة السادسة إلا خمس دقائق ، وكانت تظلم ، والمسافة بين الطائرة والمطار ، تزيد على مائة وخمسين مترا يسرها الركاب في العراء ، لكننا وجدنا ثلاث رجال يحملون مظلات مكتوب عليها اسم شركة الطيران ، فكانوا يسلمون كل راكب أو اثنين مظلة ليستعملها حتى يصل إلى مدخل المطار فيتركها .

استأجرتنا سيارة أقلتنا إلى فندق جيمسون حيث كنت قد حجزت غرفة لنا قبل أن أقوم برحلتنا الداخلية ، كما كنت قد تركت حقيبة سفرنا بها . استأمنها حين وصولنا ، وصعدنا إلى حجرتنا ولم نخرج منها إلا للعشاء .

١ / ٢٠

كان على في الصباح أن أذهب إلى السفارة لاعمد بطارية الفيديو التي

استعرتما من السيد السفير عبي الدين بسيوني ، وفعلنا في الساعة العاشرة صباحا استأجرت سيارة أجرة افلتن إلى السفارة حيث قابلت السيد / إمام طاهر الذي استقبلني بترحاب، وشربت معه القهوة المصرية ، وأخذني البطارية وقال إن أحد موظفي السفارة سوف يذهب باكرا إلى مابوتو ، وأنه سراسلها معه فشكرته على ذلك ثم استصمرت منه عن الجالية المصرية ، فأجاب بأنها لا تزيد على اثنين أحدهما خبير أرصاد ، موفد من الأمم المتحدة ، والثاني لا أذكر عمله واستصمرت عما إذا كانت هناك أعمال تجارية بين بلدينا وبين زيمبابوي فأجاب بالنفي ، وإن كانت قد بدأت بعض البشائر .

بهذه المناسبة أود أن أذكر أن هناك مكتبا تجاريا لجنوب إفريقيا يعمل به أكثر من خمسة عشر شخصا ، مسألة أخرى هي أنني لاحظت أعدادا كبيرة من السيارات في انتظار أن تمون الوفود ، وكنت أعلم أن هناك أزمة وفود لكمبا في الأيام القليلة التي غبتها في الشلالات ، ووانكي قد اشتدت إلى درجة كبيرة حتى أم كادت أن تقارب السودان ، وإن لم تصل بعد إلى هذه الحدة . مسألة ثالثة أننا إذ قارنا بين سيارات الأجرة وحالتها نجد أن في موزمبيق لا يسكاد يوجد أكثر من عشر سيارات في كل العاصمة ، مابوتو ، وفي تنزانيا سيارات الأجرة موجودة وربما بكثرة إلا أنها جميعا قديمة جدا ، وحالتها سيئة إلى أقصى درجة . وفي زيمبابوي حالتها أحسن ؛ ولكنها أيضا قديمة وحالتها سيئة ؛ حتى التابعة لشركات السياحة لم تكن حديثة . على ذلك في المرتبة زنجبار ، ومرانما ، وإن لم تكن غير حديثة الطراز إلا أنها لا بأس بها وأحسن السيارات الأجرة التي ركبناها في هذه الرحلة كانت في السودان بالرغم مما حدث لنا في الطريق إلى الشلال السادس مما رويته قبلا .

وهذا بدوره يدفعني إلى الكلام عن المرور . فإن القيادة في جميع البلاد التي زرتها على يسار الطريق ؛ على النظام الإنجليزى ، خلا السودان فالقيادة



على النمين ، وجميع المواطنين بلا استثناء يحافظون على قواعد المرور وأصوله . ولا يكاد أن يوجد شرطة مرور إذ نادرا ما نلاحظهم ، وحتى حينما يكون للطريق خاليا لا يتخطى السائق الإشارة إذا كان طريقه مغلقا ، ولا يكاد تسمع صوت نقر أو بوق دكلا كس ، فهم لا يستمعونه إلا عند الضرورة القصوى ، ولهذا فالبلاد هادئة لا تسمع للسيارات فيه ، صوت غير صوت الأتاما .

أعود إلى رواية ما كنت فيه إذ أننى بعد أن شكرت السيد إيهاب على رفته ، وكرمه سألته أن يطلب لى سيارة أجرة لتقلنى ، وذكرنى أن السفارة لها خصم فى الفندق ولا مانع من استعماله ، فوعدته وشكرته وودعته إلى اللقاء إن شاء الله . كانت السيارة قد وصلت فصحبنى إلى باب السفارة مودعا . طلبت من السائق أن يذهب إلى الفندق ، وبالمصادفة كان هو السائق نفسه الذى ألقى أول مرة زرت فيها السفارة وتعرف على . وسألته إذا كان يقبل أن يبقى معنا ساعة أو اثنتين حيث أننى كنت أود أن أؤكد تذاكر السفر لباكر ثم أن زوجتى تود أن تشتري بعض الهدايا التذكارية ، وقبل السائق . ولهم بهذه المناسبة عداد انتظار يسجل دولارا زيمبابويا كل خمسة وعشرين دقيقة .

وصلنا إلى الفندق ، وكانت زوجتى تنتظرنى ، فركبنا السيارة وانطلقنا إلى شركة الطيران حيث أكدت الحجز ، وقالوا إن الطائرة تطلع فى العاشرة إلى زيم ، وأن علينا أن نكون فى المطار فى التاسعة والربع . من هنا انتقلنا إلى وسط المدينة ، وهو قريب ، والمحلات التجارية فيه جميلة ، والبضائع متوفرة بكثرة حتى أنها تضارع أية مدينة أوروبية فى مثل حجم مرارى . قضينا حوالى الساعة بين المحلات ، ثم طلبت من السائق أن يسير بنا فى شوارع المدينة ، ووسطها ، وفعل . رأينا موقفين رئيسيين لسيارات النقل العام

كما شاهدنا سوقين صغيرين لبيع الفواكه ، والحضر ، وبعض منازل الاهالى ،  
وهى منازل مقبولة ، أحسن كثيرا من شاهدنا فى السودان ، أو أفندا ،  
أو غيرها ، ونفساوى مع منازل مابور ، وعدنا إلى الفندق فى الساعة الواحدة  
تقريبا .

تنازلنا غداء شيبا ، وأرادت زوجتى الخروج ثانية لاستكمال مشترياتنا  
إلا أن الأمطار هطلت بشدة ، ولما كانت المحلات التجارية تغلق فى الرابعة  
والنصف ، فقد انتظرنا إلى الثالثة ، ولما لم تنقطع الأمطار جازفنا بالذول ،  
وحاولنا إيقاف سيارة أجرة لسكنها جميعا كانت تحمل ركبا ، ولما كانت  
الأمطار قد خفت حتى أصبحت رذاذا ، فأننا جازفنا وسرنا على أقدامنا  
تحت البواكى ، وهى تكاد أن تمتد طوال الطريق ، طبعاً فيما عدا أماكن  
تقاطع الطرق ، وكما ذكرت فإن طرقهم واسعة جدا خاصة فى منتصف المدينة .  
اكملنا مشترياتنا وعدنا إلى الفندق فى حوالى الساعة الرابعة والنصف ، وكان  
ما اشتريناه ثمرتين من الالباناس كنت أود أن أحملها معى إلى القاهرة إلا  
أنى نسيت أن أقول للبائع أن لا تكونا قد طابتا ، ولما مضى وقتنا أن  
نأكلها ، وأذكر أن ثمن الثمرة تسعة وسبعون سنتا ، يضاف إليها الضريبة  
لتبلغ اثنتان وتسعون ، أى ما يقارب الجنيه بعاملتنا ، وعلى أى الأحوال  
فإننى عزمت على أن اشتري بعض الثمار فى دار السلام ، إن شاء الله قبل  
رحيلنا مباشرة إلى القاهرة .

١/٢١

استيقظنا فى الساعة ، وفى تمام الثامنة كنا قد انتهينا من جميع طرورات  
الصباح ، وأطرونا . تركت زوجتى لتستكمل اعداد الحقائب ، وهبطت حيث  
دفعت الحساب ، وطلبت سيارة أجرة لنقلنا إلى المطار كما طلبت إرسال حمال  
ليأتى بالحقائب من الحجرة . وفى الساعة الثامنة والنصف حضرت السيارة ،

ووصلنا إلى المطار في الساعة إلا عشرة دقائق . انتهت جميع الإجراءات  
ببسر حتى أن الحقالب لم يتم تفقيشها ، وإمام تم تفقيش شخصي خفيف ، وفي  
الساعة العاشرة ، صعدنا إلى الطائرة لكننا لم نطلع في موعدها إذ يبدو أن  
عدد الركاب لم يتطابق مع الكشف ، ولما كانت هنالك خشية من النوار ،  
وقراصنة الجو خاصة في هذه الأيام ، فقد استمر الموظفون المختصون في  
المراجعة أكثر من نصف ساعة ، ومع ذلك لم ينتهوا إلى شيء وأقلمت الطائرة  
بعد موعدها بحوالي الثلاثين دقيقة .

بعد خمسة وأربعين دقيقة وصلنا إلى تشيليكا ، في مالاي ، ووقفنا بها  
نصف ساعة أخرى ثم أقلمت الطائرة إلى دار السلام لنصل إليها في الساعة  
الواحدة والنصف ، بمجرد دخولنا المطار بدأ الفارق واضحاً بينه وبين  
مطار هراري ، في النظافة والمعاملة ، وبشاط الموظفين ، ومعرفةهم لواجباتهم .  
لم تكن قد أخذنا تأشيرة دخول فنية كما أن التأشيرة التي كنا قد أخذناها من  
مصر بطلت باستعمالها ، وكان علينا بالتالي أن نأخذ التأشيرتين في المطار  
لزوجتي ، ولي . طلب مني اضابط المختص أن ادفع مبلغ خمسين شللاً نظير  
التأشيرتين ، ولما لم تكن معي نقود تزامنية فإني استعملته لأذهب إلى البنك ؛  
واستبدل بعض الدولارات . لكنه قال أنه لا داعي لذلك ، وهو الذي سوف  
يقوم بعملية الاستبدال . أعطيته خمسة دولارات . وهو مبلغ من الناحية  
الرسمية أقل مما يستحق ، فسألت إن لم يكن معي ورقة من فئة أكبر فآخرته  
أن معي ورقة من فئة مائة دولار . فسأل إن لم يكن معي من فئة الخمسين  
فأجبت بالنفي . وهناك كتب الإيصال بالشللات . طبعاً وأعطانا التأشيرتين  
اللازميتين .

عندما خرجنا أخبرنا سائق السيارة الاجرة أن قيمة توصيلنا إلى فندق

كليمنجارو حيث حجزنا ، هي مائتان وخمسون شلما ، ولما أخبرته اني كنت في دار السلام منذ أسبوعين ، وأب مائتان فقط قال إنها ارتفعت ، وقلت له إنه كاذب لكنني سأدفع فأتسم وقاد سيارته . في الفندق طلبت الحجرة التي حجزتها ، ثم ذلك كما طلبت الحقيقيةين اللتين تركتهما وديعة ، وجاء الخال بها . صعدنا إلى حجرتنا وفوجئنا بعدم وجود المياه ، ولما سألنا قالوا إن هناك اصلاحا يجرى ومن فصل الله أن المياه عادت بعد حوالى الساعتين وال نصف . تركت زوجتي في الحجرة ، وذهبت إلى مكتب شركة مصر للطيران لأؤكد الحجز لها كر ؛ ولم أجد لا السيد / مصطفى مدح العرع ولا السيد شوقي المدير المالي ، ولكن الموظف المختص أكد أن الحجز قد تم ، وعدت إلى الفندق لأقضى فيه بقية اليوم .

١/٢٢

هذا هو اليوم الأخير في الرحلة والمفروض إن شاء الله أن تستقل طائرة شركة مصر للطيران إلى تنجك من مطار دار السلام في الساعة الثانية عشرة مساء ، ومعنى هذا أن نكون في المطار في الساعة العاشرة مساء ، وأن نترك الفندق في التاسعة والنصف على أقصى تقدير .

في الصباح تناولنا إفطارا شهيا مكونا من عصير الالاناس والفواكه الالاناس والموز ، ولبنائى ثم البيض والزبد ، والمربى والتوست وأخيرا الشاى ، والقهوة . وفندق كليمنجارو يقدم لك العصير والفواكه في مأدبة مفتوحة ولك أن تأخذ ما تشاء مرة واثنين أو أكثر إن أردت ، وأية كمية ترغبها في كل مرة ، وكذلك الحال بالنسبة للشاى والقهوة والسكر .

بعد الإفطار أكملت زوجتي بمصاحبتى ، مشرواها ثم أهدتها إلى الفندق وذهبت إلى مكتب شركة مصر للطيران . ولم أجد السيد مصطفى أو السيد شوقي إذ أن الطائرة تصل اليوم من القاهرة وكانا في استقبالها في المطار . هدت إلى الفندق وكان الجو معتدلا ، إن كانت الرطوبة شديدة لكن نسمة من الهواء تخفض من حدتها .

مكننا في الفندق إلى الساعة التاسعة والنصف ، ثم اكترينا سيارة إلى المطار ، هناك قابلنا السيد رجائي ، وأكرمنا ، لاشك بناء على أوامر السيد مصطفى ، وشوقي ، فكنت من أوائل الذين مروا إلى الجرك ، وكان التفشي فيه شديداً ، وإن كان الموطب رقيقاً في المطار تقابلت مع الأستاذ إبراهيم عبد المعطي الذي كان موجوداً لوداع بعض موظفي السفارة ، وكان على عهدنا به من الرقة ، وصحبنا إلى قاعة كبار الزوار ، وهي قاعة مسيحة بها تسكييف لم نشعر إلا بجلبة حركه دون أن يكون له أى تأثير في تغيير الجو . وتعرفنا على بعض الإخوة من أعضاء السفارة وزوجاتهم .

في الساعة اثنتي عشرة والنصف ، أفلعت الطائرة متوجهة إلى القاهرة لقطع المسافة في ست ساعات ، وتصل في الخامسة والنصف صباحاً مع ملاحظة أن المارق في الساعة بين تنزانيا ، وهو هو ساعة تماماً . عندما نزلنا من الطائرة كان الجو شديد البرودة ، والرياح قوية ، فالتت زوجتي معطفها ، ودخلنا إلى قاعة المطار ، ولم يكن بها تسكييف . أثناء انتظارنا لوصول الحقائق ، توجهت ومعى جهاز الميديو ، وآلة التصوير ، إلى أحد مفتشي الجمارك وذلك لتبني في الأوراق وصول الجهازين حتى يمكننى أن أسترد نقودى التى أخذتها من الجمارك كإمانة ، وفعلنا ذلك .

سألت السيد المفتش عن كيفية استردادى لمبالغ الرسوم الامانة فأشاره بالذهاب إلى الخزنة لاستردادها ، ولما لم تسكن الحقائق قد وردت بعد فإننى توجهت إلى هناك ، لكن السيد الموظف أخبرنى أنى يجب على الذهاب إلى إدارة الجمارك في مدينة نصر . حينما عدت تعجب السيد مفتش الجمارك من هذا ، واتصل تليفونيا برئيسه الذى قال إنه يمكن صرف المبالغ من الخزنة في الفصالة رقم واحد ، ثم حينما خاطبه السيد موظف الخزنة ، عاد وأنكر مؤكداً وجوب ذهابى إلى مدينة نصر .

في هذه الأثناء بدأ وصول الحفائب ، ومما يؤسف له أنني رأيت كثيراً منها مفتوحاً ، وتلقى بإهمال شديد ، كما أنني رأيت بعض الملابس ملقاة على السير الجليدي ، دون حفاقيب ، وأخذها أحد حمالى المطار ، لولا أن أحد الموظفين استوقفه وسأله إلى أين يأخذها فأجاب بأنه سيميدها حيث أن أحدًا لم يتقدم لاسحبها ، وحينما أعاد الموظف سؤاله إلى أين سيميدها لم يتمكن من الإجابة . حدث كل هذا أمام بعض السواح الأجانب الذين أبدوا قلقاً شديداً على حفاقيبهم ، ومعلماء جامعتي إحداهما وهى مفتوحة ، وشاهدت السائح يقرب فيها خشية ضياع شيء من محتوياتها ... بما زاد الطين بلة إنه يبدو أن طائرة مصرية كانت قد وصلت من العراق ، ووصلت الحفائب أيضاً في سير آخر ، لكن الأمر اختلط على ركاب الطائرة الواردة من العراق ، بل إنه اختلط علينا ، حتى أنني حينما تأخر وصول بعض حقائقنا ذهبت إلى حيث حفاقيب العراق لأبحث عنها . هل أى الأحوال من الحادث بسلام بفضل الله، ووصالنا حقائقنا سليمة لم تفتح .

...

هل انتهت الرحلة ؟ كلا إذ أنى بقى هل أن أتعهد مبلغ الألف جنيهًا التي دفعتمها أمائنه رسوم . بدأت رحلة هذاب أخرى ، لقد مروت اثنتى عشرة مرة في رحلتى هذه بهيبارك خمس دول ، هذا عدا مطار القاهرة ، ولم يوقفنى أحد للسؤال من الفيديو . أجل سئلت هما أحمل ، وحينما كنت أجيب بأها للتصوير فيديو لم يحتاج الأمر إلى تأمين ، أو تأشيرة خاصة ؛ أو أى شيء ، أما في مصر بلدى ، فلا شك أن صالحي الخزانة يجب أن يراعى . من يدري فربما كنت أهمل على تهريب الفيديو ، والكاميرا ؟ إن كل مصرى مفترض فيه هذا ، ولا يكفى بالتأشيرة مثلاً على جواز سفره ، وإنما هو الحرص على ما فى الدولة فى يدري ، ربما أعرب بالفيديو وآلة التصوير ؛ ولا أعود إلى

على أى الأحوال ذهبت فى اليوم التالى ، إلى مدينة نصر ، وكانوا رقيقين ومتفهمين الموضوع وإن اعتذروا مقررين وجوب أن أذهب إلى قرية البضائع المهمة فى كسفرية حيث أن إدارة الحسابات هناك وذلك لاستخراج استمارة ٥٥ ع ح ، وقالوا إن هذه هى التعليمات ، ولا مناص عما . وحينما سألت عما إذا كانت التعليمات تنص على أن تكون إدارة الحسابات فى كسفرية بعيداً عن الإدارة العامة فوبلت بالصمت . لم يكن لدى الوقت ، لهذا اضطررت أن أذهب فى اليوم التالى إلى قرية البضائع المهمة وهى على بعد حوالى كيلومتر بعد المطار الحالى ، وهناك تلقى منى أحد حضرات موظفى الحسابات المستندات ، وبعد أن أطلع عليها ذكر أن السيد موظف الجرك لم يكتب إذا كنت قد أخرجت الفيديو للإصلاح أو للاستعمال الشخصى ، وأنه بناء على ذلك ، وبناء على التعليمات سوف يعتبره للإصلاح ، وهذا صالح الخزانة إذ أن عليه رسوما قدرها ٢٣ . - أى ٢٣٠ جنيه .

رفضت ذلك فأشار على بأن أعود إلى مطار القاهرة إلى السيد / مدير تمثيل الركاب فى الصالة رقم واحد ليؤشروا بآلة التصوير والفيديو إنما كانا الاستعمال الشخصى ذهبت إلى الصالة رقم واحد حيث قال لى الجندى المعين على المدخل ، إن على أن أستخرج تصريحاً لإمكان الدخول . عدت إلى المباحث ، واستخرجت التصريح المطلوب وهدت لأقبال السيد المدير وذكرت له الوقائع فقال إنه سيحول الموضوع إلى السيد المفتش الذى سبق أن أشر على الورقة ، إذ أنه لا يستطيع على مسئوليته أن يكتب أن الفيديو لم يخرج للإصلاح . سألته إذا كان هو أو السيد المفتش يفهمان فيما إذا كان الفيديو به عيب ، وحينما أجاب بالنفى قال إنه يعتمد على الإقرار الشخصى فطلبت منه أن يأخذ الآن رفض ، وحاولت المناقشة ذاكراً أن البلاد التى ذهبت

إليها لا يأخذ المرء فيها آلات الإصلاح ، والعكس هو الصحيح ، مع هذا أصر على موقفه .

هدت إلى اصاله رقم اثنين حيث كان من حسن حظي أن تقابلت مع السيد المفتش وكان كريماً إلى درجة أن تكرني ، وأثر على المستند بأن العيديو وآلة التصوير إنما خرجا للاستعمال الشخصي والسياسة . أخذت المستند وعدت إلى السيد موظف الحسابات فطلب مني العودة بعد يومين ، أو ثلاثة لاستلام استمارة الصرف أو الذهاب بعد أسبوع أو أكثر رأساً إلى مدينة نصر بصرفها ، فرجوته أن يمدد لي موعداً لاستلامها منه وحدث ذلك .

في الموعد المحدد لم تمكن الاستمارة قد تمت ، واضطرت أن أصحب أحد الموظفين إلى مكاني بعد أكثر من كيلو متر ليوقع عليها السيد المدير ، ثم أخذتها وانصرفت .

في اليوم التالي ذهبت بالاستمارة إلى الإدارة العامة في مدينة نصر ، وهناك أخبرني الموظفة المختصة أن كشف الحسابات لم يصل بعد ولم يراجع وأنه يلزم ذلك للتأشير على الاستمارة . مع - ح - بالصرف ووعدني أن تنتهي من ذلك بعد ثلاثة أيام .

وقد كان ، ذهبت يوم الأربعاء الموافق الثاني من فبراير ١٩٨٣ واستلمت الشيك ناقصاً ستون مائياً .

لكنني حدثت الله على أن حق الخزانة لم يضع ونخطت أعصابي وكنت أفقد كل أثر حميد للرحلة . وبقي سؤال ماذا لو لم أكن محامياً ؟ ماذا لو لم أتابع الموضوع في كل خطوة ؟ وماذا لو كنت أجنبيّاً مثلاً ؟ أو رجلاً بسيطاً لا أستطيع التفاهم بطريقة مجدية ؟ وماذا لو لم أكن حسن الحظ ويوافق مفتش الجمر على إضافة أن الفيديو والكاميرا كانا للاستعمال الشخصي وليس الإصلاح ؟



# الجمهورية الصومالية

تقع الصومال بين خطى عرض  $13^{\circ}$  شمالا ،  $2^{\circ}$  جنوبا ، وبذلك يقع الجزء الأعظم منها في المنطقة الاستوائية ، ومع ذلك ، ونظرا لامتدادها على طول الشاطئ الشرقي لإفريقيا لمسافة تصل إلى ثلاثة آلاف وستمائة كيلو مترا ، فإن الجو في معظم مناطقها معتدل .

وليس بها سوى نهران يجريان بصفة دائمة هما هرر وجوبا وشبيلي وهما في الجنوب أما سائر أنهارها فوسمية لا تجري إلا أيام الأمطار .

مساحتها ٢٧١.٠٠٠ ميلا مربعا ، أو ٦٢٧.٠٠٠ كيلو مترا مربعا ، ويحدها من الشمال جيبوتي ، وهي مستعمرة فرنسية وكانت أصلا جزءا من الصومال إذ أن سكانها من قبائل عيسى والدافله ، والاولون صوماليون ، والآخرين يمتون بصلة قرابة قوية للصوماليين . يحدها أيضا من الشمال ، والشمال الغربي ، الحبشة ومن الجنوب ، والجنوب الغربي كينيا ، ومن الشرق المحيط الهندي .

وليست منطقة جيبوتي هي الوحيدة المقطعة من الصومال فقد اقتطعت انجلترا جزءا كبيرا في الجنوب وضمتها إلى كينيا ، كما اقتطعت الحبشة منطقة هرر التي تمتد من نهر أواش شمالا إلى حدود كينيا جنوبا ، ولا يزال النزاع قائما بين البلدين بخصوص هذه المنطقة .

والجو صومالي في الصومال تتحكم فيه الرياح الموسمية ، بالإضافة إلى التواحي الجغرافية ، فتمب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية في الشهور بين

# الصبو مائل



مايو وأكتوبر ، ثم تهب الرياح الموسمية الشمالية الشرقية في الشهور بين  
نوفمبر وأبريل ، وفيما بين الميعادين توجد فترتان تمتد كل منهما أربعين يوما  
ويطلق عليهما موسم الهدوء .

ويلاحظ الجو بصفة عامة فيما يلي :

من يناير إلى أبريل	فترة جفاف .
من مايو إلى يونيو	موسم سقوط أمطار .
من يوليو إلى سبتمبر	جفاف وطقس بارد نسبياً .
من أكتوبر إلى ديسمبر	أمطار خفيفة ( حيس ) .

ويلاحظ أنه حينما يكون الجو في الشمال حاراً ، يكون الجنوب  
بارداً نسبياً .

وتاريخ الصومال يكاد أن يواكب تاريخ مصر ، فقد كانت معروفة  
لدى الفراعنة باسم بلاد بونت وكانوا يستوردون منها البخور ، والحيوانات  
وغيرها ، ولا بد أنها كانت وقتذاك أكثر أمطاراً عما هي الآن . وليست  
الرسومات التي تركتها لنا حشيشوت عن أسطوطها الذي ذهب إلى بلاد  
بونت بغريبة على أي مصري ، كما أن اتصالها بالعرب خاصة اليمنيين لم ينقطع  
في أي وقت من الأوقات . وحينما ظهر الإسلام هاجرت جماعة من المسلمين  
إلى سواحل مادن واستقروا بها ، وتزوجوا من الأهالي ، ولم يلبث الإسلام  
أن انتشر بين كل الصوماليين كما أنشأت مدن ممالك على كل منها سلطان مسلم  
وربما كان أشهرها زيلع وبربرة ومقديشيو .

وحينما احتل البرتغاليون الشاطئ الشرقي لإفريقيا احتلوا معه شواطئ  
الصومال حتى أجلاهم عنها العماليون ، ومن ثم خضعت لحكم سلطان عمان ثم  
سلطان زنجبار من العائلة البوسعيدية . وعما يؤسف له أن سلاطين زنجبار

كانوا ضمهاء فازتموا في أحضان الأوربيين، خاصة إنجلترا وبالتالى كان نفوذها، خاصة ابتداء من سنة ١٨٢٧ كبيراً في الصومال . وقد انتهزت إنجلترا الفرصة وعقدت عدة معاهدات مع الزعماء والشيخوخ ابتداء من سنة ١٨٨١ . وفي سنة ١٨٩٧ عقدت بريطانيا معاهدة مع الحبشة في عهد الإمبراطور منليك سلمت بموجبها جزءاً من الصومال إليها ، أما إيطاليا فقد باع لها سلطان زنجبار بعض أراضى من الصومال ، وما لبثت أن أعلنت في أواخر سنة ١٨٨٩ بأنها أنشأت بحجة إيطالية على الساحل الجنوبي للصومال كما تفاوضت مع رؤساء المناطق الداخلية ليضعوا أنفسهم تحت حمايتها .

رفض الصوماليون أن تقسم بلادهم دون أى اعتبار لشعورهم ، وقاموا بمسدة ثورات ربما كان أهمها تلك التى تزعمها الشيخ محمد عبد الله حسن ، مهدي الصومال ، والمعروفة باسم ثورة الدراويش تشبهاً بثورة السودان . وقد قاد المهدي الثورة منذ سنة ١٨٩٩ واستمر يحارب الانجليز، والإحيانش، والإيطاليين بل وحتى بعض بى جلده اثني وعشرين عاماً، ولم يهزم حتى قتلته الطائرات البريطانية في إحدى غاراتها سنة ١٩٢١ .

خلال الحرب العالمية الثانية احتلت إنجلترا الجزء الذى كانت إيطاليا تسيطر عليه، وأعلن فيها في سنة ١٩٤١ حكم إدارى عسكري بريطاني واستمرت ثورات الشعب، وقلالة مطالب بالحرية والاستقلال وكانت نتيجة ذلك أن أوفدت هيئة الأمم المتحدة لجنة لتقصي الحقائق في الصومال ، كان من نتيجةها أنه في الحادى والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٤٩ صدقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على وضع البلاد تحت وصاية الأمم المتحدة لمدة عشرة سنوات ووسعت إيطاليا لتكون هي الدولة الوصية .

أخيراً أجبرت بريطانيا من ناحية أخرى على منح المنطقة التى كانت تحتها

استقلالها في ٢٦ يونيو سنة ١٩٦٠ وفي أول يوليو من السنة نفسها ، أي بعد خمسة أيام فقط أعلن الاتحاد بين الصومالين البريطاني والإيطالي .

٢٢ / ٢ / ١٩٨٣ :

لم أتمكن ، كما ذكرت ، من السفر إلى الصومال في رحلتي السابقة نظرا لصعوبات الطيران . ولما كانت الصومال بلدا عربيا قريبة إلى قلبي ، وهي بالإضافة إلى هذا تكمّل البلاد التي زرتها في شرق أفريقيا ، لهذا اقترعت أن أذهب إليها في رحلة خاصة . توجهت إلى إحدى الشركات السياحية وطلبت من الموظفة المختصة أن تحجز لزوجتي ، ولى تذكرتين إلى الصومال في الثاني والعشرين من فبراير .

كانت الطائرة التي سوف نستقلها تقلع في الخامسة والرابع صباحا على أن تتواجد في المطار من الساعة الثانية والنصف ، ومعنى هذا أنه من الميسر علينا أن ننام في المساء . وهذا ما حدث ، فبالرغم من محاولتنا النوم ولو لساعتين ، لم نستطع ، وما أن حلت الساعة الثالثة إلا ربعا حتى كنا في المطار فعلا .

تمت الإجراءات الجبركية بسهولة ، وفي هذه المرة لم آخذ آلة تصوير الفيديو معي فقد كنت في ما لقيت من تعب من الإجراءات الجبركية ، واسترداد أمانة الرسوم في المرة السابقة . وكان الجو شديد البرودة في مصر ، وقد ارتديت لذلك البلوفر الصوفى ، ومعطف المطر كما فعلت زوجتي ، حتى هلفنا إلى الطائرة وهي مكيفة الهواء غلغلنا المعطمين . كانت الطائرة غير مزدحمة ، وهي نوع ٧٠٧ لهذا أمكننى أن أستقر على المقاعد الخالية إلى جوارنا ، وتركنا لزوجتي الثلاثة مقاعد حتى تستطيع أن تستريح ولو لبضعة ساعات .

تمكنت أنا من النوم بعد دقائق من إقلاع الطائرة ، في حين لم يوات

النوم زوجتي فظلت تختطف لحظات بين المينة والآخرى ، وفي الساعة الثامنة صباحا أيقظتنا المضيفة لتناول الإفطار ... في الساعة التاسعة والخمسين بتوقيت القاهرة ، والعائرة والخمسين بتوقيت الصومال ، وصلنا إلى مطار مقديشيو ، وأذاع علينا قائد الطائرة أن درجة الحرارة ٢٩ مئوية . خلعت البلوفر ، ووضعته في حقيبة اليد ، وكذلك فعلت زوجتي ، ومع هذا فإننا بمجرد خروجنا من باب الطائرة شعرنا بلفحة شديدة من الحرارة . كان الهواء قويا لكن الحرارة المرتفعة ، خاصة في الشمس ، أضاعت كل أثر له ، بل لعلنا شعرنا بوطأة الحرارة أكثر .

ومطار مقديشيو صغير الحجم جدا لا يتناسب مطلقا مع ما نلذ به للديانة من أهمية ، وتاريخ طويل . بالإضافة إلى هذا فإن المطار غير نظيف ، وغير منظم وتتم إجراءات الحواريات ، والجارك والنقد جميعا في صالة واحدة ... أما إجراءات الحجر الصحي فبالرغم من أنني لاحظت وجود مكتب إلا أنني لم أر موظفا جالسا عليه ، ولا سألني أحد عن بطاقة الحجر الصحي . أتمنا الاجراءات ولم تأخذ وقتا طويلا . ثم خرجنا ، واكتمر بنا سيرة أجرة وقت اشترط علينا السائق أن ندفع مائتين وأربعين شلما لكي يقفنا إلى فندق جوانا . ولما كنت لا أعلم شيئا عن الأسعار ، ولا توجد قائمة بها في المطار أو خارجه ، فقد واثقت ، ندعيت بعد ذلك أن الأجرة لا تزيد على ثلث هذا المبلغ ، لكن يبدو أن السائح دائما لقمة ساعة خاصة ساعة وصوله .

والعملة السائدة في الصومال هي الشلن الصومالي ، وهو يساوي مائة سنت ، وسعره الرسمي هو خمسة عشر شلما للدولار ، وهذا قليل لي إن سعر الدولار في السوق السود ما بين خمسة وعشرين وللاثن شلما أي زهاء الضعف ، أو أقل قليلا .

والانطباع الاول لزائر مقديشيو أنها تشابه الخرطوم إلى حد بعيد،  
غشوارها واسعة جدا جيدة الرصف ، ومبانيها لا يزيد معظمها الساق على  
طابق واحد ، والأشجار كثيرة على جانبي الطريق حماية من الشمس لكن  
هذا الانطباع ما يلبث أن يزول ، فالمدينة أكثر تنظيماً من الخرطوم، والحركة  
التجارية فيها أكبر ، وإن لم تكن في مثل الحركة في أم درمان ، والطرق  
في المساء أكثر ازدحاماً ، ولم أر هذه الظاهرة في معظم العواصم إلا في يقيّة التي  
زرتها حيث تخف الحركة مساء بشكل ملحوظ حتى تكاد أن تنعدم لا لعدم  
الآمان في كيبالا ، وبوجامبورا ، ونيروبي أو لانعدام ، أو ندرة وسائل الترفيه  
كما في ماجوتو ، وكيجالي أو لكل من السبيين كما في أديس أبابا.

وصلنا إلى فندق جوبا ولم أكن قد حجزت جرياً على عادي ، لكنني لم أجد  
صعوبة في أن أجد حجرة ، وأعطينا حجرة لطيفة بها تكييف هواء ، ولطرفة  
واسعة تطل على الميناء والمحيط ، وتقع في الطابق الرابع . ولك أن تصور المنظر  
بعد أن ذكرت أن سائر المباني لا تزيد على طابق واحد أو اثنين ، على أكثر  
تقدير ، فقد لاح لنا أما على قمة جبل انظر إلى المدينة تحته .

تركنا زوجتي في الحجرة لأنها أرادت أن تستريح إذ كانت متعبة جداً  
من أثر عدم نومها في الليلة الماضية ، واكتريت سيارة أجرة لنقلني إلى مصلحة  
السياحة لأرتب رحلتنا . لدرجة الثانية انشغل على السائق أن أدفع ستير  
شلنا ، أو ما يساوي أربعة دولارات وقبيل . أقلتى السيارة عبر طرقات  
المدينة ، والقيادة على الجهة اليمنى ، حتى وصلنا إلى ميدان صغير ، ووقف أمام  
مبنى من طابق أرضي واحد ، كتب عليه وزارة السياحة . دخلت من الباب  
ولم تكن توجد حراسة ، ووجدت لافتة على أحد أبواب الحجرات مكتوب  
عليها الوزير . ولم أجد أحداً في أول حجرة صادفتها ، وإن وجدت بعض

الموظفين ، والموظفات في حجرة ملاصقة لها ، وحينما دخلت أسأل عن استعلامات السياحة قابلني شاب في العقد الرابع من عمره ذكر أنه مدير السياحة ، وطلب مني أن أصحبه إلى مكتبه ، وهو بعد ثلاث أربع حجرات من حجرة الوزير .

لي هنا وقفة . لأنني حينما كنت في الخرطوم لم أشعر بأني انتقلت من مصر ، وقد تولاني الشعور نفسه وأنا في مقديشيو ، والكروم نفسه ، ودماثة الخلق نفسها ، وخروج المرء عن طريقه لمحاولة مساعدة الآخرين ، والبساطة ، والحب في المعاملة ، والترحيب بك خاصة إذا ما علم أنك مصري ، كلما سمعت طبع عليها الشعب المصري ، وطبع عليها الشعب السوداني ، وطبع عليها الشعب الصومالي ، انكر انتظار ، واحكم بنفسك .

قدم لي السيد مدير السياحة كل ما عنده من نشرات سياحية وهي ليست كثيرة ، كان لي خير معونان في انتقاء المناطق التي تستحق أن أذهب إليها ، وحينما سألته عن أسماء شركات سياحية ، أو عما إذا كانت السياحة تتولى بنفسها أعمال السياحة قال معتذراً إن الوزارة لا تقوم حتى الآن بأى نشاط سياحي ، وأنه ليس هنالك سوى شخص واحد ، أو على الأصح شركة بين أحد الأمازي ، وآخر إيطالي الجنسية هما اللذان يقومان بأى نشاط سياحي . اتصل هاتفياً بالشركة ، وبمحادثة مع الشريك الإيطالي ، وهذه المناسبة مناسبة معظم الله ومالعين يتكلمون الإيطالية وهم أيضاً يتكلمون العربية ، وأنت ترى اللافتات التجارية والرسمة مكتوبة باللغتين الصومالية ، والعربية ، وأحياناً بالإيطالية أيضاً . بعد أن وضع الهاتف جانباً أخبرني أنه ، مع أن المساء تجاوزت الواحدة والمشمس في تفاق لعمرة الغداء . إلا أن الرجل ينتظرنى .



سألني إن كان معي سيارة أجرة لتفني ، وحينما أجبته بالنفي إذ أني كنت قد صرفت السيارة التي أتيتم بها ، استأذن ، وخرج قلبلا ثم عاد مشيراً إلى أن أتبعه ، وقال إن من حسن الحظ أن مدير فندق جوباء ، وهو الفندق الذي نزلنا فيه ، موجود ، وأنه تبرع مفضلًا بأن يصحبني في سيارته إلى مقر الشركة . مصحبي السيد مدير السياحة إلى خارج الوزارة حيث رأيت سيارة يقودها رجل قدمني إليه واسمه / السيد عيسى سلوى ، كما كان هنالك رجل آخر يجلس في المقعد الخلفي ، وخرج حينما رأنا ، وقدمني إليه على أنه السيد / محمد إبراهيم رئيس حسابات الفندق ، وكان الأخير يتكلم العربية بلهجة مصرية ، وقد قال إنه قضى سنتين في مصر .

ودعنا السيد مدير السياحة ، وعما يوسف له أني أنسيت اسمه ، وانطلقا في شوارع مقديشيو ، ولم يدخل على المرافقان المتفضلان ببعض الملاحظات عن المباني الهامة في الطريق . بعد حوالي عشرة دقائق توقفت السيارة في ميدان صغير أمام أحد الحوايت ، وقد كتبت عليه شركة السيد عثمان هيدافى لنقل وتغليف البضائع ، ولم يكن هناك ما يشير إلى أن نشاط الشركة يشمل السياحة . تفوقت ، وتخوف الأخوان أن لا يكون هذا هو الخانوت المقصود ؛ ولهذا قال السيد / عيسى إنه سيمتظر في السيارة لحين دخولي الخانوت ، والتأكد منه ، كما تفضل الأخ محمد إبراهيم بأن يصحبني إلى الداخل ، وتحدث مع الأخوة الصوماليين الموجودين في الخانوت ، ثم التفت إلى موكداً أنه هو المكان المقصود . طلب مني أحد الموظفين أن أتبعه إلى الداخل حيث يوجد الشريك الإيطالي ، لينو مارانو ، واستأذن بعد ذلك محمد إبراهيم فشكرته على فضله كما شكرت الأخ عيسى سلوى ، ودخلت إلى حجرة داخلية في الخانوت حيث تقابلت مع السيد مارانو .

تحدثنا عن إمكانيات السياحة فقال إنه يوجد على بعد خمسين كيلو متراً من مقديشيو مكان سياحي لطيف أقامت فيه الشركة مخيمات تستطيع قضاء يومين فيها للاستجمام ، والراحة وصيد السمك ، إن أردنا ، كما أنهم لديهم لاندروفز يقلنا بعد ذلك إلى قسمايو حيث حدائق الحيوان المفتوحة ، وهي منطقة غنية بمختلف أنواع الحيوانات المتوحشة تستطيع قضاء أربعة أو خمسة أيام بها .

لاحظت أنه يتكلم دائماً عن المناطق الجنوبية ولما سألته عن إمكانيات الذهاب إلى الشمال إلى بربرة ، وهجراسة قال إنه لا ينصح بذلك حيث أن الحال مضطربة هناك ، ناقشنا في الاسمار ثم تركته إلى الفندق على أن أعطيه إجابتي النهائية قبل الساعة السادسة مساء .

لم تكن المسافة بعيدة بين الحانوت والفندق ، ولذا فصلت أن أقطعها سيراً على الأقدام لا أعرف على المدينة قليلاً ، وحينما عدت إلى الفندق كانت الساعة قد تجاوزت الثانية والربع ، ووجدت أن زوجتي قد استيقظت ، وجلست قلقة تنتظر ، ومن ثم ذهبنا إلى المطعم ، وتناولنا طعام العشاء ، وهو ليس على مستوى الفندق ، وإن كنت قد سررت جداً وأنا أتناول العاكمة إذ وجدت لديهم البطيخ واسمه عندم حب حب .

حينما صعدنا إلى حجرتنا كانت الساعة تجاوزت الثالثة ، وكنت مرهقاً جداً لأنني لم أكن قد حظيت بفترة كافية من النوم في الليلة السابقة ، وكذلك كانت زوجتي ، لهذا ماكدت أضع رأسي على الفراش حتى استغرقت في نوم هيبق لم أستيقظ منه إلا في الساعة السابعة ، وبهذا فاتني موعد السيد لينو ، وقد حاولت الاتصال به هاتفياً إلا أنني لم أستطع إذ كان من الجبل أن المحاولات قد أغلقت .

تركزت زوجتى ، ونزلت إلى ردهة الفندق ، وهناك رأيت السيد محمد إبراهيم فوفقت أن تحدث معه قليلا ، وأثناء حديثنا جاء شخص إنجليزي وسأله إن كان يوجد فى الفندق بعض السجائر فاعتذر لعدم وجودها ، ولما كنت قد اشتريت سجائرى من الطائرة فقد عرضت على الإنجليزي أن يأخذ علبة فقبلها شاكرًا ، ثم جلسنا نتحدث .

أعلمنى أنه يعمل فى الاستيراد والتصدير ، وأن منطقة نشاطه تشمل دول الخليج العربى ، والصومال ، وجزر الكاريبى ، وإنها أيضاً كانت تشمل أفغانستان ، ودول غرب إفريقيا ... روى لى أن من أطرف ما حدث له أنه كان فى إحدى جزر الكاريبى ، وكان يتناول طعام الإفطار فى حديقة الفندق وطالب أن يتذوق المايجو ، وكان يحسب أن ثمارها موجودة فى مخازن الفندق إلا أنه دهش حينما رأى أحد الصيادين يتسلق إحدى الأشجار ليقتطف منها ثمرتين ويهبط بسرعة ليقدمها له ، وذكر له أنه لا يمكن أن يجتمع بأن الثمار غير طازجة .

تناولنا بعد ذلك طعام العشاء ، وصحبتنا زوجتى وحينما علم الفندق أننا من مصر ، إذ سمعنى أتحدث أنا وزوجتى بالعربية ، بالغ فى إكرامنا حتى أننا قمنا متخمين . وقدم لنا فى نهاية العشاء بعض الفاكهة ، فطلبت زوجتى باباى ، وهى تلك الثمار التى تشابه إلى حد كبير العجور عندنا ، وطلبت بعض الموز ، فقدم لى ثمرتين لم أذق أحلى منهما . ولاحظ أن الصومال هى أكثر البلاد العالم إنتاجا للموز ، كما أن ثمارها أحلى الثمار وهى متوسطة فليست صغيرة الحجم كما أنها ليست كبيرة .

٢٣ / ٢ / ٨٣

تناولنا افطارنا فى الساعة الثامنة ، وما حلت التاسعة حتى كنا قد خرجنا ، زوجتى وأنا ، وسرنا فى المدينة متوجهين إلى الشركة السياحية . هــالك

تقابلنا مع السيد لينو ؛ وانفقنا على أن نقوم في صباح اليوم التالي في التاسعة إلى بحيرة في الجزيرة وهي تبعد حوالى الخمسين كيلو مترا من مقديشيو ، وهي أن نمك هناك يومين ثم نساغر إلى قسمايو لنقضى أربعة أيام ، ونعود في الخامس إلى مقديشيو .

تركنا بعد حوالى الساعة من المناقشة على أن يرسل لنا السيارة في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي ، واتجهنا إلى شركة الطيران الصومالية ولم أكن أعرف أين هي فسألت أحد تجار المحردوات فتفضل الرجل بترك حانوته ، وسار معنا حوالى ثلاثة دقائق ، وأخيرا أشار إلى الشركة فشكرناه على فضله ، وتركناه ليمود إلى حانوته . في شركة الطيران علمت أن الطائرة المتجهة إلى القاهرة تذهب في من الأربعاء في الساعة الثامنة عشرة عند منتصف الليل ، والاحد في الساعة نفسها . وكان معنى هذا أننا يجب أن نكون في مقديشيو يوم الأربعاء التالي وهو نفس يوم العودة من قسمايو . وإذا علم أن المسافة بين المدينتين حوالى ستمائة كيلو مترا أى أنها لا تقطع في أقل من عشرة ساعات ، فإن معنى ذلك أن نقوم في العجر من قسمايو لنصل في المساء إلى مقديشيو ثم نستقل الطائرة لنصل في صباح اليوم التالي ، الخميس إلى القاهرة ، وفي هذا ارتاح شديد جدا علينا .

الخيار الآخر لنا أن نعود إلى مقديشيو يوم الأربعاء لنقيم بها إلى مساء يوم الاحد الذى يليه ، ومعناه أيضا مصروفات إضافية ، وتمطيل دون أى داع . كان يلزم إذا تمديد المواعيد ، ولهذا كان أول ما فعلت أن حجرت تذكرتين في الطائرة المتجهة إلى مصر إن شاء الله يوم الأربعاء أو الخميس على الأصح فجرا . بعد انتهيت من هذا كان على أن أخطب السيد لينو في بل مواعيد رحلتنا ، ولما كنت أرجأت هذا حتى انجول مع زوجتي قليلا

فى المدينة خاصة وان الرجل قال أنه سيأتى الى الفندق فى الغد الساعة التاسعة مع سائق السيارة .

تجولنا قليلا فى وسط المدينة ، وأردنا شراء بعض الأشياء التذكارية لكننا لم نجد شيئا للأسف ما يستحق الشراء ، حتى المصنوعات الخشبية كانت مستوردة من تيرانيا . أثناء تجوالنا داخلنا المتحف القومى ، وكانت الساعة الثانية عشرة ظهرا تماما . فابلنا موظف الاستقبال وهو شخص لطيف وقبل أن المتحف قد أغلق ، لكنه حينما علم أننا من مصر تفضل ، راعاد فتحة ، ومن الطريف أن سائحا آخر ادخل ونحن نتحدث ، وأوضح أنه فرانسى الجنسية ، فقال له الموظف باللغة الإنجليزية إن المتحف مغلق ، لكنه يمكن أن يرافقنا مبالغ فى الكرامة ، بما أثار فى أجمل المشاعر أنى رأيت صورافى المدخل الداخلى للمتحف من رحلة الماسكة حشيشسوت إلى الصومال وهى لفئة تـ صبح إلى أى مدى يعنى الصوماليون يحب مصر ، وعلاقة البلدين المفرقة القدم .

كان المتحف فى الأصل قصر السلطان برغش بن سعيد ، سلطان زنجبار ، حينما كانت الصومال خاضعة لحكمه ، وهو بناء جميل بنى على الطراز العربى حيث تكون الحديقة وسط الدار ، تحيط بها المداخل لتطل عليها من الداخل ، وهو من أجل الابنية العربية الى شاهدها ، وأن يكن صغير الحجم نسبيا كما أنه قريب جدا من البحر ، أما سائر الآثار الموجودة فى المتحف فلا تـ يدهل آثار السلطان برغش . وحينما سألت السيد موظف المتحف عن آثار مهدى للصومال أجاب بأنه يأسف إذ أن الحكومة لم تعتن بأن نجدها ، وهذا شئ مؤسف حقا ، وخاصة إذا عدنا أن المهدى حارب الانجليز — والاطاليين والاحباش ، مجتمعين زهاء اثنين وعشرين عاما متصلة ولم ينته إلا بعد أن قتلت الطائرات البريطانية فى إحدى هجماتها ، وإننى شخصيا أرجو أن تـ تم

الحكومة الحالية بجمع آثاره تخليداً لذكراه ، فهو من أبطال  
الاسلام الممدوحين .

في الساعة الواحدة هدنا إلى الفندق ، وتناولنا طعام الغذاء ثم استرحنا  
قليلاً . حاولت أن اتصل بالسيد لينو لا طلب منه تعديل البرنامج إلا أنه  
قيل لي إنه غير موجود ، فتركت الأمر إلى اليوم التالي .

نزلنا إلى ردهة الفندق ، وجلسنا نحسى القهوة ، وبعد فترة قليلة رأينا  
السيد محمد إبراهيم داخلا . إتجه إلينا حينما رأانا ، وجلس معنا ، وأخذنا  
تحدث عن ذكر يانة في معر فقال لنا إنه قد أجريت له عملية جراحية  
للتجميل ، وأنه ظهر في التلفزيون بين سنتي ١٩٨٨م و ١٩٧٩م ، وفعلنا تذكرت  
أنني شاهدت هذا البرنامج ، وكانت صدفة غريبة حقاً أن نلتقي به . ذكر لنا  
أنه يعمل رئيس حسابات بالفندق ، وسألنا ان كنا نود ان يقدم لنا اية خدمة  
لكننا شكرناه فلم أكن أريد أن اثقل عليه .

بعد أن قضى معنا أكثر من نصف ساعة عرص على أن يصرطحني في  
جولة مسائية لكنني شكرته ، فلم أكن أريد أن اثقل عليه بعد قليل لعند ،  
وتركنا . هنا أود أن أقول شيئاً وهو أنه بما يؤسف له أن الصوماليين يتعاطون  
القات ، وهو النبات المخدر الذي يستعمله اليمنيون بكثرة . مكثنا في  
الردهة نصف ساعة أخرى حتى حُل ميعاد العشاء .

١٩٨٣ / ٢ / ٢٤

في الساعة التاسعة إلا عشرة دقائق كنا قد تناولنا الشاي ، ودفعنا حساب  
الفندق ، ونزلنا الخفاف في الردهة وجلسنا ننتظر السيد لينو . تبين

لسكانب الاستقبال أننا مصريان فخطابنا بالعربية ، وذكروا مقدار حبه  
لمصر ، والمصريين ، وذكرنا أننا نتبادل الاحاسيس منها .

تعدت الساعة التاسعة والنصف قبل أن يحضر ليتو ، واعتذر ذاكرنا أن  
السائق يبحث عن الوقود فهم لا يمنعون أكثر من عشرة لترات في كل محطة .  
هنا ذكرت له رغبتى أن نعدل البرنامج بحيث لا يبقى سوى ليوم واحد في  
التجسس ، وبحيث نعود إلى منديشيو في يوم الثلاثاء ، بدلا من الأربعاء . وافق  
على ذلك ، وتركى قائلا إنه سوف يرسل السائق في الساعة العاشرة لكنه لم  
يحضر ثانية إلا في العاشرة والنصف .

بدأنا السير في الساعة العاشرة وأربعين دقيقة متجهين جنوبا . الجو حار  
جدا ، والشمس شديدة الضياء : كانت السيارة التي خصصت لنا لا تدور ،  
ذلك أن المنطقة التي سذهب إليها ، واسمها الجزيرة ، غير معبدة الطرق ، وكان  
السائق لا يتكلم العربية واسمه مختار ، ومعه شخص آخر اسمه أحمد عيسى عثمان  
قال إنه لدى سوف يصاحبنا لصيد الاسماك .

بدأ الطريق الرئيسى قبل خروجنا من المدينة معبدا ، لكن  
الطرق الجانبية كانت رملية ، كما يوجد طريق رئيسى آخر مستعرض  
مسفلت جيدا ، ولاحظت أن كل المنازل من طابق واحد ، وأن المحلات  
التجارية كثيرة .

هبت نسمة خفيفة تحمل معها بعض الحرارة ، وإن خففت منها حركة  
السيارة ، وشاهدت طريقا مستعرضا آخر مسفلت ، ظهرت الأرض على  
الجانبية رملية جدا ، وصخرية جيرية . بعد حوالي عشرة دقائق تركنا الطريق  
المسفلت ، إلى طريق جانبي رملى ، وتوقف السائق عند أحد المنازل الصغيرة  
لكنه سرعان ما عاد ، وهدانا إلى الطريق المسفلت نسير مع ارتفاع يسير ، ثم  
سارنا طويلا في الطريق المسفلت ، ودخلنا مرة ثانيا في طريق رملى اتفأش على

جانبه المنازل العتيقة ، وتوقفنا قليلا ، ثم عدنا إلى طريق آخر مسفلت ،  
ورأينا فيه الاستاد ، واتخذنا طريقنا مرة ثانية إلى مقديشيو ويبدو أن تلك  
كانت قرية السائق ، وأنه أراد حمل بعض أشياء خاصة لأهله . اتجهنا إلى  
أقرب الطريقين المستعرضين وهو مسفلت ، وكانت الساعة قد اوضحت  
الحادية عشرة ، وما زلنا في مقديشيو نمر على المنازل ، والاكواخ الكثيرة  
وانتدأ الطريق في الانحدار الخفيف ، ثم لارتفاع الطفيف مرة ثانية ،  
ورأينا عربات الجاز عندنا ، تجرها الخيول وعلى أنها تنقل المياه  
للمسكن . للمرة الثالثة تركنا الطريق المسفلت إلى آخر جانبي  
رمني ومررنا بأحدى القرى ، وفيها توقفنا ، وهنا نزل صائد السمك  
وليس السائق ، وقد اوضحت الساعة الحادية عشرة وعشرة دقائق .  
خمس دقائق أخرى ثم عاودنا السير بعد أن جلب الصياد بعض الملابس  
الخاصة . توقفنا مرة رابعة بعد أقل من دقيقتين ، وسكننا عشرة دقائق  
ثم عدنا إلى طريق آخر مسفلت رأيت بعض التراجم على محطات البنزين  
ويبدو أن الأخير في القيام كما قال لي لينوي يعود إلى أن هناك أزمة حقيقية في  
البتروول فهم لا يعطون أية سيارة أكثر من عشرة جالونات ، ومع ذلك  
فالأزمة غير ملحوظة .

عندما وقفنا في المرة الأخيرة تجمع بعض الصبية حول العربية كما هي  
للعادة ... وكان من بينهم صبي وصبيه ، الصبي في حوالي العاشرة من عمره  
واسمه ادريس حسين علي ، والصبيه في نحو العمر نفسه ، واسمها فردوس  
محمد . ولم يكن أيهما يتكلم العربية ، فسألت الصبي إن كان حادئا بعض القرآن  
فأجاب بالإيجاب ، وتبى الفاتحة ، لكنه أخطأ في سورة الضحى ، وكذلك التحيات .



أما الصبية فلم تكن تعرف شيئاً ، وأرجو أن يكون هذا اللقاء الصغير حافزاً لها على أن يتعلمها العربية ، وتلاوة القرآن

في الساعة الحادية عشر والنصف رأينا المحيط الهندي عند نهاية المطار من الجهة الجنوبية ، وكما على الشاطئ - في الطريق من الاسكندرية إلى مرسى مطروح توجد اشجار التين ، واسمة تين أيضا بالصومالى .

سارنا في طريق مسفلت يوازي المحيط ، ومررنا بمسكن للجيش الصومالى في بلدة اسمها حلامه ، ومحاذاة المحيط بحرك الهواء ، وخفت حدة الحرارة إلى حد بعيد ، واضحت الجو لطيفا ١ ورأيت نساء الفجر يرين بالحراف ، والماغر ، والشاطئ غير مستور ، وصخري ، وإن وجدت فيه كثبا من الرمال تنمو عليها بعض الأعشاب .

في الساعة الحادية عشرة ، وأربعين دقيقة تركنا الطريق المسفلت لنسير في طريق حجري في محاذاة الشاطئ . وصادفنا الكثير من الابقار وهي تشبه الى حد بعيد الابقار في مصر ، كما مررنا بحجر رمل ناعم .

في الساعة الحادية عشرة وخمسين دقيقة مررنا بمنطقة قال عنها الصائد أنها أول جزيرة ، وهي مجرد ركعة متصلة بالبحر وداخله الى البر وبها جزيرة صغيرة وفيها الكثير من الطيور وترجد بالقرب منها ملاحه .

وقرية الجزيرة نفسها عبارة عن أكواخ من الاخشاب ، والاحجار مبنية بغير نظام وسط كثبان الرمال . وفي جزيرة صغيرة في الخليج يوجد مقام الشيخ حاحي بحسن ، وزيارته في ٢٤ شعبان ، وقال لنا الصائد إن الشيخ رحمة الله كان عمه .

على بعد حوالي كيلو مترين يوجد مطعم ، ولم نستطع أن نتناول به أية

مرطبات حيث أن الكهرباء كانت مقطوعة ، وبالتالي لم تكن الشلالات تعمل . رأينا بعض الطيور التي تشبه البشاروش . لكن رؤوسها سوداء ، وكذلك ذيلها ، أما باقي الجسم وأبيض ، وقال الصائد إن اسمه دلال ، بكسر الدال ، واما الثها .

في الساعة الواحدة إلّا ربعا وصلنا الى منطقة صحراوية بعيدة عن الشاطئ . ونهب عليها ارياح محملة . الاثرية حتى أن الرؤية تتعذر لاكثر من خمسين مترا ، واهم السكان رأس بقرة ، وهو كثير الكشبان الرملية البيضاء الناعمة ، ويرتفع عن سطح البحر نحو الی الشلالين ، أو الأربعين مترا .

كانت الريح ناعمة إلى حد أن اللاندروفر هزئت فيها . اضطررنا إلى إزاحة الرمال حول الإطوانات بالأيدي ، ودفعها ، ومن ثم استمرت في سيرها ، وبعد دقائق عادت الأعشاب تكسو الكشبان .

في الساعة الواحد و عشرة دقائق ، وصلنا إلى مقام الشيخ بكى ، ووصلنا إلى الخيم . وهو يقع في منطقة ترتفع عن سطح البحر نحو الی المائة متر تكسوها أشجار الأكاسيا ، كما تبعد عن المحيط بأكثر من خمسمائة متر . ويتكون من عدة خيام يسع كل منها شخصين ، أو ثلاثة ، كما جهزت أحد الخيام الكبيرة لتحل محل حجرة الطعام ، والخيم الكهربية ، لكن لا توجد مياه ، فهدد يجب أن تنقل من قرية الشيخ حاجي محسن كما أن المون تنقل من مقديشو .

قادنا مختار ، المشرف على الخيم ، إلى خيمة بها ثلاث أسره ، وجهر لنا غراشينا ، واستعملنا الثالث كمنضدة نضع عليها حقائبنا ، واعتذر مختار قائلا : إنه لم يخطر بجهتنا ، وربما أننا الشخصين الوحيدين في المعسكر فإنه لم يعد

غذاء ، وطلب إيماله بعض الوقت فأجبتاه إلى طلبه . قدم لنا بعض عصير  
الجريب فروت المثليج ، ثم تركنا وذهب لإعداد الطعام ولم يمتد منه إلا في  
الساعة الثالثة .

تناولنا الطعام في الخيمة المخصصة ، وكان طعاما شهيأ حقاً إذ أن الرجل  
مختار طبياخ ماهر ، كما لم يفتنا أن ننسى الطعام ببعض الموز . عرض علينا أحد  
الصائد أن يرافقنا في نزهة بحرية ، لكن الهواء كان شديداً كما أننا كنا متعبين  
من آثار السفر فطلبنا منه إرجاعنا إلى صباح الغد . لا يفوتنى هذا أن أقول  
أن خيمة الطعام تقع في أعلى منطقة في الربوة تقريبا ، وأهمي تطل على منظر  
أخاذ من أعالي الأشجار الأكاسيا إلى الشاطئ الأبيض المتراعى الاطراف  
إلى المحيط من ورائه ، وقريبا منه الجزيرة الصغيرة التي يوجد بها ضريح  
الشيخ مكى ؛ والتقطت بعض الصور .

واسترخنا قليلا في خيمتنا ثم تناولنا الشاي في الساعة السادسة تقريبا ،  
وبدأ الليل برخى أستاره ، وأصابت المعسكر الانوار الكهربائية المعلقة  
تداخلها الاجمات ، والأحراش ، والنباتات الشوكية لتكون ظلمات تخفف  
من حدة الامواء ، ونحن جلوس ، كنا نرى ، أو يخيل إلينا أننا نرى  
حيوانا يداف بسرعة من أجمة إلى أخرى مسرعا في الضوء الكهربائي ،  
ثم يختفي بين النباتات القريبة من حمن حظا أيضاً أن الليلة كانت مقمرة  
بما أضفى على المكان سحراً طبيعياً أخاذا . جلسنا نمتبج بالمناظر الجميلة ،  
والسكون الشامل الذي لا يقطعه سوى صوت طائر ليل بين آن وآخره  
وهدير أمواج المحيط فأتينا من بعد . في الساعة التاسعة تناولنا عشاء شهيا  
وعاودنا الجلوس أمام الخيمة حتى آن أوان النوم ، فأوينا إلى الفراش لننام  
نوما عميقا لا يقطعه أصوات مزعجة .

استيفظة في السابعة صباحاً خلافاً لعادة تناول هذا متأخراً جداً بالنسبة لنا لكن يبدو أن الارتحال والسكون ، والحواء النقي ، دفعتنا إلى أن ننام أكثر مما اعتدنا . تناولنا إفطارنا في حدود الثامنة صباحاً ، ووقف عتار المشرف على المعسكر يروي لنا ذكرياته . هو في الحادية والخمسين من عمره ، ودهشت إذ لم أتصوره يتمدى الأربعين ، وهو أب لثمانية أطفال . وهو طباط ماهر جداً ، ويمتلك ماعزتين وبقرة . حينما كان في أوائل الثلاثين من عمره كان يعمل دليلاً للصائدين الأجانب الانجليز والإيطاليين خاصة الذين يرغبون في صيد الأفيال والأسود ، وذات مرة أصاب أحد الإيطاليين أسداً برصاصة بندقيته لكنه لم يقتله ، وهجم الأسد على عتار ، وأنشب أنيابه في كتفه ، ومزق عضلات فخذه بمحالبه ، وحملوه بين الحياة والموت .

كثبت له الحياة ، ولا يوجد في جسده سوى آثار المعركة التي أعنتى أن يربنا إياها ، في المكتف والفخذ . روى أن أيضاً أنه رأى ذات مرة رجلاً مصاباً بالصرع ، في حالة متقدمة منه ، ويئس من شفائه الأطباء . وذهب الرجل إلى طبيب القرية (الساحر) الذي أخذ حافر حمار الوحش ، وبشر مقدمه ، ثم أحرقه مع بعض اللادن ، وأمر الرجل باستنشاق البخار ، واستنشاق الرجل وأبل ... وروى غير ذلك الكثير .

انتبهنا من تناول إفطارنا بعد زهاء الساعة وكانت قد شارفت على التاسعة ، حينما طلبت منه أن يأمر الصائدين لكي نقوم برحلة بحرية ، فطلب من صالح أن يرافقني بالسيارة إلى الشاطئ ، إذ اعتذرت زوجتي عن المجيء . ونحن نهيئ التل رأيت بعض الخنازير البرية على بعد ، وأثرت لإيها لختار فقال لهم بسمونها بالصومالية دونقوا . وسألته إن كانت توجد حيوانات أخرى

فأجاب بأن الغابة تحتوي على بعض البايون ، والضباء ، وابن آوى ، والقدس ،  
وقد رأينا أثناء هبوطنا أحد الحيوانات يشابه القدس إلى حد بعيد ، لكنه  
أكبر منه حجماً ، وأطول ذبلاً .

صحبنا صالماً إلى السيارة وقادها إلى الشاطئ ، وأثناء مرورنا شاهدنا  
الحفازير البرية عن قرب ، والتقطت صورة من مكان قريب لضريح الشيخ  
مكي ، وسط الجزيرة الصغيرة . وقفنا قليلاً عند الشاطئ ، لكن أحمد ،  
الصائد ، كان قد استقل القارب من وقت بعيد ، وخرج إلى المحيط ليصطاد ،  
ولم نر له أثراً ، وعلى هذا عدنا إلى المخيم ، وجلسنا مع زوجتي خارج الخيمة  
نستمع بالهواء النقي ، والسكون الذي تخلله أصوات الطيور المختلفة .

ولا يوافق هنا أن أذكر أنني كنت كثيراً ما أسخط كلامي بالعربية ، إذ  
أسخطهم بالإنجليزية ، والإيطالية وبكلمات عربية قليلة ، وسرعان ما وجدت  
تجاوباً من جميع من بالمسكر . وشيئنا فشيئاً كننا جميعاً نؤكد أن تقتصر على  
الكلام بالعربية . محاولات سقيمة أحياناً ، لكننا ناجحة تماماً في معظم  
الأوقات . حتى العناية الصغيرة ، ويبدو أنها صغرى بذات مختار ، كم سرى  
حينما بادرتها بصباح الخير ، وردت على « صباح النور » . أما نحن فكان  
في بداية الأمر خجلاً من الكلام بالعربية ، ثم في الصباح بادرت بصباح  
الخير ، ثم عدد الأصناف التي سيعدها لنا في الإفطار ... عددها بالعربية  
جميعها ، لكنه حينما بدأ في رواية أقاصيصه ، كان يحاط بين العربية ،  
والإيطالية ، والإنجليزية .

ثمّة ملاحظتان غريبتان ... أولاً أنه لم تظهر حين مجيئنا أية أصباح  
التالي أية سحابة ، وطير ... ، إن كنا لم نر سوى واحدة من تلكها  
عبر عادي ، شنيعة أن غراشات لم تظهر ليلاً من وجود المصايح الكهربيائية  
( ١٢ — سفاري )

وظهرت نهارا بكثرة الفراشات المعروفة لدينا بأى دقيق . لكن لم تظهر فراشات عادية .

مكننا تقطع الوقت فى السير أحيانا ، ولعب الورق أخرى . حتى كانت الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة حينما وصل السيد لينو ، ومعه زوجته وابنه . كانت زوجته سمراء أخطرتنا بأها حبشية ، ومى سيدة جميلة لطيفة ، وكذلك الأولاد . طلبت من السيد لينو ، أن ترحل دورا إلى قسايو حيث أن المسافة تزيد على خمسمائة كيلو مترا ، ومضى هذا أمنا ان نصلها قبل المساء ، وأنا شخصيا ، أكره السفر بالسيارة فى الظلام . بسرعة أعدوا لنا بعض الطعام لأأخذه معنا ، وبقية فى الطريق ، كما أعطونا ثلاثة مياه معدنية مثلجة ، والموز ، والبرتقال فى الساعة لواحدة إلا عشر دقائق ، ودعنا أصحابنا ، مختار المقرئ من المعسكر ، وأحمد الصياد ، وصالح السائق ، وزوجة مختار ، وأولاده ، ولينو وزوجته ، وركبنا سيارة لاسرور أخرى ، وسائقها اسمه حسن ، ثم بدأنا رحلتنا .

بعد خمس دقائق تقريبا قال لنا السائق إنه سيخترق الغابة ، وإن كان الطريق وعرا إلا أنه يوفر لنا أكثر من ثلاثين كيلو مترا . وافقنا على ذلك ، ومن ثم بدأت السيارة تصعد التل مبتعدة عن المحيط ولم نلبث أن دخلنا فى غابة غريبة إذ أنه لا توجد بها سوى النباتات ، والأشجار الشوكية وبعض أشجار الأكاسيا .

نظرا لكثرة الأشواك لم يكن يوجد بالغابة أى نوع من الحيوانات الكبيرة ، وكل ما استطعنا رؤيته هو :

البنس وأصغر أنواع الفيزال ، وهم يسمونه دج دج ، وهو لا يزيد فى الحجم عن الحمل الصغير ، كما أنه يوجد بها ابن آوى ،

وبعض الخنازير البرية الصغيرة الحجم ، وحتى هذه الحيوانات لم نر منها الكثير بالرغم من أننا اخترقنا الغابة من أولها إلى نهايتها . استمر سيرنا في الغابة أكثر من نصف ساعة ، ثم بدأت تظهر علامات تدل على أن الأرض كانت مزروعة غالباً على مياه الأمطار ، وانتهت التلال ، وقلت النباتات الشوكية ، وأشجار الأكاسيا .

في الساعة الواحدة والنصف وصلنا إلى قرية حسنة البناء ، ومنها خرجنا إلى الطريق المسعلة المتجه إلى قسمايو . كان الطريق لا رأس بحالته ، كما لم يكن الجو شديد الحرارة ، لهذا أطلق السائق لسيارته العنان . لم نلبث أن مررنا بقرية ثانية ، ثم تالتة وما تزال الأرض فيها ما يدل على زراعه سابقه ، وإن كانت في الأخيرة قد انخفضت ، كما كثرت الجبال . أخيراً عادت النباتات الشوكية تكسو الأرض على جانبي الطريق وإن طلت الأرض مستوية ، وفي الأفق البعيد شاهدنا كثباناً رملية بما يوحي بوجود صحراء .

توقفنا في الساعة الثانية ، وتناولنا بعض الطعام الذي كان السيد لينو قد أعده لنا ثم استأنفنا الرحيل ، ووصلنا إلى مدينة صغيرة اسمها شلامبوت ، وبها فندق صغير أنيق يدعى سفاري ، ويقع على الطريق الرئيسي مباشرة . هناك توقفنا ، واشترينا بعض الموز بسعر شان للثمرة . وقرأت لافتة تشير إلى أن القرية تبعد عن مدينة بركة بـ ٦٠ كيلومتراً .

تركنا شلامبوت في حدود الساعة الثانية والنصف متجهين جنوباً إلى قسمايو ، وما زالت الأرض جرداء إلا من النباتات الشوكية ، وأشجار الأكاسيا وفي النادر توجد بعض المزروعات الحقلية . بعد حوالي ربع ساعة بدأت تظهر مزارع الموز ، والبرنقال كما لاحظنا وجود بعض فسمائل النخيل ،

وأشجار جوز الهند المنتثرة . استمرت مزارع الموز على طول الطريق حتى وصلنا إلى بلدة جلون ثم قرية بولومارادا ، وبعدما عادت النباتات الشوكية ، والأحراش أغطى الأرض عند قرية برافا توقفنا قليلاً إذ كانت الساعة الرابعة . شربنا بعض المياه المعدنية ، ثم هاودن السير بين الأحراش ، وشاهدنا الكثير من الخنازير البرية الداكوشيرى ، وإن آوى ، ودجاج غيبيا .

رأيت على البوم الكثير من الطيور الضخمة متجمعة بظلمت من السائق حين أن يمدى السير ويقف إلى جانبها مدود حتى لا يزعمها ليكني أستطيع أن ألقط بعض الصور ، وفعلنا توقفنا عند قنطرة تمر من تحتها المياه ، وابتدأت النقط الصور حينما شاهدت على الجانب الآخر من الطريق مسافراً من نوع البشون يتجاوز طولها سبعة أمتار .

كان من الحلى أنه قد دهمته سيارة ، وأنه مات ، ذلك أن العجل كان قد هشم جسمه على مسافة حوالى ثلاثة أرباع المير من رأسه . اتجهت إلى الناحية الأخرى وأخذت له بعض الصور ، وطلبت منى زوجتى أن تحملها معنا فى السيارة لأن جلده فى الواقع كان بديعاً ، فرفضت أولاً لأنه أثقل من أن نستطيع حمله ، السائق وأنا ، وثانياً لأنه يلزم سلعته وتنظيفه وتعليقه ، ونهى امكاليات غير متوفرة لنا ، واضطررنا إلى تركه ، واستأنفنا السير بين تمهيدات زوجتى الأسفة .

فى الساعة السادسة وصلنا إلى بلدة جلب ، مع كسر الجيم ، والسلام ، وتوقف السائق ليتزود بالوقود ، ولإصلاح عيب يسير فى السيارة ، وجلسنا نحن فى الانتظار أثناء انتظارنا شاهدت منظرأ طريفاً . رأيت رجلاً يحملها مسكاً ، ربما فى الحمة الساعة من عمره كان ترجل قد ترك الطريق ، ولعله



خرج من أحد المنازل المتواضعة ، ونحسبه قد انتهى من عمل اليوم ، ويريد منمته الخاصة في مسامرة خلانه ، ما كاد الرجل يعبر الطريق حتى ظهر كبش ماعز كبير تتبعه ثلاث إناث ، وحمل رضيع . توقف الرجل ، وأشاح إلى المكش حتى يعود ، توقف الحيوان ينظر إليه دون أن يتحرك . لوح الرجل بعصاه ، وتراجع الكبش قليلا لكنه لم يتعبد ، وتوقفت الإناث . انحنى الرجل يتحسس الأرض في حركة توحى بأنه يهم بتناول حجر وابتعد المكش وابتعدت الإناث . أراد الرجل أن يكمل مسيرته فعاود الكبش اتباعه ، وسارت الإناث خلفه .

انظر الرجل ورايه وحينما علم أن الحيوانات تتبعه انحنى على الأرض ، وفي هذه المرة تناول فعلا حجراً ورماه فعلا على الكبش . جرى الحيوان بعيداً ، وجرت الإناث تتبعه ثم توقف الحيوان ، وراح ينظر إلى الرجل وتوقف الرجل يشمعه بيديه ، لكن الكبش لم يتحرك من مكانه . من وراء الحيوانات ظهرت امرأة مسنة ؛ اعلمها زوجة الشيخ ، وهدوه انحنى ورفعت الحمل الصغير بين يديها ، وسارت به متجهة إلى المنزل ، ومرعان ما تمعتها إحدى الإناث ، واعلمها أم الصغير ، وترددت الانتار الثانية قليلا ثم ما لبثتا أن هرولتا وراء صاحبتهمما وتوقف الكبش وحيداً وسط الطريق يردد الطرف بين إناثه ثلاثي هجرن ، والرجل المسن ، وأخيراً لم ير من الأمر شيئاً ، فتبع الإناث ، وسار الرجل إلى حال سبيله .

تسنى التمييز ، والاصلاح وعاودنا سيرنا . وأودعنا أن أذكر أننا كنا قد قطعنا حوالى ثمانمائة كيلو متراً ، وأن المرور كان ضعيفاً إلى حد لا يصدق حتى أننا لم نصادف أكثر من خمسين سيارة في الانجاسين . كان الليل قد أسدل ستاره حينما مررنا بخط الاستواء عند قرية سنكوني ، وقد وضعوا

علامة توضح مكانه تماماً وبذلك تكون قد تركنا نصف الكرة الشمالى ،  
واسير الآن فى قسمها الجنوبى .

كان الجو لطيفاً ، وهبت نسمة منعشة ، كما كان القمر بدرأ ، وأطلق السائق  
لسيارته العنان ، وأحسبه قد تعدى المائة ، خاصة وأن الطريق مسفلت جيداً .  
وجمت نظره أكثر من مرة إلى أنه لا داعى لكل هذه العجالة خاصة وأننا  
فى سياحة ، وليس وراءنا أى موعد ، فكان يبطئ قليلاً ثم يعود  
إلى اندفاعه .

ذات مرة ظهر من الطريق فجأة خنزيران بريان ، ولم يستطع السائق أن  
يوقف السيارة فى الوقت المناسب ، فصدمت أحدهما وام تمر عليه عجلاناً .  
لمست أدرى لماذا طلبت منه الوقوف إذ داخلى رغبة سقيمة أن لا أترك  
الخنزير المصاب وسط الطريق حتى لا يكون عرضة لأن تمر عليه عجلات  
سيارات أخرى فربما يكون ما يزال حياً . أنا أعلم الآن أنها رغبة سقيمة  
لأنه من الخطر جداً محاولة مساعدة الحيوان الجريح خاصة وأن هناك زميلاً  
له . والخنزير البرى حيوان قوى جداً رغم صغر حجمه ، وهو أيضاً شديد  
الشراسة . على أى الاحوال توقف السائق ، وهبطت من السيارة لأجد أن  
لا أثر والخنزير فى الطريق . لقد تلقى الصدمة ، ونهض واختفى فى الأدغال .

طلبت من السائق ، وفى هذه المرة بحزم ألا يتمجّل السير ، وحسناً فعلت  
إذ لم نكد تمضى دقائق حتى رأينا فى منتصف الطريق وعلاضخماً ، واقعاً ،  
قد حتمه أنوار السيارة ، فلا يدرى أين يذهب . أطفأ السائق الأنوار ،  
وهرعان ما اختفى الوعل بدوره فى الإحراش .

وصلنا فى الساعة السابعة والنصف إل فندق رابو ، وهو يقع خارج  
مدينة فسمايو بحوالى كيلو مترين أو ثلاثة ، ومبانيه على هيئة فيلات دائرية

بكل منها ثلاث غرف نوم ، وحمامان ، وغرفة استقبال . ومن الممكن أن يكون فندقاً جميلاً ، لولتي بعض العناية بالخدمة : أمرع السائق يتقدمني إلى كاتب الاستقبال وحاطبه بالصومالية ، وبدون أنه كان يطلب منه شيئاً رفضه الموظف ، وأحسب أنني أظلم ماذا كان يطلب .

تدخلت بعد دقائق غاضباً كاتب الاستقبال بالإيجازية سائلاً إذا كانت توجد غرفة لنا ، وأجاب الكاتب بالإيجاب ، وبعد أن انتهينا من إجراءات تسجيل اسمينا أشار إلى فتاة معه وأعطانا بعض المفاتيح .

صحبتنا الفتاة في السيارة وتوجهنا إلى فيلا قريبة فتحتملنا بأحد المفاتيح ، وأنارتها ، وانتقينا إحدى المحركات الثلاث ، وأقفلت حجرة واحدة تاركة الثانية ، وقال السائق إنه سينام فيها . هنا اعتقدت أنني أيقنت بما كان يطلب من كاتب الاستقبال ، أنه كان يطلب لنفسه حجرة على أن يضم الكاتب حاسبنا على حسابنا دون أن يخطرنا ، مع أنني كنت قد دفعت لشركة السياحة القيمة المتمع عليها شاملة أجرة السائق ، وبدل نومه ، وغذائه . وقد أثبتت لي الأحداث فيما بعد صحة هذا الاستنتاج ، . وحينما رفض الكاتب أن يكون شريكاً في سرقة تمهيل السائق على الفتاة لتترك له إحدى المحركات على أن ينسام فيها دون أن يدع شيئاً للفندق ، خاصة وأن الفيلات متباعدة ، ومنفصلة .

بعد أن اغتسلنا ذهبنا إلى غرفة الطعام حوالي الساعة الثامنة والنصف ، وهناك أيضاً لاحظنا أن المبنى المخصص رجب ، وجميل ، وإمكانياته غير محدودة ، لكن الخدمة لا ترقى لأي مستوى ، حتى أن معارض الموائد لم تكن نظيفة . أكلنا أرزاً لا بأس بطعمه ، وطلبت زوجتي السمك كما طلبت أنا لوستر ، جراد البحر ، أو سرطان البحر ، ثم تناولنا قهوين من القهوة ،

وبعد أن اتفهمنا دفعت مائة وسبعين شلماً أو ما يقابل أحد عشر دولاراً تقريباً . ثم توجهنا إلى حجرتنا ، وألقينا جسدنا المهنيك على الفراش وسرعان ما استغرقنا في النوم .

٢ / ٢٦

استيقظنا متأخرين عن هادتنا وكانت الساعة الثامنة حينما توجهت إلى الحمام . من الداعنة شاهدت ثلاث غزالات صغيرات من الفرع المسمى دج دج واسمه بالصومالية سجارو ، ثم سمعت طائراً يفرد وكأنه يعزف تشيداً عسكرياً تاماً ، حتى أن صوته لم يكن منفصلاً كسائر الطيور ، وإنما كان أجشاً ، وكانت دعشة كبيرة حتى أنني حسبت أنني أخطأت السمع ، وأن هذا الصوت ربما يكون صادراً من شخص يحاول أن يعزف تشيداً ؛ لكن الصوت تكرر ، ولم يعد لدى شك فيه ، وقد سألت عن اسم الطائر ، لكن للأسف أنسيته إذ اعتمدت على ذاكرتي ولم أدون .

تناولنا إفطارنا في الساعة التاسعة إلا ربعة ، ودفعنا ستين شلماً أو ما يقابل أربعة دولارات . وفي طريقنا إلى مبنى قاعة الطعام شاهدنا نعاماً ومادبة أليفة التمتط لها بعض الصور ، وهي تتجول في أنحاء الفندق دون أن ترزعج أحداً ، أو يزعجها أحد .

في الساعة التاسعة دفعت مائة وثمانين شلماً أجر مبيتنا أى اثني عشر دولاراً وهو سعر زهيد جداً ، وددت لوائهم رفعة ، ورفعوا معه مستوى أداء الخدمات . حينما استقلت فانورة الفندق سألت الفندق ببساطة ظاهرة عما إذا كان هذا أجر مبيتنا فحسب دون السائق ذاكرأ ، بالبساطة نفسها ، أننا دمننا لشركة السياحة مبلغاً شاملاً جمع المصروفات . هنا تغير وجه الكاتب ، وابتدأ يتكلم بالصومالية بحدة مع السائق ، ووقفت انتظر الإجابة

على سؤالى . أخيراً رأيت كاتب الاستقبال يعطى السائق إستمارة الفندق ليملأها ، ورأيت الأخير يفعل ذلك متضرراً ثم يضع يده فى جيبه ليخرج النقود . أثناء ذلك أكد لى الكاتب الأمين أن ما دفعته هو أجر المبيت الخاص بنا فحسب ، فشكرته ، وسبقت السائق إلى السيارة .

تركنا الفندق إلى جولة فى مدينة قسمايو ، وهى مدينة تبعد عن الفندق حوالى كيلومترين أو ثلاثة ، والمدينة نفسها صغيرة ، ليس فيها سوى ثلاثة شوارع ، أو أربعة مرصوفة ومسفلتة ، أما باقى الطرقات فهى ترابية كما أن مبانيها لا تعلو على طابق أرضى ، وقابل جداً منها يرتفع إلى طابق أو طابقين . بينها وبين مقديشيو خط طيران يعمل مرتين فى الأسبوع ، وإن يمكن شغل مستلم على ما سمعت وتردد فى الشارع الرئيسى بىلى الإدارة والبلدية ، وشركة الطيران ، ومبنى الجوازات والجنسية والمحيط فى هذه المنطقة وآخر بالأسماء خاصة جراد البحر ، اللوبستر ، والجبرى . ولا يكاد أن يكون لها سعر . حيث أنه لا توجد وسائل للنقل ، أو سيارات ثلاجات وقد علمت كذلك أن جراد البحر موجود أيضاً بكثرة فى الشمال ، بربرة . ولا توجد وسائل لتسويقه ، أو حتى لتنظيم صيده بالطرق الحديثة .

قضينا حوالى الثلث ساعة فى التجول فى المدينة . ورأيت كذلك سوقاً ، وكثيرة بناها الإيطاليون حينما كانوا يحتلون البلاد . فى حدود الساعة التاسعة اتجهنا جنوباً ميممين شطر نخيم بمانى ، وهو نخيم داخل الأحراش يبعد عن قسمايو بحوالى المائة وعشرين كيلو متراً . وقد مررنا بعدد عدة كيلو مترات من المدينة بمسكن أقامته شركة أمريكية للتقيب عن البترول وتعمل فيه حفارة كبيرة . ثم مررنا بعدها بمبارة بمطار المدينة الصغيرة . انحرف الطريق إلى داخل الأحراش وهو معبد ، وإن يمكن غير مسفلت

وتخف به من الجالين أشجار الأكاسيا، والنباتات الشوكية كثيرة جداً ولا توجد في الغابة سوى الحيوانات الصغيرة كما ذكرت في العادة الشوكية عند الجزيرة مثل الغزال الصغير، الدج، الدج، الخنازير البرية، الفاكوشيري، وبعض النسائيس، وأنواع من القندس، ودجاج غينيا، وقد رأيناها بكثرة أما الحيوانات الكبيرة الحجم أو الضخمة فهي قليلة جداً، ولا توجد إلا في بعض المناطق المفتوحة التي تقل فيها النباتات الشوكية، أو نندم.

وصلنا إلى قرية صغيرة في الساعة الحادية عشرة إلا ربماً، واسمها بولا حاجي، وأهل هذه البلدة رعاة يعيشون على رعي الإبل والبقر وليس لديهم سوى زراعات يسيرة. هناك سأل السائق عن الطريق إلى المخيم حيث كان قد نسيه، فراقنا حتى في الحادية عشرة من عمره حتى دانا عليه، ورفض أن يأخذ أجراً نقدياً، وطلب بعض السجائر، فأعطيناها له وأستأنفنا سيرنا، من هذه القرية يتغير الطريق ويصبح غير معبد أي مجرد مدق بين الأحراش وكثير ما كانت أفرع الأشجار، أو النباتات الشوكية، تضرب جوانب السيارة.

حينما وصانا إلى المخيم كانت الساعة تقارب الثانية عشرة ظهراً والمخيم نفسه عبارة عن خيم منفصلة لا تزيد عن إحدى عشرة خيمة بكل منها فرشاة، وشماعة الملابس كما يوجد أمامها مقعدان، وإلى جوار كل خيمة مبنى بالخصوص للإغتسال وقضاء الحاجة وبه خزان صغير للمياه، إلا أنه عندما يفرغ وحوض لمسيل الوجه، ومكان الإستحمام وآخر لقضاء الحاجة، والمخيم جميعه مزود بالكهرباء عن طريق آلة ولكن المياه النقية يستوردونها من قسمايو، بالإضافة إلى الخيم وملحقاتها توجد مباني حجرية وهي تمثل في

منى الإدارة وبه مكان لبث صاحب المخيم ، ومبنى لغرفة الطعام ، والثالث للمطبخ ، والمخبز ، ورابع للعاملين .

وبقع المخيم جميعه فى نهاية الاحراش فى مكان مرتفع يطل على جزء داخلى من المحيط إلى جوار قرية الصائدين لا يزيد عدد أكوامها على خمسة اسمها يمان ومنها أخذ المخيم اسمه . ويمتلكه إيطالى يدعى فرانسيسكو بالإشتراك مع الحكومة الصومالية التى منحتها الأرض ، وتسهيلات خاصة بأشتراد الأدوات ، والعدد اللازمة . وبالرغم من هذا المكان النائى المنعزل ، ومن صعوبة الحصول على المواد التموينية ، فإن المكان نظيف ، والخدمة فيه لا بأس بها ، أما الطعام فمطعمه من الأسماك ، وجراد البحر وهو يشتري من قرية الصائدين ، والأحوم والالبان ، ويحصلون عليهما من الأبقار من قرية بولاجاجى . أما سائر السلع فينتقلونها من قسمايو بما فى ذلك الميهاء النقية .

كنّا الثلاثين الوحيدين فى المخيم ، ولهذا جلسنا نتناول طعام الغداء مع صاحبه ، ووفق له فراسى الجنسية يدور أنه سيشركه معه إذ أنه لم يحضر سوى متشهرين وهو يعمل فى المخيم . قدم إلينا فى الغداء صكرونة سباحى ثم أربستر أو جراد البحر ( سرطان البحر ) وكان الطهو جيداً كما كان اللحم أيضاً . أما الحمواكه فقسموا لنا البطيخ وهو نوع من البطيخ النمس لا بأس بطعمه ، وإن كان ما عثدنا فى مصر أحلى منه مذاقا .

بعد الطعام سألتى القندقى إن كنّا نريد التجول فى الغابة وأبدى استعداداً لأن يرسل معنا دليلاً لىكنى رفضت شاكرراً مقررراً أننا سوف نرتاح اليوم ، ونزجل جولاتنا إلى الغد وصحبت زرجتى إلى الخيمة المعدة لنا حيث أقمنا . والواقع أن الحور فى المنطقة جميل جداً كما أن نسمة هواء جافة .

تهب دائماً بالرغم من أن المنجم ، كما ذكرت ، يطل على ما يشبه البحيرة الضحلة الداخلية ، وهو أيضاً قريب من المحيط ، بالإضافة إلى هذا فإنه من البدهي أن السكون تام إذ لا يكاد المرء يسمع سوى أغريد بعض أنواع الطيور البرية ، والبحرية .

في الساعة الخامسة والنصف قدم لنا ندلان الشاي ، وتناولناه أمام الخيمة ، ثم قمنا بجولة في المعسكر لكننا لم نبتعد حيث أن السير في الأحراش قد يكون خطراً ، وربما يفضل المرء طريقة وسط الأشواك الكثيفة . هدنا في حدود الساعة حينما هبط الظلام ، ورأينا أن المنجم مزود ببعض الآلأاب ، كتدس لطاولة البنج نرج ، والبوانج والمدارت ، جلسنا نتحدث مع الإيطالي ، الفرنسي ، مع مقاعد معدة في الحلاء بجوار غرفة الطعام ، ومن القريب أننا لم نجد أي ناموس في المنطقة ، وظننت أن هذا يرجع إلى نسمة الهواء المستمرة ، وحينما سألت كانت الإجابة أنه لا يوجد عندهم ناموس مطبقاً ، حتى في أوقات سكون الهواء .

بعد أن تناولنا طعام العشاء في الساعة . ذهبت زوجتي إلى الخيمة ، وجلسنا ، نحن الثلاثة رجال ، نتحدث عن إمكانيات المنجم . فعلمت أنه لم يبدأ سوى مندسنة ، وأن إمكانياته تشمل صيد الأسماك ، والتزحلق على المياه ، والتجديف ، والسباحة ، وسائر ألأاب المياه ، بالإضافة إلى التزهات الخلوية ، في العادة لمساعدة الحيوانات . وحينما أبدت شكى في وجود حيوانات بأية مجموعة نظراً لوجود الأشواك . أجاب الفرنسي أنه شاهد ثمنين ، وأنه يوجد أيضاً الأسود وان اعترف بأنه لم يشاهدها ، وقال إنه توجد مناطق مفتوحة وسط العابات يوجد بها الذرلان ، وبعض الزراف . سألت عن مناطق المياه التي يمكن أن تشرب منها الحيوانات وأجاب الإيطالي بأنها لا توجد إلا في



مواسم الامطار ، وقال إنه يزعم أن يستخرج المياه الجوفية ، ليكون منها بركة صغيرة تتجمع حولها الحيوانات ، وأيضاً يستغل جزءاً من مياهها ليزرع جزءاً من الأرض يكفي لسد حاجة المخيم من الخضروات ، والفاكهة ، أبدت شكى في أن يفلح هذا في التجناب الحيوانات لأن من المقطوع به أن الأهالي حينها يعلمون بوجود المياه فسوف يردونها بدوابهم ، وماشيئهم ، وبالتالي سوف تفر الحيوانات ، وقرر الإيطالي صحة هذا الاعتراض ، وذكر أنه سوف يتمم مع الحكومة على منع الأهالي ، وإن كنت أشك في ذلك كثيراً خاصة في مواسم الجفاف ... علمت أيضاً في معرض الحديث أن الفراسي ، واهم ، جان بيير ، كان قد أتى إلى الصومال كمصور جوى يعمل في شركة فراسية تقوم بمسح البلاد تمهيداً للحاربة ذبابة النسي تسمى التي ما تزال يوجد بعضها ، وكذلك للحاربة بعض أنواع الطيور الضارة بالمحاصيل .

كان القمر بدرأ والجو رائداً حتى أننا لم نشعر بمضى الوقت ، رامت بنا الجلسة إلى ما بعد منتصف الليل ، وقبل أن نذهب إلى الفراش سألتني الفندق عما إذا كنت أزمع القيام مبكراً في تجوالنا في العابة ، فأجبت بأنى سأقضى الصباح في كتابة ما فاتنى من مذكرات ، وأنا سوف نقوم بالجولة بعد القيلولة واتفقنا على أن يعد لنا الدليل في الساعة الرابعة مساء .

٢ / ٢٧

استيقظت متأخراً ، فقد تمت يوماً عظيماً ، وتناولنا افطارنا في التاسعة ، ولم نتحرك في الصباح إذ جلست أكتب مذكراتى بينما استعانت زوجتى بالقراءة على قطع الوقت قبل الظهر . وصلنا إلى المخيم في وقت متأخر بحاجة من اخواننا للصومانيين يصحبهم رجل أمريكي كما هو رأياء في فندق واهو في مسايير ، وحينما ذهبنا إلى غرفه لطعم تعرف عليهم ، وجلسنا جميعاً .

قدم الفندق لنا مكرونة في الفرن باللحم ، وكانت لذيذة الطعم الى حد كبير ، ثم قدم طبقاً من اللحم والبطاطس ، لكن الأمريكى طلب جراراً البحر ، لوستر ، فقدمت له واحدة ضخمة ملأت صحناً مستطيلاً ، وزادت عليه . حينما انتهينا من الطعام استأذنا من الجماعة ، وذهبنا الى مخيمنا حتى نستريح قليلاً قبل أن نستقل السيارة الى العابة .

في الساعة الرابعة تماماً كانت السيارة معدة، ومعهما دليل صومالى مسن ، واتخذنا سبيلنا اولاً في الطريق العادى ، ثم ما لبثنا ان انحرقنا الى طريق جانبى دخل بنا وسط الاحراش . هنا اتضح لى انه توجد حقيقة بعض المناطق الممتوحة التى ينمو فيها العشب ، وإن كان أصفر اللون قصيراً إذ كنا في نهاية موسم الجفاف . استمر سبيلنا حوالى عشرة دقائق دون أن نرى سوى الدج دج ، وبعض القنادس ، ثم لهما على البعد بعض الغزلان التى بدت هزيلة الى حد كبير طويلة الرقبة سريعة العدو .

حينما لمحتنا الغزلان على البعد أطلقت لسيقانها الريح، وهى خفيفة جداً ، ووثابة ، كذلك حدث هذا مع مجموعة أخرى منها رأيناها من مسافة بعيدة أيضاً فدانى على أنها وحشية لم ترالكثير من السيارات ، فلا تأمن لها أن تقترب . رأينا بعد ذلك بعض الخنازير المنوحشة ، فاكوشيرى، وهى تنوارى بين النباتات ، والاحراش ثم تفر مذهورة عند اقتراب السيارة لكننا عموماً لم نر أية حيوانات كبيرة جديدة بالذكر خلال ساعتين قضيناهما فى الغابة، إلا أننا رأينا بقايا غزال كبير مقتول حديثاً ولم تحف دماؤه بعد . توقفنا عنده وحاول الدليل أن يفتى آثار الوحش الذى قتله وقد ذكر أنه فهد وربما فهدان ، وبعد مسافة اختفت الآثار وسط الاحراش لم نستطع الدخول فيها ، وبذلك عدنا الى المخيم وقد آمدت الساعة السادسة .

جلسنا خارج غرفة الطعام على المقاعد المخصصة لذلك في الهواء الطلق ، وجلس معنا الفندقى ، والمرئى نحتسى الشئى ، وتحدث عن حيوانات العابة . ولاحظت عدم وجود إخواننا الصوماليين والأمريكى فسألت عنهم وأجاب المرئى ، جان بير ، بأنهم ارتحلوا بعد تناول الطعام مباشرة ، وصحبت من أنهم يقطعون مائة وعشرين كيلومترا ذهابا ومثلها وإيابا ويتحملون مشقة ست ساعات سفر مقابل ساعة ، أر نحوها لتناول الطعام ، أجباني الإيطالى أن السبب فى ذلك هو رغبة الأمريكى ، ويبدو أنه هو الداعى ، فى رؤية المكان طلبت من الفندقى إعداد بعض الطعام لناأخذه معنا ، إذ اعتزمت الرحيل فى اليوم التالى إلى مقديشيو مباشرة وهى مسافة تقطع فى حوالى التسع ساعات أو ما يقاربها . ثم تناولنا طعام العشاء المكون من حساء الخضروات اوجراد البحر ثم ، الفاكهة الباباى وهى قريبة الشبه بالشمام وإن كانت تنبت على أشجار رفيعة ، وليست من النباتات الأرضية .

بعد الطعام استأذنت من صاحبينا ، وذهبنا إلى خيمتنا وجلسنا على المقعدين استمتع بالنسيم البارد الجميل ، وبضوء القمر وهو ينساب على صفحة مياه البحيرة أمامنا . مما يذكر أن البحيرة يتناها المد ، والجزر فيحدث المد ابتداء من بعد الظهر إلى ما بعد منتصف الليل ثم تبدأ المياه فى الانحسار ، وأن الفارق بين الاثنين يربو على أراماع مترين . حوالى الساعة الحادية عشرة آرينا إلى فراشنا .

استيقظنا فى الساعة السادسة ، وما حلت الساعة والرابع حتى كنا نتناول طعام الإفطار . حينما قدم لى فرنشسكو قائمة الحساب أنضح أنه ليس معى من النقود الصومالية ما يكفى لسدادها ، فسألته إن كان يستطيع أن يبدل

بعض الدولارات ، إلا أنه اعتذر لأن ليست لديه النماذج الحكومية الخاصة بذلك لكنه قال إنه يمتزم الذهاب إلى قسمايو لشراء بعض المؤن ، والأدوات وأنه لا يمانع في أن يصحبنا إلى البنك حيث نستطيع أن نستبدل ما نشاء .

كان معنى هذا أن نتأخر في قسمايو ، لكن لم يكن هنالك مفر فبدأت أنه إن كان قد أمر بإعداد بعض للسندواتشات لتناولها في الطريق وأجاب بالإيجاب ، وبعد حوالي النصف ساعة استقل سيارته ، وركبنا سيارتنا متجهين إلى قسمايو . رأيت أنه اصطحب معه الفرانسي وعلمت أن الأخير يرمع السفر إلى أوروبا ، وألمانيا ، فرنسا بالذات لشراء بعض المهمات وأنه سيقبض لمدة شهر آخر حيث أن زوجته وابنه يقيمان في فرنسا . كان في سيارة الفندق أيضا ثلاثة جنود نظاميين علمت أنه سوف يصحبهم إلى قرية بولا حاجي إذ أن وريديهم في حراسة المخيم تنتهي اليوم ، وأن عليه أن يستبدلهم بثلاثة آخرين ، ويدعون هذا أحد شروط إنعاقه مع الحكومة الصومالية .

انطلقنا حوالي الساعة الثامنة ، وطلب الفندقى من سائقنا أن نتبعه فمرنا على مسافة منه إتقاء للغيار الذى تثيره السيارة ، واتخذ الفندقى طريقاً ممايرأى المسبق أن سلكناه في المجرى وقرر السائق أنه لا يعرفه . وكان الطريق الجديد أقصر ، وأحسن تمهيداً . رأينا في الطريق بعض الغزلان الصغيرة والخنازير البرية ، وكذلك اعترض طريقنا وعر كبير الحجم ، لم أر نوعه قبل ذلك إذ أنه بى اللون ومخطط كالحمار الوحشى ومالبث أن أختفى بين الأحراش ، على أننا لم نر كثير من الحيوانات ، خاصة واهم غالباً إن وجدت كانت تهرأ أمام المسيرة التى تسبقنا .

وصلنا إلى قرية ولا حاجي في الساعة التاسعة حيث أنزل الفندقى تيجود

وتخاطب مع قائد المنطقة ، ومن ثم الطاقنا إلى قسمايو . في الطريق نكرره  
رؤيتنا للحيوانات الصغيرة نفسها كما رأينا مجموعة من دجاج فينيزيا ، وبعض  
الفستيس ، وزوجين فقط من البايون ، وكانت جميعها تفر داخل الأحراش  
حين رؤية السيارة ، ولهذا لم أتمكن حتى من تصويرها . أخيراً وصلنا إلى  
قسمايو في الساعة العاشرة والنصف ، ودلنا الفندق على البنك ، ووقف  
ينتظرني خارجاً .

حينما دخلت البنك ، وهو يعمل مبنى قديم من طابقين ، سألت موظف  
الاستعلامات عن نافذة استبدال النقود إذ لم تكن هناك علامات ، فاصطحبني  
إلى حجرة توجد بها فتاة من الجلى أما تعمل كسرتيرة . أخرجت مائة دولار  
والإفراز الجركى بالنقد ، وقدمتهما إليها وخاطبتها بالعربية قائلاً إنى أريد  
الاستبدال لكن الفتاة ، وإن كانت قد فهمت ، إلا أنها ردت على بالإيطالية  
طالبة جواز سفرى . قدمته وعلت أنى مصرى فأعادت النظر إلى مترددة ، ثم  
نكست نظرها على الأوراق أمامها وابتعدت في مائها . أثناء ذلك حضرت  
سيدة أخرى ، من الجلى أنها أيضاً موظفة في البنك ، وتخطبت السيدتان  
بالصومالية ثم وجهت إلى النافذة الكلام تسألنى بالعربية إن كنت مصرى ،  
ولما أجبت بالإيجاب قالت إنها ذهبت إلى مصر ، وأنها مكثت شهرين في القاهرة  
في فندق هيلتون النيل ، وسألتها عن صاحبها لماذا لا تتكلم العربية ، إن  
مسألة أم لا ؟ وهنا رأيت مسحة الغضب تبدو على وجه الموظفة الأولى  
وردت بالعربية بأنها مسألة . وهنا سألتها لماذا تتعاضى الكلام بالعربية ،  
وردت بأنها لا تعيدها ، فأسألت إن كانت تصل ، ولما لم تجب سألتها مرة  
ثانية إذا كانت تصل ، وقرأ القرآن بالإيطالية ففهم ذلك بالإيطالية  
أيضاً ، لكنها كانت في هذه الأين جانباً ، وزال عنها غضبها الأول ،  
بل ألقها ابتسمت .

خاطبتها بالإيطالية سائلا عن سبب امتناعها عن الكلام بالعربية فقالت إنها لا تفهمها . ورددت بأننى لا أحسن الإيطالية وكثيراً ما أخطئ . فيها لكن ذلك لا يمنعنى من الحديث بها ، ومن محاولة التمهيد مع أمه ليس عندى داع دينى لأن أجيدها ، وهنا وعدت بمحاولة الكلام بالعربية وإن كانت قد استمرت تتكلم بالإيطالية .

انتهت أثناء ذلك من ملء الأوراق ، وناولتنى جواز السفر وناولت زميلاتم الأوراق ونفرت الأخيرة وطابت منى أن أنبعمها . وعند أحد موظفى البنك تمت سائر الإجراءات ، واستبدلت النقود وشكرتها وخرجت لأدفع حسابى للفندق واستأنف رحلتنا إلى مقديشو . وما حلت الساعة الحادية عشرة والنصف حتى كنا قد ملأنا خزان السيارة بالنفود ، وتوكلنا على الله متوكلين إلى مقديشو .

وبعد عشرة دقائق مررنا بقرية اسمها كوكين حيث يصب عندها نهر جوبا فى المحيط ومع قرب الأراضى ومع أن النهر دائم الجريان ، ومع أن الأرض حمراء ، فلما غالية من المزروعات وتمكسوها النباتات الشوكية وأشجار الأكاسيا فى الساعة الثانية عشرة والربع . وصلنا إلى قرية سنكونى وعندما يمر خط الاستواء كما ذكرت سابقا . وقد وضع نصب يدل على ذلك ، فتوقفنا ، والتقطنا بعض الصور ، ثم واصلنا رحلتنا ، وبذلك انتقلنا من نصف الكرة الجنوبي إلى الشمال .

عند سنكونى توجد مزارع الموز بكثرة كما توجد أشجار البابايا والمango وبعض المزروعات الأخرى أخيراً وصلنا إلى مقديشو الساعة السادسة والنصف متعبين بعد سفر دام أكثر من عشر ساعات أكثرنا حجرة رقم تسعة فى الطابق الثانى من فندق جوبا وتمجلنا العشاء ثم أويضا إلى فـاشناى حدود العاشرة ، الربع

استبقظنا مبكرين وقد أعاد النوم لنا النشاط ، وما حات الساعة الثامنة حتى كنا نتناول طعام الإفطار شربنا القهوة في صالة الفندق ، وفي حدود الساعة التاسعة والنصف استأذنت من زوجتي ، وتوجهت إلى مقر المركز الثقافي الإسلامي الذي أسسته وتديره مصر ، وهو يقع في مواجهة الفندق مباشرة في مبنى مستقل مدخله متواسع . أثناء دخولي رأيت رجلا في أول الحلقة الخامسة يخرج ، ثم يعود إلى الداخل توسمت فيه أنه مصري ، ولم أزد في سؤاله فأجاني بالإيجاب ، ورحب بي حينما علم أنني مصري كذلك ، وصحبني إلى الداخل فوجدت صالة طويلة وإن كانت ضيقة نسبيا ؛ لا يريد عرضها على أربعة أمتار ، وقد مدت فيها موائد مستطيلة جلس إليها بعض الشباب الصومالي يطالع بعض الكتب .

عبرنا الصالة ودخلنا حجرة داخلية فيها مكتب صغير أمامه ، ومقعدان الومضدة جلس صاحبي الجديد على مقعد وراء المكتب ، وطلب مني جرتال ولاحظت أن وراءه بابا يؤدي إلى صالة واسعة تهوى على مكتبة كبيرة تضم كثيرا من الكتب الدينية ، بعضها قديم اهدت طبعتها ، ولم يعد يطبع . قدمت نفسي للشاب ، وقدم لي نفسه قائلا إن اسمه بهاء الدين محمد سعيد ، وأنه نائب مدير المركز ، وإرأه يقيم في الصومال منذ سنتين وإن كان قد عين فيها قبل ذلك منذ سبع سنوات ، ونقل إلى البلاد العربية ، ثم عاد إليها ثانية ولاح لي أنه فخور بعمله ، ويحب البلاد وأهلها ، وأنهم أيضا يحبونه بل لمست في أكثر من موقف يحبون مصر وكل مصري . قضيت معه قرابة النصف ساعة نتحدث عن أحوال البلاد وأهلها .

ذهبت بعد ذلك إلى الفندق ، واستطعت زوحي إلى شركة الطيران

الصومالية لنا كيد حيز التداكر في مساء الغد ، ومن ثم قمنا بجولة أخرى  
 مريمة في المدينة ، ثم عدنا إلى الفندق ، وتناولنا طعام الغداء ، وأقلنا في المساء  
 قمنا أيضاً بجولة في المدينة أخذتنا بعيداً عن الفندق ، ودخلنا إلى الأحياء  
 اللاحية ، وهي نقاب إلى حد كبير مثيلاتها في مصر ، بالحركة فيها أكثر ،  
 والمتاجر الصغيرة تكاد أن تكون متلاصقة ، غير أن المنازل لا تزيد عن  
 دورين ، ومعظمها من طابق أرض واحد والكثير منها له دواكي ، للاحتياج  
 من وهج الشمس ، ومن المطر - ما بعد أكثر من ساعتين إلى الفندق ،  
 تناولنا عشاءنا وآوينا إلى الفراش

٢/٣

كان أول ملاحظته بعد تناول الإفطار أن ذهبت إلى السيد بهاء الدين في  
 المركز الإسلامي لأودعه ، مستفسراً إن كان يريد أن أحمل منه رسالة إلى  
 أقارب ، أو أصحاب في مصر . أثناء دخولي لاحظت للمرة الثانية أن هنالك  
 الكثير من الصوماليين بطالعون ، ولم تنبأ أن تتسع رقعة صلاة المطالعة  
 لتستوعب أعداداً أكبر ، وهنالك مساحة كافية لذلك في الساحة الداخلية  
 للمبنى يمكن أن تبقى دون تكامسة تذكر ، كما يمكن أيضاً بناء طابق ثان ،  
 وإعادة ترتيب المكتب بحيث تستغرق مساحة أكبر ، وتنظم تنظيمها جذاباً .

جلست أحدى الشاي بالقرب على الطريقة الصومالية مع السيد  
 بهاء الدين ، وراح يتحدثني حديث المطامع عن تاريخ الصومال ، وحديث العالم  
 عن الجالية المصرية ؛ ذكر أن هنالك مركزاً تجارياً مهنياً ، وكنت قد  
 شاهدته أثناء تجوالي غير بعيد عن الفندق ، كما أن الحكومة المصرية تدفع  
 مرتبات كل المزارعين الذين ترسلهم إلى الصومال ، وهم كثيرون ، كما أنه  
 يوجد بعض الأطباء الذين يعملون لحسابهم الخاص . أخرجني السيد بهاء أن  
 نتناول معه طعام العشاء ، ورفضت شاكراً ، وجلستنا لتناقش بعض الواسع



في الأحوال في الصومال ، وانفقنا على نقطة هامة هي أنه لا يجب أن تترك  
الحكومة المصرية وحدها تتحمل العبء . كما يوسف له أن معظم المصريين  
لا يعرفون شيئاً عن الصومال ، وإن عرفوا فمعظم معلوماتهم خاطئة مع أنه  
بلد حبيب شقيق ، ترجع رواياتنا به إلى آلاف السنين ، كان باسم بلاد بونت  
أيام الفراعنة ، ويجب على حكومتنا أن تعمل على توعية شعبنا ، وتشجيعه  
على الذهاب إلى هناك حيث أنه بلد منيع ، ويحتاج إلى تطهير سريع ،  
وإمكانيات سواء يدوية أو مالية كبيرة ؛ وإن يوجد أحسن من المصريين  
بالنسبة لهم إذ أنه لا شهرة في أننا إنما نريد المساعدة ، حباً وكرامة  
لا للاستغلال ، وليس معنى هذا أنني أطلب من الشعب المصري مجرد المعونة،  
والهبة ، بل العكس فإن أي مجهود منتج سوف يعود بالنفع على من يبذله ،  
وعلى الصومال ، وأهلها معناه ، وهناك فرص كثيرة في البلاد ليس أقلام  
الزراعة ، وتربية الماشية ، والدواجن ، وحيد الأسماك ، وتعليبها ، وتشوينها  
وتسويقها ، وعشرات المجالات غير ذلك ، أقول إنه ليس معنى هذا من ناحية  
أخرى أن يذهب المصري لينتفع مادياً لحسب ، وإنما يجب عليه أن يحصل  
نصب عينيه أن ينتفع البلاد أولاً ، فهي شقيقة حبيبة . عليه أن يقوم  
بمشروعات تبقى بعد أن يذهب هو ولا بأس بعد ذلك أن ينتفع  
بلا استغلال ، ولا مبالغة ، أو طمع ، أو أنانية .

إنني وضعت الحقائق كما هي مجردة دون تعميق ، وأسبغت شعوري كما  
أحسست به ، وكما يحس كل مصري صادفته هناك ، وكل مصري فيما اعتقد  
يذهب إلى بلاد أشقائه . لقد قوبلت حينما ذهبت بكل ترحاب ، كما قوبل  
كل مصري بحب أخوي صديق . وليس ما رويته هو كل ما سمعته بل إنني  
بعد زيارتي للسيد بهاء الدين توجهت إلى السفارة المصرية في زيارة محاملة وهي

تقع فيما يسمى الكيلو أربعة ، وهناك قابلي السيد المستشار هبيل العزيز عزت ، وهو شخص لطيف رحب بى وذكر أنه وصل إلى الصومال منذ شهرين فقط ، وبعد أن تحدثنا ، وشربت القهوة المصرية استأذن لى لمقابلة السيد السفير سامى هيبه الذى رحب بى بدوره وذكر بعض المعلومات سأذكر بعضها ، ليعلم الشعب المصرى مقدار حب الصومالى له .

ذكر أننا طلبنا من الحكومة الصومالية شتلات موز ، وحتى تعرف أهمية الطلب أذكر كى بأن المرد ثروة قومية فى الصومال ؛ وهو الإنتاج الأول للبلاد ، وليس من اليسر عليه قطع أن يتصرف فى شتلاته لدولة أخرى . ذكر السيد السفير أنه اتى ترحيبا مباشرة لطلبة ، بل وإن الرسميين طلبوا أن ترسل الحكومة المصرية الخبراء الزراعيين المتخصصين وشحنوا خمسمائة شتلة من أجود الأنواع إلى القطر المصرى .

ذكر سيادته فيما ذكر أن مصرىا ، وإن أذكر اسمه ، حضر إلى الصومال وطلب أن يستقل مساحة من الأرض فأجيب فوراً إلى طلبه ، ومنح مساحة هائلة من الأرض ، وأحضر المصرى الآلات الرافعة اللازمة ، وطواحين هوائية ، وابتدأ فى الاستغلال فعلاً لكن بما يوسف له أنه كانت لديه مشاغل أخرى كثيرة ترك المشروع فى يلائمه الشاب الذى لم يحسن الإدارة ، ولا أحسن صيانة الآمانة فانهار المشروع .

ذكر لى السيد السفير الكثير من إمكانيات الصيد فى المحيط الهندى بما أعلم ، وشاهدته وما لم أكن أعلم ولم أشاهده . ذكر أن أحسن مناطق صيد سرطان البحر الانجوست فى قسميبر فى الجنوب وكذلك فى بريرة وفى الولا ؛ وقد له فى الشمال ، كما يوجد أيضاً الجمبرى ، بكميات تجارية هائلة وإن تمناع الحكومة الصومالية إذا ما طلبت منها الحكومة المصرية أن ترسل أسطولا لصيد الأسماك فى مياهها للأغائدة المشتركة للبليدين .

ودعوا السيد السفير بعد أن مكثت مدة زهاء النصف ساعة ، وسألني إن كنت أحتاج إلى معونة ما ، لكنني رفضت شاكراً ، ومقررأ أن يبارق مجرد زيارة أدب وبجملته . ذهبت بعد ذلك إلى الفندق ، ومكثت إليه حتى تناولنا طعامي الغذاء والعشاء ؛ كان علينا أن نكون في المطار في الساعة العاشرة حيث أن موعد إقلاع الطائرة هو الثانية عشرة ، وعلى هذا أكثرنا سيارة أجرة وانطلقت إلينا في طريق المطار . عند أول ميدان صدقناه وجدنا أن جنود الجيش يفتشون السيارات ، وأوقفنا لنا أخذ دورنا ، وجاء جندي وطلب من السائق فتح حقيبة السيارة وعندما شاهد حقائقنا اتجه إلينا ليطلب فتحها ، وأجبتة بالعربية بأنني سأفعل ، وهممت بالخروج من السيارة لكنه استوقفني سائلاً إن كنا مصريين ، ولما أجبتة بالإيجاب طلب مني عدم الخروج وأذن للسائق بالسير مودعنا إيانا على بركة الله .

حينما وصلنا إلى المطار كان هنالك جنود من الجيش أيضاً ، بمنعون اقتراب السيارات من مبنى المطار لأكثر من خمسين متراً ، أوقف جندي السيارة ، وطلب منا جوازي سفرنا ، وأذا كر الطائرة ، وقلت إنني سأفعل ومددت يدي إلى جيب سترتي لأخرج الأوراق المطلوبة ، وإذا بالجندي يسأل السؤال التقليدي عما إذا كنا مصريين وأجبتة ، فقال لا إداعي وربت على كتفه وتمنى لنا سفرأ سعيداً .

# زنجبار

